

المُنير

نوح سوادغو

دار الأرقم



اسطنبول ٢٠١٧م/ ١٤٣٩هـ

إسطنبول: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

اسم الكتاب: المنير

تأليف: نوح سوادغو

مراجعة وتصحيح وتدقيق: الأستاذ: نوح سوادغو/ حسام يوسف

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN ٩٧٨٦٠٥٣٠٢٤٠٤٠

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

Language: Arabic

العنوان:



Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.org
Web site : www.islamicpublishing.org

المُنير

نوح سوادغو

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بعث الله الرسل -عليهم السلام - لإقامة الدين، وللدعوة إلى عبادة الله الواحد القهار، يقول الباري سبحانه في كتابه العزيز:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.[1] الطاغوت كل معبود سوى الله. وتواتر إرسال الرس حتى تهيأت البشرية، وصارت قادرة على حمل ألوكة سماوية، تؤكد على الدعوة التي أتت من أجلها كل الرسالات السماوية، يقول الحق تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.[2]

هذه الرسالة هي الرسالة التي أتى بها محمد ﷺ من بارئه - وكانت آخر الرسالات السماوية نزولا، من أجل هذا كانت رسالة للناس جميعا، يقول الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[3]

وكانت كذلك، لأنها اجتمعت على القواعد التي جاءت بها الرسالات السماوية السالفة:

١- فهي جميعا أتت بما يلائم فطرة الإنسان، تدبّر قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[4]

---

١ النمل: ٣٦.

٢ الشورى: ١٣.

٣ الأعراف: ١٥٨.

٤ الروم: ٣٠.

٢- وهي تنظر إلى الناس نظرة سواء لا فرق بين جنس وجنس، ولون ولون، بل الكل خلق الله، والكل عباد الله، وجميعهم لآدم، وآدم من تراب.

٣- والإنسان بطبعه يعشق الحرية، بل يعمل ويجاهد من أجل الحصول عليها، ورسالات السماء رعت هذا الجانب، وأعطته حقه من العناية، فهي لا تكره أحدا حتى في الاعتقاد، فضلا عن غيره من الأمور قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.[٥]

٤- كما أنها تنظر إلى الإنسان على اعتبار أنه مركب من مادة وروح، فلا تغلب جانبا على جانب آخر أو تهمله.

٥- وعقائد الدين الحق وأحكامه لا تصادم فطرة الإنسان السوي، ولكنها تلائمها، وتأخذ بيدها إلى الاستقامة، وإلى مزيد من الكمال، وهذا ما يفهمه كل من يتلو قول الله ﷻ:

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[٦]

ولما كانت الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة جاءت بتعاليم تنظم حياة الفرد والجماعة على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم وجنسهم بما يكفل لهم حياة طيبة في الحياة الدنيا، وسعادة في الدار الآخرة وهذه التعاليم:

١- العقائد: وهي الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، والإيمان والتصديق برسله، وبكتبه المنزلة، وبملائكته وباليوم الآخر، وهذا ما نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾.[٧]

---

٥ يونس: ٩٠.

٦ المائدة: ١٥- ١٦.

٧ البقرة: ٢٨٥.

٢- الآداب: وهي ما حضّت عليها كل الرسالات ودعت إليها مثل الأمانة، والصدق، والكرم، والشجاعة، وحسن المعاملة.

٣- العبادات: وهي تشمل الأقوال والأفعال التي يأتي بها الإنسان تقربا إلى الله تعالى، وامتثالا لأمره تبارك وتعالى، والعبادة هي مهمة الإنسان الأولى في الوجود، وهي لا تكون إلا لله رب العالمين يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٨] ومجال العباد في الدين واسع، فهي كما تشمل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، والتكاليف الأخرى التي أمر الله بها عباده تشمل أيضا مجالات الحياة الدنيا

إذا صحت النية من الإنسان، وقصد بعمله الطيب وجه الله تبارك وتعالى.

وبعد هذه الوقفات يطيب لي أن أقدم للمسلمين في هذا البحث كيفية استعداد العبد للعبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الأحكام التي يجب على المرء الالتزام بها متجنبا ذكر الخلافات والآراء التي لا طائل بها وإنني لأرجو من البارئ تعالى أن يجعل عملنا هذا... خالصا لوجهه الكريم وأن يعمم به النفع والقبول، وهو الموفق وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نوح سوادغو
بوركينا فاسو
٢٠١٧

٨ الذاريات : ٥٦.

الفصل الأول:

استعداد العبد للعبادات

و يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول:

العبد وما خلق لأجله

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الشهادتين وأهميتها.

المطلب الثاني: شروط لا إله إلا الله.

المطلب الثالث: كيفية استعداد العبد للصلاة والصوم والزكاة...الخ.

المطلب الرابع: نواقض الإسلام .

المطلب الأول: مفهوم الشهادتين وأهميتها

معنى لا إله إلا الله: إن كلمة لا إله إلا الله هي العروة الوثقى وكلمة التقوى، وأساس، ومعناها الحقيقي: لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى (فلا إله) نفت استحقاق العبودية عما سوى الله تعالى، (وإلا الله) أثبتت جميع أنواع العبادة لله وحده.[٩]

أهمية الشهادتين:

إن كثيرا من المفاهيم والحقائق الكبرى في الإسلام قد أصابها ما أصابها من الالتباس والضعف والزعزعة في نفوس المسلمين وانحراف فهم الكثيرين منهم لها، ومن هذه القضايا: (مفهوم الشهادتين)؛ مع أن هذه القضية هي الأصل الذي يدور عليه الإسلام، والحديث عن مثل هذه الموضوعات وتجلية المعنى الكنهي لها أمر ضروري لجميع المسلمين.

اعلم أن هاتين الشهادتين اللتين هما المدخل الذي يدخل منه الإنسان إلى الإسلام ليستا مجرد كلمتين تقالان باللسان، بل هما منهج حياة كاملة؛ ولذلك فإن العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ وقفوا من دعوته ذلك الموقف لمعرفتهم بما تنطوي عليه هاتان الشهادتان من تغيير كامل لحياتهم الفردية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية وغيرها، ولذلك ورد في الأحاديث الصحاح عن جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمنى يقول: (من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟..)[١٠]

ويقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).

ورجل يتبعه- أبو لهب- يرميه بالحجارة وهو يقول: (يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب...)[١١] وهذا الموقف من قريش إنما هو مبني على معرفتهم بالمدلول الحقيقي لهذه الكلمة؛ إذ يدركون أنها ليست مجرد كلمة؛ ولذلك لما طلب منهم النبي ﷺ أن يقولوها أو قال: (يا عم إنما أردتهم

٩ شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص٤٣٨ دار أطلس الخضراء، ط ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م

١٠ مسند أحمد رقم ١٤٤٥٦

١١ صحيح ابن خزيمة رقم (١٥٩) ١/ ٨٢

على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية) فقال: وما هي؟ قال: (لا إله إلا الله) فانطلقوا وهم يولولون، ويقولون: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.[١٢] إلى قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.[١٣]

ويا للأسف الشديد أننا نجد برية كثيرة في عصرنا الحاضر يتلفظون بالشهادتين وألوان الأصنام منصوبة في دورهم، فأي تصديق أو إيمان هذا؟

والشهادتان شرط للإيمان، ولفضل هاتين الكلمتين شأن عظيم في الإسلام فقد نوّه الرسول ﷺ بمكانتهما وفضلهما ففي الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ، قال:

(من شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)[١٤]

إذاً إن الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله يتضمن أمورا عديدة نذكر منها أهمها:

أولاً – الإقرار بوجود الله تعالى:

من لوازم ومقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله الإقرار بوجود الله، فإن الإنسان لم يشهد بألوهية الله وحده إلا وقد أقر، قبل ذلك بوجوده سبحانه، وهذا الإقرار لم يكن مظنّة ريبة عند الأمم السالفة، بل ولا عند كثير من الكفار المعاصرين اليوم، فأغلب الأمم في الماضي والحاضر يعترفون بوجود الله ﷻ، وإنما أنكر وجوده طائفة من الدهريين في الماضي، الذين كانوا يقولون:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[١٥]

وكما أنكره طائفة من الشيوعيين المعاصرين وإن كان إنكار هؤلاء الشيوعيين– لله – في الحقيقة ليس غالبه إنكارا حقيقيا، بل هم يتعصبون لإنكار وجود الله، محافظة على مذهبهم الشيوعي الذي بنوه على الإلحاد.

---

١٢ ص : ١.

١٣ ص : ٥.

١٤ صحيح مسلم كتاب الإيمان، بالدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة رقم ٤٦ ؛ السنن الكبرى للنسائي رقم (١٠٩٠٣)، ٩/ ٤١٥ باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر عبادة..

١٥ المؤمنون : ٣٧.

ثانيا:الاعتراف بربوبية الله تعالى بأنه الرب، ومفهوم الرب أي المتصرف في الأكوان فهو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت...الخ وبهذا القدر لا بد منه في شهادة أن لا إله إلا الله وهو ضروري لها.

ثالثا – الإيمان بالأسماء والصفات: هو الإيمان بالله تعالى بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يثبت ذاتا مجردة، ولا يعرف ربا يتصرف في الأكوان فقط، بل يعرف ربه بأسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسنة النبوية.

المطلب الثاني:

شروط لا إله إلا الله

إن لكلمة لا إله إلا الله شروطا يجب على المسلم معرفتها وهذه الشروط تتضمن أربعة أمور مع أدلتها من الكتاب والسنة النبوية، وإليك بيانها:

الشرط الأول: العلم

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[16]وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [17].

وأخذ البخاري رحمه الله من هذه الآية وجوب العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[18]اهـ.

فالعلم بمعنى هذه الشهادة التي لا بد لكل داخل في الإسلام أن يشهد بها، هو الإيمان المطلوب من العباد، وهو معرفة حق الله تعالى على عباده الذي لا يجوز الإخلال بشيء منه وإلا استحقوا عذابه [19].

---

١٦ محمد : ١٩.

١٧ الزخرف : ٨٦.

١٨ محمد : ١٩.

١٩ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري عبد الله بن محمد الغنيمان، ١/ ٣٨، مكتبة الدار، المدينة المنورة ط: ١٤٠٥ هـ ؛ صحيح البخاري عق عند باب العلم قبل القول والعمل.

الشرط الثاني: الإخلاص

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [٢٠] .

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ:

(فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).[٢١]

فعلم من هذه النصوص وغيرها أن الإنسان لايدخل الجنة ولا ينجو من النار إلا إذا كان بريئا من الشر ك، ولذلك قيل إن الإخلاص والبراءة من الشرك شرط لقوله لا إله إلا الله.

الشرط الثالث: الصدق

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [٢٢] .

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار).[٢٣]

فعلم من هذه النصوص أن الصدق شرط لقول لا إله إلا الله وأن الإنسان لا يدخل الجنة ولا ينجو من النار بفضل لا إله إلا الله إلا إذا كان بريئا من النفاق.

الشرط الرابع: اليقين

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [٢٤].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

(أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة) [٢٥] .

---

٢٠ النساء : ١١٦.

٢١ البخاري، باب المساجد في البيوت رقم ٤٢٥ ومسلم باب الرخصة في التخلف عن الجماعة رقم ٢٦٣.

٢٢ المنافقون : ١.

٢٣ البخاري، باب من خص بالعلم قوما رقم ١٢٨. ومسلم رقم ٤٧ كتاب الإيمان.

٢٤ الحجرات : ١٥.

٢٥ صحيح مسلم رقم ٤٥.

فعلم من هذه النصوص أن اليقين شرط لقول لا إله إلا الله وأن قولها لا ينفع إلا من قالها بيقين من غير شك.

الشرط الخامس: المحبة

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [٢٦] .

وقال أيضا: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ [٢٧] .

علم من الآيتين الكاره للتوحيد المحب للشرك لا ينفعه قول بلسانه [لا إله إلا الله] حتى يحب التوحيد ويبغض الشرك؛ فالمحبة إذا شرط لقول لا إله إلا الله، ولا يدخل أحد الجنة حتى يحب ما دلت عليه كلمة التوحيد من الإخلاص ونفي الشرك.

الشرط السادس:

قال تعالى: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[٢٨] .

وقال تعالى: ﴿**قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنا**﴾[٢٩] .

ففي الآيتين وغيرها في القرآن الكريم وصف الله الكفار بإنكار الدعوة إلى التوحيد، واستغرابهم لمخالفة الآباء والأجداد الذين مشوا على الشرك. وهذا يدل على أن من فعل فعلهم وأنكر التوحيد وجادل عن الشرك لا يكون إلا مشركا مثلهم، وإن قال بلسانه [لا إله إلا الله] فإن قولها لا ينفع إلا من قالها راضيا بما دلت عليه الأدلة، أما من قالها وهو لا يقبل مدلولها، ولا يعمل بمقتضياتها فليس هو من أهلها، فالقبول وعدم الإنكار شرط لقول لا إله إلا الله.

---

٢٦ محمد : ٦١.
٢٧ الحجرات : ٧ .
٢٨ ص : ٤ – ٥.
٢٩ الأعراف : ٧٠.

الشرط السابع الانقياد

قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾[٣٠] .

وقال ﷻ أيضا: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣١].

فإن من رد أمرا واحدا من أوامر الله الفرعية واستنكر عن الانقياد يكون بذلك كافرا ضاهئا بإبليس المطرود. فكيف بمن يرد أعظم ما أمره الله في جميع كتبه وذلك هو التوحيد.

فمن ذلك تعرف أن قول لا إله إلا الله لا ينفع إلا من قالها وهو منقاد لما دلت عليه من إخلاص العبادة لله ونبذ الأنداد والطواغيت المعبودة من دون الله.

فالانقياد وعدم الترك شرط لقول لا إله إلا الله.

المطلب الثالث:

كيفية استعداد العبد للصلاة والصوم والزكاة... الخ

ينبغي للمسلم أن يهيئ نفسه قبل الشروع في العبادات ولا يتم ذلك إلا بأخذ نية صالحة خالصة حيث قال ﷺ:

(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)[٣٢] .

وهذا يترتب عليه ما يأتي من البيان:

أولا – الاستعداد للطاعة ومحاسبة النفس عليها، وليُعلم أن الاستعداد للطاعة ومحاسبة النفس عليها وظيفتان متباينتان لكنهما متداخلتان أي يعاقبان ويتوارد أحدهما على الآخر.أما الإعداد للعمل فهو علامة التوفيق، وأمارة الصدق في القصد، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾[٣٣].

---

٣٠ الأحقاف : ٣.

٣١ البقرة : ٣٤.

٣٢ ابن ماجه، باب النية رقم ٤٢٢٧، ٢/ ١٤١٣؛ أبي داود، باب فيما عني به الطلاق والنيات، رقم ٢٢٠١، ٢/ ٢٦٢.

٣٣ التوبة : ٤٦.

والطاعة لا بد أن يمهّد لها بوظائف شرعية كثيرة حتى تؤدي كلها، ولنبدأ بالصلاة التي هي عماد الدين، فصلاة الجماعة أيها المسلم العزيز لا بد أن تسبق بإحسان الوضوء ونية صادقة حسنة في تحصيل الأجر وزيارة الله ﷻ في بيته، وتعظيم أمره، والبدار في تلبية ندائه (حي على الصلاة) والمسارعة في سماع خطابه، والالتذاذ بمناجاته ولقائه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(صلاة الرجل في الجماعة تضعّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة، إلا رُفعت له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في الصلاة ما انتظر الصلاة) [٣٤].

ويحتفّ بهذا الإعداد في التطهر والنيات إعداد نفسي للقاء الله تعالى، ويكون ذلك بأمور منها: ترداد الأفكار الشرعية الواردة عند الخروج من البيت، والمشي إلى المسجد فإنها مهمة في حضور القلب، ومنها عدم فعل ما يتنافى مع الوقار، والطمأنينة أثناء المشي إلى الجامع كتشبيك الأصابع، وكثرة الالتفات والتطلع على المارة وزخارف الدنيا. (وخاصة في هذه العصور)، وعدم الإسراع، والسعي، وذلك أن المشي إلى الصلاة جزء مهم وممهد للخشوع في الصلاة. لذا قال النبي ﷺ:

(إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) [٣٥]

وعند دخول الجامع لا بد أن يدخله معظما مظهرا الوجل من مهابة المكان، وإن الجوامع منازل الرحمات، ومهابط البركات، فإذا دخل المسجد شرع في السنة الراتبة أو النافلة ريثما يقام للصلاة، وأهمية هذه السنة أو النافلة تمكّن في تهيئتها وتمهيدها للفريضة لكمال الحضور.

---

٣٤ البخاري كتاب الصلاة،باب فضل صلاة الجماعة رقم ٦٤٧.

٣٥ البخاري، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة رقم ٩٠٨.

ومن جنس هذا الاستعداد للعبادات كاستعداد صلاة التراويح، فإنها من أعظم العبادات في ليالي رمضان، لأن رسول الله ﷺ قال:

(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) [٣٦] .

والحق أن هذه الصلاة المهمة تتطلب إعدادا وتهيئة، فينبغي للراغب في الانتفاع من صلاة التراويح إقلال الطعام للغاية، ويحبذ أن يأتي الجامع وفي بطنه مسّ من جوع، فإنه مثمر جدا في حضور القلب، ويستحب أن يتطهر جيّدا ويلبس أحسن الثياب ويأتي مبكرا، ثم يستحضر القدوم على الله والوفادة إليه وانتهاز فرصة التعرض لرحمته ومغفرته والعتق من النار.

أما محاسبة النفس على الطاعات فهذا من أنفع الوظائف التي يقوم بها العابدون أثناء تأدية العبادات، والأصل أن المحاسبة وظيفة لازمة للسالك طريق الآخرة، ولكنها تتأكد وتزداد أثناء أداء العبادة، وأعنى بالمحاسبة فحص الطاعة ظاهرا وباطنا، وأولا وآخرا، بحثا عن الثمرة ليعرف مأتاها فيحفظه.

الاستعداد للصوم:

إن الصوم موسم عظيم، وموقع نفحات رحمانية في أيامه، وهو يحتاج إلى شيء من التهيئة، فالتهيئة نوعان: تهيئة قلبية بالاستعداد، وهذا ما كان عليه سلف الأمة لما كانوا، كما قال معلّى بن الفضل: (كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، هذه تهيئة قلبية يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم) [٣٧] اهـ.

وهناك تهيئة عملية، وهي أن يتمرن الإنسان على العمل الصالح قبل مجيء الشهر حتى إذا جاء الشهر يكون قد مرن جسمه وتدرّب بدنه على القيام بالطاعات، ولهذا كان السلف يكثرون قراءة القرآن في هذا الشهر، وكان بعضهم يغلقون حوانيتهم حتى يتفرغوا لقراءة القرآن في شهر شعبان، حتى إذا أتى رمضان يكون قد تأهبت نفسه ونشطت للأعمال الصالحة بأنواعها.

---

٣٦ مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان رقم (١٧٧٦ – ١٧٧٧).

٣٧ لطائف المعارف فيما لموسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن حسن البغدادي ثم الدمشقي ص١٤٨ دار ابن حزم للطباعة، ط١، ١٤٣٤هـ – ٢٠٠٤م.

تقول عائشة ﵂: (ولم أره في شهر أكثر صياما منه في شعبان)[٣٨] والعلة في هذا هي تهيئة النفس لاستقبال هذه الفريضة ((شهر رمضان)).

فنحن بحاجة إلى أخذ هذه السنن، وإدراك معانيها، فإن النبي ﷺ لم يكن يصوم رمضان بدون غاية ولا علة، بل هو لون من التأهب التي تتأهب بها النفوس.

ولو تجهزت الأمة لشهر رمضان وأعدّت له عدة، وشمّر الناس طرّا سواعد الجدّ وشدّوا مآزرهم في الطاعة لرأينا أمة جديدة تولد ولادة إسلامية وذلك بعد استعداد جادّ ومخاض عولجت فيه الهمم والعزائم لتدخل في الشهر وهي وثابة إلى الطاعات.

وكل هذا لا يكون إلا بعد معرفة أحكام الصوم، وأعذاره، ومبطلاته، ومباحاته، وأحكام صلاة التراويح، والاعتكاف، وهلمّ جرا.

الاستعداد لإخراج الزكاة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام، حيث فرضها الله تعالى على ملك النصاب وحال عليه الحول، وإذا علمنا وجوبيتها فإنه يجب على كل من أنعم الله عليه بأنواع المال معرفة أحكام الزكاة استعدادا قبل أدائها، ولنضرب أمثلة على ذلك:

الذهب والفضة، يمكن معرفة نصابهما بالتوازن، فنصاب الذهب هو عشرون مثقالا كما أخبر النبي ﷺ[٣٩]، والمثقال يعادل بأوزان عصرنا ما يقارب ٤,٢٥ غراما، فيكون نصاب الذهب ٨٥ تقريبا، ونصاب الفضة هومائتا درهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ[٤٠]، والدرهم يعادل بأوزان عصرنا ما يقارب ٢,٩٧٥ غراما فيكون نصاب الفضة ٥٩٥ غراما بمعنى أن الزكاة في كل ألف ٢٥ (٢,٥٪)[٤١] ويجب أيضا دراية أحكام زكاة سائر بقية الأشياء، كالزرع، والمال، ومستحقي الزكاة ... الخ .

٣٨ مسند أحمد رقم ٢٤٧٥٧، بإسناد صحيح على شرط مسلم.

٣٩ سنن الدار قطني، باب ليس في مال المكاتب زكاة حتى يعتق رقم ١٩٦٣، ٢/ ٥٠٣.

٤٠ مسند الشافعي الباب الثاني فيما يجب أخذه من رب المال ١/ ٢٣٢.

٤١ ينظر: الخلاصة في فقه الأقليات علي نايف الشحود، ٤/ ٤٧.

الاستعداد للحج:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾[٤٢].

إن الاستعداد لرحلة الحج يتطلب فقه الكثير من الأمور، وتجهيز الإنسان روحيا ونفسيا وبدنيا لهذه الرحلة التي يقصدها الإنسان بدافع التقرب إلى الله بأعلى المستويات وأفضلها، وقبل أن نشرع في كيفية الاستعداد للحج ينبغي لنا أن نبين مفاهيم وأمور هامة أخرى للاستعداد لرحلة الحج.

- **التهيئة النفسية من أهم الاستعداد للحج:**

١ – إن الاستعداد للحج يتطلب في المقام الأول عقد العزم والإصرار على أن تكون رحلتك هذه حافزا ودافعا هاما لتغييرك إلى الأفضل وتحسين سلوكك، وإلا فهذه الرحلة المقدسة لن تكون ذات جدوى بالنسبة لك.

٢ – من أهم ما يميز تهيئك النفسية استعدادا للحج هو تعلم فن الصبر، فالحج هو الصبر على الطاعة وعدم الحنين إلى العودة إلى ما يغضب الله؛ لأن الطاعة ليست بالشيء السهل الحفاظ عليه.

٣ – يجب عليك أن تعدّ نفسك للحج بأن تكون حليما متمالكا لنفسك فأنت لست وحدك في هذه الأنساك، وقد يشتد الزحام فتضيق نفسك، وتجد العصبية عندئذ عليك أن تهيئ نفسك للتعامل على مثل هذه الظروف، وتذكر دائما أنك هناك عند الله ليس للشجار، أو الغضب وإنما للتعبد والحصول على مغفرته وصفحه.

٤ – يجب أن تستعد للحج بأن تعرف أن التعاون مع آخرين سواء كنت تعرفهم أم لا هو الغرض الأسمى لموسم الحج، فهناك سيكون بجانبك ملايين الأشخاص من مختلف الأشكال والألوان، وقد يعوزون عونك فلا تفكر في نفسك فقط، ولكن عليك أن تتعلم أن التعاون من الأسس التي حرص عليها الإسلام وحثّ الرحمن الرحيم على فعلها.

---

٤٢ آل عمران : ٩٧.

٥ – في استعدادك للحج ذرك من الاعتداد برأيك والجدال والخلاف، فقد يكون لك رأي ويكون للآخرين آراء مخالفة لك فدع العِندية والتشبث بالرأي،لأن بارئنا وحده هو من يملك الحق ولا أحد غيره عنده العلم فهو العليم الخبير.

وبعد هذا يمكن أن نطرح سؤالا، كيف يستعد العبد للحج؟

يستعد العبد للحج بما يلي:

١ – النية: من أهم ما يجب أن تستعد للحج به هو إخلاص النية لله بأن ذهابك في هذه الرحلة الميمونة هو لوجه الله تعالى، ولا تقصد منها أي شيء آخر، لأن النية وإخلاصها من الأمور التي قد تبعدك عن شتات القلب.

٢ – اللجوء إلى الله تعالى: إن اللجوء إلى الحق تعالى من أهم ما يجب أن تستعد به للحج، لذلك وجب على كل حاج أن يتصوّب لربه ليستشيره في أمره ووسيلة ترحاله وسفره.

٣ – التعلم: من أهم خطوات الاستعداد للحج هو تعلم مناسك الحج فلا يجوز لقاصد الحج أن يكون جاهلا بأنساكه، وواجباته، ومحظوراته، فجب عليه الفهم والإنصات والتعلم المكثف لكل ما وجب على الحج عمله في رحلة الحج.

٤ – التوبة: من الخطوات التي يجب على الحاج أن يستعد بها للحج هو أن يعلن توبته الكاملة ونيته بعدم العودة لما يغضب الله سبحانه ة تعالى، وأن يرد كل الحقوق إلى أصحابها قبل التصوُّب إلى بيت الله الحرام؛ لأن الله لا يقبل أن يأتيه عبد عاص أو ظالم في حق نفسه أو غيره.

٥ – الوصية: استعد أيها الحج بتدوين وصيتك، لأن تدوين الوصية مما يجب عليهم فعلها، وهي حق واجب على كل مسلم.

٦ – المال الحرام: يجب في رحلة الاستعداد للحج الـكد من أن يكون كامل مال الحج من مصادر حلال حيث لا توجد أدنى شبهة في مصدره.

٧ – الرفقاء: من خطوات الاستعداد للحج أن تختار رفقاء الرحلة؛ لأنهم من سيعينونك على مشاقها، وتحثهم على التزود من خيرها؛ لأنها رحلة في العمر، الغرض منها اغتنام فرصة التقرب إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: نواقض الإسلام

من المعلوم أن باب نواقض الإسلام، خطير وجلل، وأساس في العقيدة الإسلامية فالشرك ينقض الإسلام، وقد قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[٤٣].

ويقول أيضا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٤٤] .

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤٥].

ومتى يحبط العمل؟ إذا أشركت يحبط، ولكن كيف لو كان العمل مقبولا عند الخلق لكنك لم تقدم عليه ابتغاء وجه الله، بل ابتغاء أن يرضى الناس عنك، إذا هذا شرك، بل ابتغاء السمعة إذا هذا شرك ابتغاء الثناء العطر هذا شرك، فهذا العمل على أنه عملا جليل لا وزن له في الآخرة.

وهناك أمور تنقض الإسلام نذكر أهمها منها:

أولا: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ وسب الملائكة قال ابن حزم رحمه الله:

(صح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين، فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر)[٤٦] اهـ.

---

٤٣ النساء: ١١٦.

٤٤ يوسف: ١٠٦.

٤٥ الزمر: ٦٥.

٤٦ الفصل في الملل والأهواء والنهل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، ٣/ ١٤٢، مكتبة الخانجي القاهرة، دون ذكر تاريخ الطبعة.

ثانيا: الاستهزاء وسب الصحابة ﷺ.

ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه) [٤٧].

والاستهزاء وسب الصحابة على أنواع:

أ – من استهزأ بهم عامة، أو سبهم بالجملة، أو اتهمهم بالنفاق والردة، أو عمم ذلك عليهم إلا قليلا منهم، فهذا كفر وردة بإجماع العلماء، وقد حكى الإجماع على ذلك ابن حزم والقاضي أبو يعلى، والسمعاني،، وابن كثير، وغيرهم؛ لأنه أراد بذلك اتهام دينهم وصلاحهم وحجتهم. [٤٨]

ب – أن يكون سبهم مصحوبا بأمر كفري فهذا أيضا.

ج – الاستهزاء ببعضهم وسبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم فهذا محرم، وليس بكفر كاتهام بعضهم بالجبن والبخل، وقلة العلم، ونحو ذلك، ولكن قائل ذلك يستحق التفسيق والتعزير والزجر.

د – الاستهزاء بأهل العلم والصلاح وهذا على صنفين:

الصنف الأول: الاستهزاء والسخرية بأشخاصهم، كمن يستهزأ بأوصافهم الخَلقية أو الخُلقية فهذا النوع محرم ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيرًا مِّنهُمْ﴾ [٤٩].

الصنف الثاني: الاستهزاء والسخرية بأهل العلم لأجل علمهم، وبأهل الصلاح لأجل صلاحهم، فهذا النوع كفر وردة عن دين الإسلام؛ لأن استهزاءه بهم إنما هو من أجل الدين، والعلم، والصلاح الذي يحملونه لا على أشخاصهم وذواتهم.

---

٤٧ البخاري،كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا، رقم (٣٦٧٣)؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ رقم (٢٥٤٠).

٤٨ ينظر: الفصل في الملل لابن حزم، ٣/ ١٤٠.

٤٩ الحجرات : ١١.

ويستدل بذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٥٠]

هـ – مجالسة من يسب ويستهزأ بدين الله:

من جالسهم وهو راض باستهزائهم يضحك معهم ويمرح، فهو كافر مثلهم خارج عن ملة الإسلام، وإن لم ينطق بما ينطقون به، فليحذر المسلم من مجالسة هؤلاء. ويدل عليه قوله تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٥١]

قال ابن كثير رحمه الله:

(أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقض بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه).[٥٢] اهـ



٥٠ التوبة: ٦٥ – ٦٦.

٥١ النساء: ١٤٠.

٥٢ تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٨٥.

المبحث الثاني:

الإحسان

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإحسان في الإسلام، والفرق بين المحسِن والمحسَن إليه، وفضل الإحسان.

المطلب الثاني: مجالات الإحسان، الفرق بين الإسلام والإيمان، والإحسان.

المطلب الثالث: معاني الإحسان في القرآن الكريم ومراتب الإحسان ومبطلاته.

المطلب الأول:

مفهوم الإحسان في الإسلام، والفرق بين المحسن والمحسن إليه، وفضل الإحسان

- **مفهوم الإحسان في الإسلام لغة وشرعا**

الإحسان لغة: من الحُسن: والحسن نقيض القبح، وحسّنت الشيء تحسينا، أي زيّنته وأحسنتُ إليه وبه.

و الإحسان يدور حول ثلاثة معاني:

١ – التزيين.

٢ – الإنعام على الغير كما يقال: (أحسن إلى فلان).

٣ – الإحسان في الفعل، وذلك إذا علم علما حسنا، أو عمل عملا حسنا.

قال المناوي: (الإحسان شرعا: اسم ظاهر يقيمه إيمان باطن يكمله إحسان شهودي) [٥٣] اهـ.

و قال أبو البقاء الكفوي: (الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنا به كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسنا بنفسه).

فعلى الهمزة في أحسن للتعدية، وعلى الثاني للصيرورة، يقال: (أحسن الرجل) إذا صار حسنا، أو دخل في شيء حسن)[٥٤] اهـ

قال الإمام القرطبي وهو يفسر قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٥٥].

قال: وأما الإحسان فقد قال علماؤنا: الإحسان مصدر أحسن يحسن إحسانا.

---

٥٣ التوفيق على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، ص٤٠ دار عالم الكتب، ط ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م القاهرة.

٥٤ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، ص ٥٣ تحقيق عجنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٥ النحل : ٩٠.

و يقال على معنيين: أحدهما متعدّ بنفسه، كقولك أحسنت كذا أي حسّنته وكلّمته، وهو منقول بالهمزة من حسّن الشيء، وثانيهما متعدّ بحرف جر، كقولك أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينتفع به. قلت: – القرطبي – وهو في هذه الآية مراد بالمعنيين معا؛ لأنه جاء اسما[٥٦].

و عرّفوا الإحسان شرعا: بأنه أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.[٥٧]

- **الفرق بين المحسن والمحسن إليه:**

المحسِن: إن المحسِن الحقيقي هو البارئ سبحانه وتعالى وعلى هذا يقول المناوي: (إن الله تعالى محسن، أي الإحسان له وصف لازم، لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإعداد[٥٨] اهـ.

فالباري سبحانه وتعالى أحسن إلى جميع الخلق بنعمة الإيجاد والإمداد، وأنعم على المؤمنين بنعمة أخرى وهي نعمة الهداية. وأما إطلاق اسم المحسن على الإحسان فهو من باب الاستعارة

المحسَن إليه: والمحسن إليه هو المخلوق، سواء كان إنسانا أو حيوانا، ونحو ذلك، والمؤمن يستشعر إحسان الله تعالى به عندما يخرجه من سجن الشهوات إلى عز الطاعات، ومن سجن الخطايا إلى فرج التوبة، مصداقا لقوله على لسان نبيه يوسف عليه السلام:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾[٥٩].

- **فضل الإحسان:**

وللإحسان فضل كبير في كتاب الله تعالى: قال الباري عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٦٠]

---

٥٦ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ١٠/ ١٦٦، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م القاهرة.

٥٧ كتاب التعريفات علي بن محمد الجرجاني، ص١٢، تحقيق جماعة من العلماء دار الكتب العالمية، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت.

٥٨ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي ٢/ ٢٦٤، مكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ، مصر.

٥٩ يوسف : ١٠٠.

٦٠ آل عمران : ١٣٤.

﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.[٦١] ﴿فَأَثَابَهُمُ اللّه بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾. [٦٢] ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٦٣] ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٦٤] ﴿وَإِنَّ اللَّه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [٦٥] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.[٦٦]

المطلب الثاني:

مجالات الإحسان والفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان

للإحسان مجالات كثيرة في حياة المسلم نتحدث عن بعض منها، وبما يخص المعنى الأهم للإحسان، وهو الإتقان في أداء العمل أو العبادة تؤديها فمن ذلك:

أ – الإحسان في أداء العبادات ومنها الصلاة: قال رسول الله ﷺ:

(أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته) قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: (لا يتم ركوعها ولا سجودها) أو قال: (لا يقيم صلبه في الركوع والسجود).[٦٧]

و قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإحسان:

(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٦٨]، وهو الخشوع في الصلاة وهو من إحسانها أو إتقانها، وفيه يقول الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.[٦٩]

---

٦١ النحل : ١٢٨.

٦٢ المائدة : ٨٥.

٦٣ الأعراف : ٥٦.

٦٤ الحج : ٣٧.

٦٥ العنكبوت : ٦٩.

٦٦ يونس : ٢٦.

٦٧ مسند أحمد، ٣٧/ ٣١٩، رقم (٢٢٦٤٢)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ٣٥٢، رقم ٨٣٥ حديث صحيح على شرط الشيخين.

٦٨ البخاري، كتاب التفسير باب قوله إن الله عنده علم الساعة رقم (٤٧٧٧)؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب ربين الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (١).

٦٩ المؤمنون : (١ – ٢).

ب – الإحسان في بناء العلاقات الاجتماعية:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[٧٠] .

و هناك أمور مهمة ينبغي للمسلم أن يتقيد بها كي يكون سويا في بناء علاقاته الاجتماعية، وهي داخلة في الإحسان الذي هو بمعنى الإتقان، وهي ثابتة في الأدلة الآتية:

١ – إحسان القول: قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[٧١]، ويقول تعالى أيضا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [٧٢].

٢ – إحسان الاستماع: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [٧٣].

٣ – إحسان الجدل – الحوار – قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٧٤]

٤ – إحسان التحية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [٧٥]

٥ – إحسان القرض والمطالبة به قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٧٦]

٦ – إحسان الطلاق: قال ﷻ: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٧٧] .

---

٧٠ النساء : ٣٦.
٧١ البقرة : ٨٣.
٧٢ فصات : ٢٣.
٧٣ الزمر : ١٨.
٧٤ النحل : ١٢٥.
٧٥ النساء : ٨٦.
٧٦ البقرة : ٢٤٥.
٧٧ البقرة : ٢٢٩.

ج – الإحسان في أداء الأعمال الدنيوية:

من صناعة وتجارة، وزراعة، وطب، وطرق تدريس، وما شابه ذلك قال رسول الله ﷺ: (إن الله ﷻ كتب الإحسان على كل شيء[٧٨]، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة[٧٩]، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد شفرته[٨٠]، وليرح ذبيحته). [٨١]

و هناك آيات تثبت للإحسان جزاء مطلقا عن الزمان، فقد يكون دنيويا عاجلا، وقد يكون أخرويا آجلا، يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٢] .

﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٨٣] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾[٨٤] .

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٥].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٨٦].

فالله ﷻ لا تضره إساءة العبد، كما لا ينفعه إحسانه، فالتاجر– على سبيل المثال – إذا كان سمحا في بيعه وشرائه ونصوحا لزبائنه، ومتقنا في انتقاء بضاعته، فهو بحق تاجر محسن، تكثر زبائنه، ويعظم ربحه، وهذا في الدنيا، وله في الآخرة أجر عظيم، قال رسول الله ﷺ:

(التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يقوم القيامة). [٨٧]

---

٧٨ كلمة على كل شيء، على بمعنى (في).

٧٩ القِتلة: بكسر القاف للنوع، وإحسان القتلة أن لا يميل ولا يزيد في الضرب بأن يبدأ في الضرب في غير المقابل من غير حاجة .

٨٠ شفرته: الشفرة السكين العظيم. ومعنى وليحد أي أن يجعلها حادة سريعة في القتلة.

٨١ ابن ماجه، باب إذا ذ بحتم فأحسنوا الذبح، ٢/ ١٠٥٨ رقم (٣١٧٠) حديث صحيح.

٨٢ التوبة : ١٢٠.

٨٣ الرحمن : ٦٠.

٨٤ الكهف : ٣٠.

٨٥ البقرة : ٥٨.

٨٦ الإسراء : ٧.

٨٧ السنن الكبرى للبيهقي باب كراهية اليمين في البيع، ٥/ ٤٣٧، رقم (١٠٤١٦)؛ الترمذي باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ رقم (١٢٠٩).

- **الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان:**

– الإسلام والإيمان إذا قرن أحدهما بالآخر فالمقصود بالإسلام: الأعمال الظاهرة، وهي الأركان الخمسة، والمقصود بالإيمان: الأعمال الباطنة، وهي أركان الإيمان الستة، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

– وأما دائرة الإحسان فهي أعم من دائرة الإيمان، ودائرة الإيمان أعم من دائرة الإسلام، فالإحسان أعم من جهة نفسه؛ لأنه يشمل الإيمان، فلا يصل العبد إلى مرتبة الإحسان إلا إذا حقق الإيمان، والإحسان أخص من جهة أهله، لأن الإحسان ثلة من أهل الإيمان، فكل محسن مؤمن وليس كل مؤمن محسنا.

– والإيمان أعم من الإسلام من جهة نفسه؛ لأنه يشمل الإسلام، فلا يصل العبد إلى مرتبة الإيمان إلا إذا حقق الإسلام، والإيمان أخص من جهة أهله؛ لأن الإيمان طائفة من أهل الإسلام، ليسوا كلهم، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا.

المطلب الثالث:
معاني الإحسان في القرآن الكريم و مراتب الإحسان و مبطلاته

- **معاني الإحسان في القرآن الكريم**

جاء كلمة الإحسان في كتاب الله ﷻ لتخرج عن دلالة الكلمة إلى معان جديدة، فمن معانيها الإيمان مثل قوله تعالى: ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ**﴾[٨٨] أي أنهم أحسنوا بإعلان إيمانهم فأثابهم الله ﷻ، وكذلك قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[٨٩] وخرجت لفظة الإحسان عن معناها التقليدي إلى معان أخرى في القرآن الكريم مثل الصبر، يقول تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٩٠] وقوله تعالى أيضا: ﴿**وَإِنَّ اللَّه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٩١]. وهذه المعية هي

٨٨ المائدة: ٨٥.
٨٩ الصافات: ٧٩ – ٨٠.
٩٠ هود: ١١٥.
٩١ العنكبوت: ٦٩.

معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم، ولعل هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الصبر والتي تعني الصبر مع الله تعالى، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها، وهو صبر الصادقين.

و من معاني الإحسان في كتاب الله ﷻ أيضا معنى الطاعة، مثل قوله تعالى:

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٩٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[٩٣] .

و الدليل على أن الإحسان يعني الطاعة حينا والمعروف حينا آخر أن الله ﷻ عند ما أوصى الإنسان بوالديه إحسانا قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٩٤] وقال أيضا: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ﴾[٩٥] فنفى الطاعة مع طلب الشرك، وأثبت المعروف الذي يجب لهما حتى مع دعوتهما له إلى الشرك فكان الإحسان لهما ثابتا في الحالتين.

و من معاني الإحسان في القرآن الكريم معنى الصدق، الذي هو فضيلة تصون المرء من الذلل وكما قال الصالحون الأقدمون:

(إن الصدق هو الطريق الأقوم، الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبالصدق تميّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أزاله وصرعه) [٩٦] اهـ.

و الإيمان أساس الصدق، والنفاق أساس الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان وأحدهما محارب للآخر، ولقد أخبر الحق ﷻ: أنه في يوم الدين لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى:

---

٩٢ الصافات: ١٠٤ – ١٠٥.

٩٣ التوبة: ١٠٠ .

٩٤ العنكبوت: ٨.

٩٥ لقمان: ١٥.

٩٦ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ٦/ ٢٤٧٥، دار الوسيلة، ط٤ جدة.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٩٧].

و من أبرز معاني الإحسان في القرآن الكريم العمل الصالح، والآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾[٩٨].

و قد يأتي الإحسان في كتاب الله ﷻ بمعنى السعادة، وماهية السعادة لذة في الفؤاد بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولد من إدراك حالة تسمى السعادة والسرور يقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[٩٩] يفهم من كلام الحق تعالى من الآية أنه يقول أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح له الحسنى في الدار الآخرة، أما قوله تعالى: وزيادة: هي تضعيف ثواب الأعمال ويشمل ما يعطيهم الله في الجنة من القصور والحور، والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم.

و يأتي الإحسان أيضا بمعنى التفضيل، كقواه تعالى:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١٠٠]

وهذا قسم من الله ﷻ مؤكد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئها.

فالإحسان في صورته العليا صفة بارئنا ﷻ؛ لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة أن يتصف الله بها، يقول ربنا تعالى:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[١٠١].

---

٩٧ المائدة: ١١٩.

٩٨ الكهف: ٣٠.

٩٩ يونس: ٢٦.

١٠٠ النحل: ٩٦.

١٠١ النمل: ٨٨.

- **مراتب الإحسان**

– مراتب الإحسان: إن للإحسان مراتبا، ولا تتحقق إلا بالأمور الآتية:

أولها: مرتبة المراقبة والمشاهدة والخوف من الله ﷻ وخشيته:

وهذه المراقبة فهي أن يعبد الإنسان ربه على وجه الحضور، وكأنه يرى الله ﷻ بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته والجزاء من جنس العمل، فمن عبد الله على هذه الكيفية في الدنيا، كان جزاؤه أن ينظر إلى وجه الله الكريم عيانا في الآخرة،كما قال الحق سبحانه وتعالى: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[١٠٢].

ثانيها: مرتبة الحياء من الله سبحانه وتعالى:

و أما هذه المرتبة فهي ناتجة عن معرفة العبد بأن الله – ﷻ – يراه على أي حال، ويطلع عليه في أمر من أمره، فيستحيي العبد من خالقه أن يجده، حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، فيكون بذلك قد جعل الله ﷻ أهون الناظرين إليه. وقد قال تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[١٠٣] .

وكان وهيب بن الورد يقول: (خَفِ الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربه منك) [١٠٤] اهـ. وقال له رجل: عظني، فقال: (اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك) [١٠٥] اهـ.

و قد دل القرآن على قرب الرب – سبحانه وتعالى– من عباده واطلاعه عليهم في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١٠٦] .

---

١٠٢ القيامة : ٢٢ – ٢٣.

١٠٣ النساء : ١٠٨.

١٠٤ دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ لشحاتة محمد صقر، ١/ ١٩٤، دار الفرقان للتراث – البحيرة .

١٠٥ المرجع السابع ١/ ١٩٤.

١٠٦ البقرة : ١٨٦.

ثالثها: مرتبة الأنس بالله ﷻ والاطمئنان إليه:

وعن أبي أسامة قال: (قلت لمحمد بن النضر الحارثي: كأنك تكره أن تزار؟ فقال: أجل. قلت: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني) [١٠٧] اهـ.

و قال غزوان بن زيد الرقاشي:

(لله علي أن لا يراني الله ضاحكا حتى أعلم أي الدارين داري) [١٠٨] اهـ. وكأن أصحاب غزوان يقولون له: (ما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ فيبكي عند ذلك ويقول: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي) [١٠٩] اهـ.

و قال بشر الحافي: (من عامل الله بالصدق استوحش من الناس) [١١٠] فهؤلاء القوم استأنسوا بالله ﷻ – واطمأنوا إليه، فلم يعوزهم إلى غيره، بل جعل لهم من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل بلاء عافية.

و قد بلغ نبينا – عليه الصلاة والسلام – الغاية في ذلك، لأنه أكمل البرية فما انقطع عن الناس وما أغلق الأبواب، وما وضع الحجاب وما سكن الجبال والكهوف ليختلي بالله ﷻ وإنما كان يجالس أصحابه، ويمشي في حاجة الأرملة والمسكين، ومع ذلك كان في أنس دائم بالله تعالى وكان السبب ممدودا بينه وبين الله تعالى، قال عبد الله بن عمر ﷺ: إن كنا لنعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة (رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم) [١١١].

---

١٠٧ صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٢/ ٩٢، تحقيق أحمد بن علي، ط، ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

١٠٨ المرجع السابق ٢/ ١٤٨.

١٠٩ صفة الصفوة، ٢/ ١٤٨، وكشف الكربة في وصف أهل الغربة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحسن البغدادي ثم الدمشقي ط٣٣ تحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ط٢، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣م.

١١٠ التبصرة لابن الجوزي، باب المجلس الثامن في ذكر العزلة ص٢٩٠، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م بيروت.ومختصر منهاج القاصدين، الفصل الثالث في الصدق وحقيقته وفضله ص٣٦٨، مكتبة دار البيان، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، دمشق.

١١١ سنن أبي داود، باب في الاستغفار رقم ١٥١٦، ٢/ ٦٢٧؛ السنن الكبرى للنسائي، كيف الاستغفار رقم ١٠٢١٩ ٩/ ١٧٢. والشاهد من هذا الكلام أنه ينبغي للعبد أن يكون متصلا بالله – تعالى – ذاكرا له، مستأنسا به – تبارك وتعالى – غير مستوحش من فقد الأنس والجليس.

و أعظم ما يكون الإحسان، الإحسان في عبادة الله، الإحسان في توحيد الله تعالى الإحسان في الاعتقادات، بأن يعتقد اعتقادا سليما، ويوحد توحيدا خالصا، لا يشوبه شرك في الربوبية، ولا في الألوهية، ولا إلحاد، ولا تعطيل شيء من الأسماء والصفات كما كان النبي ﷺ وأصحابه والقرون المفضلة. فإن اتباع الرسول ﷺ شرط للإحسان وصحة العمل كما قال تعالى:

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[١١٢] .

أي حقق التوحيد، وهو متبع للرسول ﷺ.

و الإنسان مأمور بأن يحسن في الصلاة، وذلك بأن يستكمل طهارتها، ويستحضر خشوعها، ويستكمل أركانها ويستقصي واجباتها، ويحرص على أداء سننها، وأن يحرص على جماعة المسلمين، ولهذا يكون محسنا في صلاته، فتكون حينئذ ناهية له عن الفحشاء والمنكر ومأمور بأن يحسن في الصيام، بأن يحرص على إكمال صيامه، وإتمام عدته وأن يجتنب المحارم والتي تؤدي به إلى ذهاب الأجر كالغيبة والنميمة وأكل الحرام ونحو ذلك.

و مأمور بأن يحسن في الحج، بأن يحرص على أن يحج من مال طيب حلال مبارك، وأن يجتنب الرفث والفسوق والعصيان،و أن يحج كما أمره الرسول ﷺ، ومأمور بالإحسان في المعاملات أيضا معاملاته للناس بقوله وفعله، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[١١٣] .

- **مبطلات الإحسان:**

و بعد عرض مفهوم الإحسان، وحقيقته، ومعانيه في القرآن الكريم ومراتبه، كان لا بد من البيان عن مبطلاته كي يعي كل محسن مما يجب عليه التفقه، والإدراك، والمحافظة على إحسانه لأن كل من عمل عملا كالصلاة والزكاة، والصيام، والحج والإنفاق في سبيل الله، أو أنفق على معوّز، أو أحسن إلى عباد الله تعالى يجب عليه أن يصون على ما قام به من الأعمال الجليلة وعليه أن يتذكر دوما قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[١١٤] .

---

١١٢ البقرة: ١١٢.

١١٣ البقرة: ٨٣.

١١٤ محمد: ٣٣.

وهذا نهي من المولى ﷻ بعدم إبطال ما أسلفوه من الأعمال، وهذه المبطلات التي عنيت في الآية الكريمة منها:

١ – لا تبطلوا أعمالكم: بالرياء والإعجاب، والملاحظة.

٢ – لا تبطلوا أعمالكم بالمساكنة إليها.

٣ – لا تبطلوا أعمالكم بطلب الأعواض عليها.

٤ – لا تبطلوا أعمالكم بتوهمكم أنه يجب بها شيء، دون فضل الله تعالى، وهذا رد الذين يزعمون أن الطاعة توجب على الثواب ويرى القشيري أنه لا وجوب على الله تعالى فكل من فضل الله [١١٥].

وقد اختلف العلماء في مبطلات الأعمال على أربعة أقوال:

أحدها: المعاصي، والكبائر، قاله الحسن البصري.

الثاني: الشك والنفاق قاله عطاء.

الثالث: الرياء والسمعة، قاله ابن السائت.

والرابع: بالمنّ، وذلك أن قوما من الأعراب قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق فنزلت هذه الآية، ونزلت قوله تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾، هذا قول مقاتل [١١٦].

ومما يبطل الإحسان المن والأذى، فقد أثنى الله تعالى على الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن، فقال تعالى:

﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [١١٧].

---

١١٥ ينظر لطائف الإشارات تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ٣/ ٤١٥، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ – مصر.

١١٦ زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي ٤/ ١٢١، تحقيق عبد الرزاق المصري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ بيروت.

١١٧ البقرة: ٢٦٢.

بعد أن ذكر الله في الآية السالفة فضل الإنفاق في سبيل الله على العموم بيّن في هذه الآية أن ذلك الثواب المضاعف للمنفق إنما هو لمن يتبع نفقته بالمن والأذى، بل أنفق مخلصا لله محتسبا ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ﴾ أي أنفق يريد بنفقته وجه الله تعالى، وثوابه، ولا يرجون من المنفق عليها شيئا، ومتى أنفق الإنسان ليريد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه، لم يرد وجه الله، فهذا إذا أخلف ظنه فيه بإنفاقه وآذى وكذلك من أنفق مضطرا دافِعَ غُرم إما لمانّة للمنفَق عليه، أو لقرينة أخرى من اعتناء معتن فهذا لم يرد وجه الله، وإنما يقبل ما كان عطاؤه لله وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله [118].

و المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتُك وشبهه. وقال بعضهم: المن: التحدّث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطَى فيؤذيه.

والأذى: السب والتشكي، وهو أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه [119].

ما يستفاد من الآية الكريمة:

١ – الإشارة إلى الإخلاص لله، ومتابعة الشرع، لقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وليس في أي سبيل آخر.

٢ – أن من أتبع نفقته منا أو أذى، فإنه لا أجر له، لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فإذا أتبع منا، أو أذى بطل أجره، أو إحسانه كما هو صريح في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي﴾ [120]

٣ – أن المن والأذى يبطل الصدقة، أو المعروف الذي صنعته، وعليه فيكون لقبول الصدقة شروط سابقة، ومبطلات لاحقة، أما الشروط السالفة فالإخلاص لله والمتابعة، وأما المبطلات اللاحقة فالمن والأذى.

---

١١٨ الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٠٧.

١١٩ المرجع نفسه ٣/ ٣٠٦ – ٣٠٧.

١٢٠ البقرة: ٢٦٤.

٤ – الحث على الإنفاق في سبيل الله لقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

٥ – أن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ويسلمون من المحبطات لا ينالهم خوف في المستقبل ولا حزن على الماضي لقوله تعالى: ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٦ – أن الأعمال الصالحة تتفاضل، ويلزم من تفاضلها تفاضل العامل، وزيادة الإيمان، أو نقصانه.



المبحث الثالث:

فرحة المؤمن بأعماله

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معنى الفرح، وأسبابه.

المطلب الثاني: لذة الأعمال الصالحة والفرق بين لذات الدنيا ولذات الآخرة.

المطلب الأول:

معنى الفرح وأسبابه

- **معنى الفرح:**

معنى الفرح، وقبل البدء بالتعريف نود أن نقدم لمحة عن الفرح، فأقول: وليعلم أن من لوازم الإيمان الفرح، ذلك أن الذي شرّد عن الله ﷻ تغلب عليه الكآبة، كآبة البعد عن الله كآبة الظلمة، ظلمة المعاصي والآثام، كآبة الضياع، كآبة المروق عن فطرته، لذلك يقابل هذه الحالة الكآبية أن المؤمن حينما استقام على أمر الله ينسجم مع فطرته يجد نفسه إذا هو في طمأنينة، لأن فطرة النفس البشرية على منهج الله، فإن طبق منهج الله ﷻ ارتاحت [١٢١] قال تعالى:

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[١٢٢]

معنى الفرح: الفرح مأخوذ من فرح فرحا: رضي، وفي الحديث: (لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها) [١٢٣] ويقال فرح بكذا سرُ وابتهج، والتنزيل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾[١٢٤]. والفرحة: المسرة والبشرى. [١٢٥] و يقول الكفوي: وأما الفرح فهو ما يورث أشرا أو بطرا ولذلك كثيرا ما يذم، كقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، والفرح ما يكون القوة الشهوية [١٢٦].

- **أسباب الفرح:**

أولا: فأول سبب من أسباب الفرح الطمأنينة الناتجة عن طاعة الله ﷻ.

و هذا السبب وهو أن الإنسان حينما يوحد الله ﷻ تجتمع أموره، اعمل لوجه واحد يكفك الأمور كلها، من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله الهموم كلها، وحالة الفرح التي تنتاب المؤمن

١٢١ ينظر كلام الدكتور راتب النابلسي بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ٢٠٤م.

١٢٢ الرعد : ٢٨.

١٢٣ مسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة، والفرح بها، رقم (٢٦٧٥).

١٢٤ الروم : ٤ – ٥.

١٢٥ معجم الوسيط، مادة فرح ٢/ ٧١٢.

١٢٦ الكليات للكفوي ص ٥٠٨. ط ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

يكون أولا باستقامته على أمر الله، اصطلح مع فطرته، فأراحته نفسه؛ لأنه أراحها، حينما طبق منهج الله ﷻ ارتاحت نفسه.

ثانيا: المؤمن بسبب توحيده لله مجتمع على الله بينما المشرك مبعثر يرضي عمرو وزيدا إن أرضى عمروا غضب زيد، إن أعطى عبدا آخر غضب الآخر أمر لا ينتهي، لذلك اعمل لوجه واحد يكفك الهموم كلها.

و تعلم جميعا أن من آمن بالله حثيثة الإيمان يدرك أن الإسلام ليس فيه كآبة، ليس فيه تشاؤم ولا حقد، المؤمن موحّد. قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[١٢٧].

المشاعر المؤلمة التي تنتاب المشرك أو العاصي، المؤمن معافى منها، عنده راحة نفسية ناتجة من أن فطرته أراحته؛ لأنه أراحها حينما أطاع الله تعالى، والحق سبحانه يقول:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[١٢٨]، (يجمعون) لها دلالة، المرء أحيانا يطوف لتحصيل أرزاقه، لكن حينما ينال هذه الأرزاق، وتستقر أموره ينشأ عنده هم آخر، يريد أن يلم أكبر ثروة ممكنة، يدخل بمنافسة مع الآخرين منافسة هدفها قذر، ويود التنافس أيضا مع الآخرين على الدنيا لا على الآخرة فهذا الترنّه الشديد إلى الجمع والتنافس، والفخر هو الذي يسبب له الشقاوة، لذلك المولى ﷻ يوجه عباده المؤمنين[١٢٩]:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

أما فضل الله؛ قال بعض العلماء: هو فضل الإسلام، وأما رحمته فهي القرآن،وبرحمته تعلمت القرآن وتلوته حق تلاوته، وفهمته حق فهمه، ثم عملت به فهذا أكبر إنجاز تحققه في الدنيا.و بعضهم قال: فضل الله هو القرآن، ورحمته أن جعل الإنسان من أهله، الذي يتلو القرآن، يفسر القرآن، يعمل بالقرآن هذا من أهل القرآن.[١٣٠]

---

١٢٧ الشعراء : ٢١٣.

١٢٨ يونس : ٥٨.

١٢٩ ينظر: كلام الدكتور: راتب النابلسي بتاريخ ٢٠٠٤م.

١٣٠ ينظر: تفسير الفرطبي، ٨/ ٣٥٣.

و هناك فرح مطلق وفرح مقيد، والفرح المطلق غير المقيد بشيء، قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾[١٣١] ولماذا مطلقة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[١٣٢] لما خرج قارون على قومه بزينتة وافتخر بها قيل له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الفرح هنا مطلق، لكن سياق الآية يجعله مرتبطا بالدنيا.

و المقيد – أي الفرح – قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[١٣٣]

من عقاب الله تعالى للشارد عنه لا يسقطه إلا من علٍ، يصعد به إلى أعلى، ثم فجأة يقصمه، الإنسان تأتيه الدنيا من أطرافها، يختل توازنه، يستعلي، يتكبر، يهمل الفقراء والمساكين، يعلو عليهم، ليس عنده وقت ليلتقي بهم، مشغول، فجأة يقصمه الباري ﷻ من علٍ.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[١٣٤]

هناك شيء آخر في حالة تشابه الفرح هي الاستبشار، قال تعالى:

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾[١٣٥] .

والاستبشار بما لم يحصل بعد والفرح بما حصل، لكن أحد أسباب فرح المؤمن هو استبشاره أن الله وعده بالجنة، فهذا الوعد بالجنة يمتص كل متاعب الدنيا.

و الإنسان حينما يتوعده بالنار يرى أي شيء نقص من لذته في الدنيا يقيم الدنيا ولا يقعدها؛ لأنه ليس له شيء في الآخرة، ليس له إلا الدنيا، فإن لم تكن كما ينبغي ينتحر فورا، أما المؤمن فكل متاعب الدنيا تمتص بوعد الله له، إذ يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[١٣٦] .

---

١٣١ القصص : ٦٧.
١٣٢ القصص : ٦٧.
١٣٣ الأنعام : ٤٤.
١٣٤ الأنعام : ٤٤.
١٣٥ آل عمران : ١٧٠.
١٣٦ القصص : ٦١.

و لنضرب أمثلة على ما أسلفنا من الكلام:

هب أن امرأة لم تكن على جانب من الجمال، ما الذي ينسيها هذا النقص؟ وعد الله لها بالجنة تجدها مستقيمة، قد لا تلفت النظر، لكن عند الله لها منزلة عظيمة.

إنسان فقد بصره ما الذي ينسيه هذه المصيبة؟ أنه إذا رضي بقضاء الله تعالى وعده الله بالجنة.

و الآخر ساخط، وهو في قمة الغنى، ساخط وهو في قمة اللذات، هكذا اقتضت حكمة الله أن ينح الصحة، والذكاء والمال والجمال للكثيرين من بريته، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين [١٣٧].

المطلب الثاني:

لذة الأعمال الصالحة، والفرق بين لذات الدنيا والآخرة

- **لذة الأعمال الصالحة:**

إن مولانا سبحانه وتعالى بعظمته وحكمته خلقنا لعبادته، ومن عرف العبادة حق المعرفة وذاق حلاوتها اجتهد في سبيل الوصول إلى أعلى درجاتها، فكل طاعة يقوم بها العبد هي سبيل إلى السعادة والراحة في الدارين، فمن أراد أن ينال الرضا والرضوان ومجاورة الكريم المنان فليسع للحصول على هذه اللذة، التي لا يستطيع أحد النيل عليها إلا بمحبة الله والتعلق به، والتوكل عليه والتلذذ بطاعته، والعمل بما يرضيه [١٣٨]

إن للأعمال الصالح ثمرات كثيرة في الدنيا ة والآخرة يمن الله ﷻ على من اختاره من عباده للتلذذ بنعيم قربه ومناجاته، وسبيل النيل على لذة الطاعة يحتاج لأسباب، لو التزم بها العبد نال مقصوده، ولمّ بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١٣٩] .

---

١٣٧ ينظر: ومضات ولقطات إيمانية – الدرس (٣٢-٦٤) للدكتور راتب النابلسي. ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٤.

١٣٨ ينظر: منبر الجمعة د. عبد الله بن محمد الطيّار، ألقيت بتاريخ ٦/ ١١/ ١٤٢٨هـ – ١٠/ ٨/ ٢٠١٠م.

١٣٩ النحل : ٩٧.

فالعمل الصالح ثمرته عظيمة ونفعه جليل، ويكفي المؤمن شرفا أن ينال الحياة الطيبة في الدنيا قبل أن ينتقل إلى الحياة الطيبة في الآخرة، وذلك عن طريق العمل الصالح الخالص لله والمتبع فيه لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا سعادة للمرء إلا بسلوك طريق العبادة التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين، وكلما كان العبد أحرص على أداء العبادة على الوجه الذي يرتضيه مولاه كان السبيل للحصول على اللذة سهلا وميسرا.

قال الحافظ ابن رجب:

(الإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب، كما يذاق حلاوة الطعام والشرب بالفم؛ فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا أسلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي) [١٤٠] اهـ.

قال وهيب بن الورد وقد سئل:

(هل يجد العاصي حلاوة الطاعة؟ قال: لا، ولا من همّ بمعصية) [١٤١] اهـ.

و قال ذو النون:

(كما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب) [١٤٢] اهـ.

---

١٤٠ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن رجب ١/ ٥٠، تحقيق جماعة من العلماء، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، المدينة المنورة.

١٤١ قوت القلوب في معاملة المحبوب، محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي، ١/ ٣١٠، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م - بيروت.

١٤٢ صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٤٤٥.

و لن يتم النيل على لذة العبادة والعمل الصالح إلا بمحبة الخالق ومشاهدة برّه وإحسانه وآلائه ورؤية نعمه الظاهرة والباطنة فمن أحب الله تعالى أحب كل عمل يحبه، والمحبة شيمة الصادقين، وسبيل المكثرين، فمن سلك طريقها تلذذ بالعبادة وتعلق قلبه بها واجتهد في الكثير من أنواعها.

- **الفرق بين لذات الدنيا ولذات الآخرة:**

هناك فروق بين لذات الدنيا ولذات الآخرة لا يعلمها كثير من الناس، ومن ذلك:

– أن ملذات الدنيا يصحبها منغصات كثيرة، بخلاف لذة العمل الصالح فهي لذة خالصة، قال ابن القيم رحمه الله:

(اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها مثمرة للألم بعد انقضائها...) [١٤٣] اهـ.

– أن لذة العمل الصالح دائمة في الدنيا والآخرة، بخلاف لذة الدنيا فهي زائلة في الدنيا قبل الآخرة، فلذة الإيمان والعمل الصالح دائمة خالدة لا تنقطع، أما لذات الدنيا فهي مع ما فيها من منغصات منقطعة في الدنيا فضلا عن انقطاعها في الآخرة

– وفي حديث هرقل أنه قال لأبي سفيان ومن معه:

(و سألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان يخالط بشاشته القلوب...) [١٤٤]

– أن لذة الدنيا يعتري الإنسان الملل من سببها، بل كلما ازداد الإنسان من العمل وفق ما ارتضاه له ربه زادت لذته وتعلقه بها لأنها تقربه إلى بارئه ﷻ.

– أن لذة الدنيا تفوّت على الإنسان لذة الآخرة، بخلاف لذة الأعمال الصالحة فهي مقدمة للذة الأخروية. لذلك فإن من عرف الله ﷻ، وأحبه، وعلم عطاءه وفضله، وأنه عائد إليه

١٤٣ الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين بن قيم الجوزية ص١٩٢، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م – بيروت.

١٤٤ البخاري كتاب بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (٧)

ويجازيه عن كل صغيرة وكبيرة، وأنه واقف بين يديه يسأله عن أنعمه التي وهبها له لتكون عونا له على طاعته بادرا إلى ما يوصله إلى مرضاته وجنته، وأحسن ما بقي من عمره لينال لذته في العاجل والآجل. [١٤٥]

- **آثار الأعمال الصالحة:**

وللأعمال الصالحة آثار أو صور عديدة نذكر بعضها عسى الله أن يوفقنا بنيل اللذة والسعادة في الدنيا قبل الآخرة.

ومن آثار لذة الأعمال الصالحة التي ينبغي للمسلم الحرص عليها ما يلي:

أولا: التوحيد والإيمان ومحبة الله ورسوله: وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [١٤٦].

قال ابن رجب رحمه الله:

(إذا رسخ الإيمان في القلب، وتحقق به ووجد حلاوته وطعمه، أحبه وأحب ثباته، ودوامه، والزيادة منه وكره مفارقته، وكان كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهته الإلقاء في النار) [١٤٧] اهـ.

ثانيا: الصلاة: وعن أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(جُعلت قرة عيني في الصلاة) [١٤٨]

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

(الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها وأكمل خشوعها ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه، فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطا

---

١٤٥ ينظر: فُعالة: د.عبد الله بن محمد الطيار، بتاريخ ٦/ ١١/ ١٤٢٨هـ

١٤٦ البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان رقم (١٦).

١٤٧ فتح الباري لابن رجب، ١/ ٥٦

١٤٨ المعجم الكبير للطبراني رقم (١٠١٢)، ٢٠/ ٤٢٠ والمعجم الصغير للطبراني رقم (٧٤١) ٢/ ٣٩

وراحة حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحة في الدنيا، فلا يزال في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ:

(يا بلال أرحنا بالصلاة، ولم يقل أرحنا منها). [١٤٩]

فالصلاة فيها الراحة، وفيها السعادة، وفيها اللذة التي لا تضاهيها لذة، فمن أحب ربه، وقام بين يديه وركع، وسجد، وتلذذ بمناجاته وقرّ به نال السعادة، وكيف لا ونبينا ﷺ يقول: (جعلت قرة عيني في الصلاة)، وقال: (يا بلال أرحنا بالصلاة).

ثالثا: بر الوالدين، وصلة الأرحام، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

(رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخطهما) [١٥٠]

فمن علم أن بر الوالدين قربة يحبها الله ﷻ، وأنها سبيله إلى الجنة بذل وسعه في طاعتهما، وأحبهما، وتلذذ ببرهما، والإحسان إليهما، وعمل كل شيء في سبيل إرضائهما، فمن ذلك ابتغاء مرضاة الله ﷻ نال السعادة واللذة في حياته وبعد مماته.

رابعا: الإنفاق في سبيل الله: فسعادة المسلم بإنفاقه لا تعد لها سعادة ما دامت في طاعة الله تعالى، فعندما يسمع كلام الله ﷻ الذي قال فيه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾[١٥١]

فيبادر بالإنفاق في سبيله، ويعلم أنه بالصدقة يدخل السرور على مسلم، ويكفي بها مسلما عن السؤال، ويغني بها فقيرا عن الطلب، وسعادته الكبرى عندما يقبلها الله منه فيشعر بالسعادة، والفرح، والسرور وينال لذة النعيم في قلبه. قال تعالى:

---

١٤٩ الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية، ص٢١ تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط٣، ١٩٩٩م – القاهرة – ومسند أحمد رقم ٢٣٠٨٧، (للحديث أرحنا بالصلاة) ورجاله ثقات إلا أنه اختلف على سالم بن أبي الجعد في إسناده.

١٥٠ المعجم الكبير للطبراني رقم ١٤٣٦٨، ١٣/ ٤٩٤ وشعب الإيمان، باب بر الوالدين، رقم ٧٤٤٦،، ١٠/ ٢٤٦

١٥١ البقرة: ٢٦٧

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[١٥٢]

خامسا: العلم: وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة). [١٥٣]

فمن علم أن العلم سبيله إلى الجنة، وأنه يوصله إلى السعادة الأبدية زاد إيمانه وتلذذ بمدارسته وكيف لا وبالعلم يعرف ربه ونعمه وأنعمه، وعظمته، فيتقرب بذلك إلى مولاه، وكلما زاد من العلم زاد إيمانه،و زادت حلاوة تعلقه به؛ لأنه يقربه إلى ربه وجنته.

سادسا: قراءة القرآن: قال عثمان بن عفان ﷺ:

(لو طهُرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم) [١٥٤] اهـ.

وقال ابن مسعود ﷺ:

(لا على أحدكم أن يسأل إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله) [١٥٥] اهـ.

سابعا: غض البصر: قال ابن القيم رحمه الله:

(غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر: أحدهما: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى، فإن من ترك شيئا لله عوّضه الله ﷻ خيرا منه...) [١٥٦] اهـ.

---

١٥٢ الأنعام: ١٢٥

١٥٣ البخاري كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، رقم ٦٧.

١٥٤ التبصرة لابن الجوزي، ص٣٨٠، الكلام على البسملة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، بيروت.

١٥٥ قوت القلوب لأبي طالب المكي، ١/ ١٠٤ وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ١/ ٢٧٣، الباب الأول في فضل القرآن وأهله، دار المعرفة، دون ذكر تاريخ الطبعة - بيروت

١٥٦ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، الباب الثاني في زكاة القلب، ١/ ٤٧، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

فالذي يغض بصره يشعر بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة والقرب من الرحمن، فالذي يترك المعصية من أجل مولاه، يمن عليه بأفضل مما ترك من أجله، وهذا في الدنيا، فما بال المسلم عند ما يلقى الله تعالى فيعطيه عطاء ليس بعده عطاء؛ لأنه خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ورجا رضاه، وترك المعصية من أجله.

ثامنا: التوبة من الذنوب والمعاصي قال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١٥٧]

ففي الآية الكريمة خاطب الباري ﷻ خيار بريته أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم، وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة.



١٥٧ النور: ٣١

المبحث الرابع:

الخلق الحسن

ويتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الأخلاق وأقسامها وفضائلها وأنواعها.

المطلب الثاني : السلوك وأنواعه.

المطلب الثالث : أهمية الأخلاق في حياة البشر.

المطلب الأول:
مفهوم الأخلاق، وأقسامها، وفضائلها وأنواعها

- **مفهوم الأخلاق و أقسامها:**

معنى الخلق لغة: السجية، والطبع، والمروءة، والدين [١٥٨].

وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه،و أوصافها، ومعانيها المختصة بها، بمنزلة: الخَلق لصورته الظاهرة، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة.

وشرعا: فالخلق: حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية، وجمعه أخلاق.

و الأخلاق: علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه

القسم الثاني: ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه حتى يكون ملكة وخلقا.

أما السلوك: فهو سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك، أو سيء السلوك.و السلوك: عمل إرادي، كقول: الكذب، والصدق، والبخل، والكرم، والشجاعة، وغير ذلك [١٥٩].

---

١٥٨ القاموس المحيط، محيي الدين أبو طاهر، الفيروز آبادي ص٨٨١ تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٥٩ الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص٥ مطبعة سفير – الرياض.

فتبين أن الخلق حالة راسخة في النفس وليس شيئا خارجا مظهريا، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولا بد لنا من مظهر يدلنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو: السلوك، فالسلوك: هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمرة لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذا كان السلوك حسنا دل على خلق حسن، وإن كان السلوك سيئا دل على سلوك قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمرة، فكذلك الخلق الحسن يعرف بالأعمال الطيبة.

- **فضائلها وأنواعها:**

– فضائل الخلق الحسن:

أولاً: الخلق الحسن من أعظم روابط الإيمان، وأعلى درجاته، لقوله عليه الصلاة والسلام: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقا) [١٦٠] .

ثانيا: الخلق الحسن من تخلق به كان من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وأقربهم منه مجلسا يوم القيامة:

(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) [١٦١].

ثالثا: الخلق الحسن يجعل المسلم من خيار الناس مطلقا، ولا يكون كذلك إلا بالتخلق بهذا الخلق العظيم، قال النبي ﷺ :

(إن من خياركم أحسنكم أخلاقا) [١٦٢].

و قال الشوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ❁ فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وإنما الأمم الأخـــــلاق فإن ❁ تولت مضوا في أثرها قدما [١٦٣]

---

١٦٠ الترمذي، كتاب الرضاع،باب حق المرأة، على زوجها رقم ١١٦٢؛ سنن البيهقي، باب بيان مكارم الأخلاق ومعالمها، رقم ٢١٣٠٢ ١٠/ ١٩٢.

١٦١ شعب الإيمان، باب حسن الخلق، رقم (٧٦٢٢)، ١٠/ ٣٥٩.

١٦٢ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم (٢٣٢١).

١٦٣ ينظر: كتاب أبيات مختارة.اعبد الله بن محمد البصري ص ٦٨، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١، مطابع الحميضي.

رابعا: الخلق الحسن من أعظم القربات وأجل العطايا والهبات،؛ ولهذا قال النبي ﷺ:

(ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذي) [١٦٤] .

خامسا: الخلق الحسن يدرك المسلم به درجة الصائم، قال ﷺ:

(إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) [١٦٥] .

سادسا: الخلق الحسن خير من الدنيا وما فيها؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو:

(أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طُعمة) [١٦٦] .

سابعا: يحصل بالخلق الحسن: جوامع الخيرات والبركات قال النبي ﷺ:

(البر حسن الخلق) [١٦٧] .

ثامنا: الخلق الحسن هو وصية رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين فقد أوصى به عليه الصلاة والسلام، معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن واليا، وقاضيا، وداعيا إلى الله، فقال له:

(وخالق الناس بخلق حسن) [١٦٨] .

تاسعا: الخلق الحسن ذو أهمية بالغة: لأن الله تعالى أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه، وعظم شأنه، فقال ﷻ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [١٦٩] . وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [١٧٠] . وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [١٧١] .

---

١٦٤ الترمذي باب ما جاء في حسن الخلق، رقم ٢٠٠٢، ٤/ ٣٦٢ وصححه الألباني.

١٦٥ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، باب حسن الخلق رقم ٤٨٠، ٢/ ٢٢٨؛ أبو داود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق رقم ٤٧٩٨، وصححه الألباني، ٣/ ٩١١.

١٦٦ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رقم (٦٧٠٦) ٤/ ١٧١؛ مسند أحمد رقم ٦٦٥٢ ٢/ ١٧٧، وإسناده صحيح.

١٦٧ مسلم كتاب البر والصلة، والآداب باب تفسير البر والإثم، برقم (٢٥٥٣).

١٦٨ الترمذي كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧) وحسنه الألباني ٢/ ١٩١.

١٦٩ الأعراف : ١٩٩.

١٧٠ القلم : ٤.

١٧١ السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٩٢، والأحاديث الصحيحة للألباني، رقم ٤٥، ١/ ٧٥.

عاشرا: الخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية والاستقامة؛ ولهذا من تتبع سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله ﷻ، ثم بفضل حسن خلقه،عليه الصلاة والسلام، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم.....

فهذا يُسلم ويقول:

(و الله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى الله من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ)[١٧٢].

و ذاك يقول: (اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا) [١٧٣] تأثر بعفو النبي ﷺ.

والآخر يقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه) [١٧٤].

الحادي عشر: الخلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذلك ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى أن يهديه للخلق الحسن وكان يقول:

(اللهم كما أحسنت خَلقي فحسن خُلقي) [١٧٥] .

الثاني عشر: الخلق الحسن يحبّب المسلم إلى الناس جميعا حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه، أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه الساعية، لأن الدعاة إلى الله تعالى لا يسعون الناس بأموالهم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق. [١٧٦]

---

١٧٢ البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة برقم ٤٣٧٢.

١٧٣ البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٠).

١٧٤ مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم (٥٣٧).

١٧٥ البيهقي شعب الإيمان، ٦/ ٣٦٥ رقم (٨٥٤٥)؛ مجمع الزوائد، رقم (١٧٣٦٣)، ١١/ ٤٣ وصححه الألباني في إرواء الغليل ١/ ١٣٣.

١٧٦ المستدرك على الصحيحين، رقم (٤٢٧) ١/ ٢١٢ والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، رقم (٢٥٤٥)، ١/ ٣٩٠

الثالث عشر: من لم يتخلق بالخلق الحسن من المسلمين ينفّر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم، ولو كان ما يقوله حقا، قال الحق سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١٧٧].

وقال ﷻ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٧٨] .

وغيرها من الآيات التي تتحدث مثل أخواتها.

الرا بع عشر: إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليما نقيا إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام المسلمين بالخلق الحسن، ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم قبل الدعوة إليه، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١٧٩]، فقدم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

الخامس عشر: الخلق الحسن يجعل المسلم مستنير القلب، ويفتح مداركه، فيتبصّر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب الصحيحة، في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص. قال تعالى:

﴿يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[١٨٠].

السادس عشر: الخلق الحسن من أعظم الأسباب التي تنجي من النار وتورث الفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم، وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضا الله ﷻ، وهذا عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام رجلا فقال له: (ما تقول في الصلاة) قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسِن دندنتك، ولا دندنة معاذٍ، فقال ﷺ:

---

١٧٧ آل عمران: ١٥٩.

١٧٨ الشعراء: ٢١٥.

١٧٩ العصر: ١ – ٣.

١٨٠ الأنفال: ٢٩.

(هو حولها ندندن) [١٨١] وهذا يشير إلى أن جميع الأقوال، والدعوات، والأعمال؛ إنما هو من أجل الفوز بالجنة، والنجاة من النار بعد رضا الله تعالى.

السابع عشر: تكفَل الرسول ﷺ ببيت في أعلى الجنة لمن حسّن خلقه، فقال:

(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن يترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلقه) [١٨٢].

الثامن عشر: الخلق الحسن من أسباب النجاة من النار: فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(ألا أخبركم بمن يحرُم على النار، أو بمن تحرُم عليه النار؟ على كل قريب هيّن سهل) [١٨٣].

التاسع عشر: الخلق أكثر ما يدخل به الناس الجنة: فقد سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تقوى الله وحسن الخلق) [١٨٤].

العشرون: صاحب الخلق الحسن خير أمة محمد ﷺ، لقوله عليه الصلاة والسلام:

(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [١٨٥].

الحادي والعشرون: الخلق الحسن يشمل: الحِلم، والأناة، والجود والكرم، والعفو، والصفح، والرفق واللين، والصبر والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق والبر، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والكيّس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص.

---

١٨١ ابن ماجه، باب ما يقال في التشهد والصلاة، برقم (٣٨٤٧) ٢/ ١٢٦٤؛ أبو داود، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة رقم (٧٩٢)، ولفظ: ما أحسن دندنتك: أي كلامك الخفي.

١٨٢ أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق رقم (٤٨٠٢) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٣/ ٩١١.

١٨٣ الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب حدثنا هناد، برقم (٢٤٨٨) وجامع الأصول (٩٣٤٧) ١١/ ٦٩٨ وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/ ٦١١.

١٨٤ الترمذي، كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق برقم (٢٠٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي٢/ ١٩٤.

١٨٥ الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل أزواج النبي ﷺ، برقم (٣٨٩٥) وفي شعب الإيمان، ٦/ ٤١٥، وصححه الألباني في سلسلته الصحيحة ١/ ٥١٣.

الثاني والعشرون: أما الخلق العظيم الذي مدح الله به الرسول عليه الصلاة والسلام فهو الدين كله.

- **أنواع الخلق:**

– الخلق نوعان:

أ – خلق حسن: وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه أقوال، وأفعال جميلة عقلا وشرعا.

ب – خلق سيء: وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا ولقد جاء دعوته عليه الصلاة والسلام إلى فضائل الأخلاق السامية، وعن أسامة بن شريك قال: (كنا جلوسا عند النبي عليه الصلاة والسلام كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس..... فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: (أحسنكم أخلاقا) [١٨٦].

١٨٦ مجمع الزوائد ١٧/ ٥٠.

المطلب الثاني:
السلوك وأنواعه

السلوك هو عمل الإنسان الإرادي المتجه نحو غاية معينة مقصودة، تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية، أو روحية، أو فكرية.

والسلوك نوعان:

١ – خلقي: وهو ما كان نابعا عن صفة نفسية قابلة للمدح، أو الذم، كإ عطاء الفقير، والإنفاق في وجوه الخير حال كونه نابعا عن وجود وكرم، وكذلك الإقدام دفاعا عن الحق، وإزهاقا للباطل حال كونه نابعا عن الشجاعة، فهذه نعوت حميدة؛ لأنها من فضائل الأخلاق، فآثارها تابعة لها في الحكم، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(لا يحقرن أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن عليه مقالا، لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ يوم القيامة ما منعك أن تقول كذا أو كذا؟ فيقول: خشيت الناس، فيقول الله (فإياي كنت أحق أن تخشى) [١٨٧] .

٢ – سلوك إرادي غير خلقي: منه ما هو استجابة لغريزة جسدية كالأكل المباح عن جوع، والشرب المباح عن عطش، فقد يجوع الإنسان فيأكل ملبيا حاجة عضوية، وهنا يمكن القول إن تناوله للطعام بتأثير دوافع الجوع سلوك لا علاقة له بميزان الأخلاق إيجابا أو سلبا، ولكن شرهة(أي الحرص أو الإفراط) الزائد عن الحاجة، والموقع له في المضرة سلوك ناتج عن خلق غير محمود، أما قناعته فيه والتزامه بمقدار الحاجة سلوك أخلاقي كريم، ناشئ عن قوة إرادته العاقلة التي تمنعه عن أقفاص الضرر. و من هذا يتضح لنا الآتي:

١ – أن السلوك إما أن يكون سلوكا خلقيا، وإما أن يكون سلوكا لا علاقة له بالأخلاق.

---

١٨٧ المعجم الأوسط، رقم (٤٨٨٧) ٥/ ١٣٧؛ سنن البيهقي رقم (١٩٩٧١) ١٠/ ٩٠.

٢ – أن السلوك الإرادي غير الخلقي يكون استجابة لغرائز، شريطة أن يكون على قدر الحاجة بغير زيادة ولا نقصان.

و مثال ذلك: الأكل قدر الحاجة سلوك إرادي خلقي إذا كان استجابة لغريزة الجوع فإذا زاد عن الحاجة أو نقص تحول إلى سلوك أخلاقي رذيل،أو ذميم عند الزيادة [١٨٨] ومن خلال البسط السالف يتجلى لنا أن الأخلاق تنقسم إلى لونين:

الأول: الأخلاق الفطرية:

و قد أشارت أحاديث كثيرة أن من الأخلاق ما هو فطري، يتفاضل به الناس في أصل تكوينهم الفطري ومن ذلك: ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) [١٨٩] [١٩٠].

و هذا الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية.

مواقف عملية شاهدة على الأخلاق الفطرية:

أ – هذا أبو بكر ﷺ لم يشرب الخمر قط، ولما سئل: بم كان يتجنبها في الجاهلية؟ فقال:

(كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعا في عقله ومروءته) [١٩١].

---

١٨٨ ينظر: الأخلاق في الإسلام، للدكتور محمد عبد القادر حاتم منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

١٨٩ جامع الأصول رقم (٤٧٩٠)، الفرع السابع في تعارف الأرواح ٦/ ٥٥٩.

١٩٠ معادن: أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها. وجنود مجندة: أي إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح: ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة في مبدأ الكون والخلقة، يقول: إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا، فتأتلف وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل أو التناخر في بدء الخلقة، ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم، والشرّير يحب الأشرار ويميل إليهم. جامع الأصول ٦/ ٥٥٩.

١٩١ معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ١/ ٢٣، تحقيق عادل بن يوسف العزازي دار الوطن ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م م الرياض وتاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ٣٠/ ٣٣٣، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

ب – وهذه خديجة ﵂ – حين جاءها رسول الله أول نبوءته وهو يقول:

(زملوني زملوني) قالت: والله لا يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر [١٩٢].

من خلال عرض المثالين السالفين ندرك أن ذلك كان قبل البعثة ومع ذلك كانت هناك آداب وأخلاق بتأصله فيهم، وقد أقرها الشرع فيما بعد، مثل الكرم، وإكرام الضيف، وغيره مما اتصف به العرب قبل البعثة.

د – عندما بايع رسول الله ﷺ النساء قال: (بايعنني على أن لا يشركن بالله شيئا إلى أن قال: (و لا يزنين) قالت هند بنت عتبة: (هل تزني الحرة؟) فسؤالها يدل على عفة وطهارة، وتلك هي الفطرة السليمة التي فطرهن الله عليها تعرف الحق وتتجه للخير [١٩٣].

ثانيا: الأخلاق المكتسبة:

فكما أن هناك أخلاقا فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كما أن كل إنسان عاقل واع يستطيع بما خوله الباري ﷻ من استعداد عام أن يتعلم نسبة من العلوم، والفنون، وأن يكتسب مقدارا ما من أي مهارة عملية من المهارات.

و تفاوت الاستعداد والطبائع لا ينافي وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية، وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الربانية العامة، ثم ترتقي من بعده مسئوليات لأفراد بحسب ما خول الله كلا منهم من خطر، وبحسب ما أعطى كلا منهم من استعدادات خاصة [١٩٤].

---

١٩٢ البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي رقم (٣).

١٩٣ ينظر: كتاب الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد عبد القادر. موقع الأوقاف السعودية.

١٩٤ ينظر: الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد عبد القادر حاتم منشورات موقع وزارة الأوقاف السعودية.

المطلب الثالث:

أهمية الأخلاق في حياة البشر

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط قوية من الأخلاق الحميدة، ولو فرضنا وجود فئة من الفئات، ومجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، إنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة، والأمانة على أقل التقدير. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد من انسجام المرء لأخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتنافروا مصالحهم، ثم أدى بهم إلى التخريب ثم الدمار.

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب، والأديان والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر أهمية، ولهذا، فقد جعلها مناط الثواب، والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم. قال الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾[١٩٥].

و قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[١٩٦]. بل إن الإسلام يخضع الأعمال العلمية للمبادئ الأخلاقية، سواء كان ذلك في مظِنّات البحث، أو في مظِنّات النشر لتوصيله للناس.

و لقد اهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لا بد منه لاستمرار الحياة الاجتماعية وتطورها من الجهتين المادية والمعنوية، فالمرء – دائما – بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعه عليه وعلى غيره.

---

١٩٥ يونس: ١٢.

١٩٦ هود: ١١٧.

و نحن نعي جميعا ما يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع، وفشا فيه الخيانة والغش، والكذب، والخداع والسرقة، والتلصص، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، والحقوق بكل ألوانها، وتلاشت المعاني الإنسانية أو القيم في علاقات الناس، فلا محبة، ولا نزاهة، ولا تراحم، ولا إخلاص. إنه بلا ريب سيتحول حياة المجتمع جحيما لا يطاق ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، لأن الإنسان بطبعه معوّز إلى الغير، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية، والانتقام.

و هذا الذي ذكرناه منتشرة في هذا العصر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾[١٩٧].

لذا أتى الإسلام بقواعد وموازين يتوجب علينا السير وفقا لها، وهي قواعد وموازين وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه، ومباحث ومحظورات، فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه.

و تمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية، وليست مثالية، كما أنها تؤكد حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن فعله، وتتميز أيضا بأنها إيجابية شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان[١٩٨].

١٩٧ البقرة: ٢٠٥.

١٩٨ ينظر: الأخلاق الإسلامية منشورات الأوقاف السعودية.

المبحث الخامس:

الثبات على دين الله تعالى

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معنى الثبات على دين الله، وعوامل الثبات عند الفتن .

المطلب الثاني: نماذج من ثبات السلف الصالح عند حدوث الفتن والاختلاف.

المطلب الأول:

معنى الثبات على دين الله ، وعوامل الثبات عند الفتن

- **معنى الثبات على دين الله:**

معنى الثبات لغة: من ثبت: أي ثبت الشيء يثبّت ثبوتا دام واستقر، فهو ثابت، وثبت الأمر صح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: أثبته، وثبّته، والاسم الثبات [١٩٩].

و شرعا: هو ثبات، أو لزوم الإنسان المؤمن موقفه الإيماني أو التصديقي عند حدوث الفتن والابتلاءات.

و الثبات على دين الله ﷻ نعمة من الله يمنّ بها على من يشاء من عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٢٠١] .

وقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك) [٢٠٢].

لذلك لجأ الراسخون في العلم، العالمون بالله، الراغبون في طاعته إليه وحده داعينه سبحانه أن يحفظهم من زيغ القلوب ومضلات الأهواء قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٢٠٣] .

فلا يغرك أيها المسلم ركعة صليتها أو ليلة قمتها أو يوما صمته، وأنت لا تدري هل قبل الله ذلك منك أم ردّه عليك فضُرب بذلك العمل على وجهك.

---

١٩٩ المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيّومي، (مادة) ثبت، ١/ ٨٠ المكتبة العلمية دون ذكر تاريخ الطبعة، بيروت

٢٠٠ إبراهيم : ٢٧.

٢٠١ الأنفال، : ٢٤.

٢٠٢ مسلم، كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم ٢٦٥٤.

٢٠٣ آل عمران : ٨.

- **عوامل الثبات عند الفتن:**

إن حاجة المسلم اليوم لعوامل الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جدا لكثرة انتشار الفتن، وقلة الناصر، وغربة الدين.

و من تلك العوامل:

أولا: الإقبال على القرآن العظيم حفظا وتلاوة وعملا، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، وقد أعلم الحق سبحانه وتعالى أن الهدف الذي من أجله أنزل هذا القرآن منجّما هي التثبيت، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾[٢٠٤]

ثانيا: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء﴾[٢٠٥] قال قتادة ﷺ: (أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة ففي القبر)[٢٠٦] اهـ.

ثالثا: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٠٧] فالآيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعا: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٢٠٨].

---

٢٠٤ الفرقان : ٣٢.

٢٠٥ إبراهيم : ٢٧.

٢٠٦ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تأليف أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر ٧/ ٢٢٤٦، تحقيق أسعد محمد الطيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ – السعودية.

٢٠٧ هود، : ١٢٠.

٢٠٨ آل عمران : ٨.

خامسا: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٢٠٩] .

سادسا: الدعوة إلى الله – تعالى – وهي وظيفة الرسل وأتباعهم، قال الحق ﷻ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢١٠]

والمرء إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدى وثباتا على الحق.

سابعا: الرفقة الصالحة، فمصاحبة العلماء والصالحين، والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢١١] .

و في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنسانا: أنه سأل عن رجل عالم فقال:

(من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع أرضك فإنها أرض سوء) [٢١٢].

ثامنا: الثقة بنصر الله، وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة النبي ﷺ في تثبيت أصحابه وهم يعذَبون على الإسلام في أول الدعوة، وروى البخاري من حديث خباب بن الأرت: أنه شكا إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال ﷺ:

(و الله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) [٢١٣].

---

٢٠٩ الأنفال : ٤٥.

٢١٠ يوسف : ١٠٨.

٢١١ الكهف : ٢٨.

٢١٢ البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم ٣٤٧٠.

٢١٣ البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم ٦٩٤٣ .

تاسعا:الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢١٤]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

(من يتصبّر يصبّره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) [٢١٥] .

عاشرا: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٢١٦].

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين والصبر معه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمار وأمه وهم يؤذون في سبيل الله، فقال:

(صبرا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة) [٢١٧].

المطلب الثاني:

نماذج من ثبات السلف الصالح عند حدوث الفتن والاختلاف

إن لثبات الأسلاف عند حدوث الفتن والتعذيب نماذجا كثيرة نذكر بعضا منها:

أولا: ففي غزوة أحد: فجع النبي ﷺ بسبعين من أصحابه، وعلى رأسهم عمه حمزة، لقد أصاب المسلمين القرح في هذه الغزوة، وأصابهم القتل والهزيمة، أصيبوا في أرواحهم، وأصيبوا في أبدانهم بأذى كثيرة وشج وجه النبي ﷺ وأرهقهم المشركون، وأثخن أصحابه بالجراح [٢١٨] .

ثانيا: وفي بئر معونة: فجع أيضا بمقتل سبعين من أصحابه من القرّاء غدرا في موقعة واحدة، وفي معركة اليمامة فاز بالشهادة سبعون، أكثرهم من القرّاء، وكل هذا لم يضعف موقف الصحابة ولم يسلموا لأعدائهم، بل وقفوا ثابتين لنصرة الحق ولإعلاء كلمة التوحيد ومحاربة

---

٢١٤ البقرة : ١٥٣.

٢١٥ البخاري كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله رقم ٦٤٧٠ ؛ مسلم كتاب الزكاة، باب فضل التعفف، رقم ١٠٥٣.

٢١٦ آل عمران : ١٣٣.

٢١٧ المستدرك رقم ٥٦٤٦ ٣/ ٤٣٢، وشعب الإيمان، رقم ١٥١٥ ٣/ ١٧٢.

٢١٨ ينظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٩٧، تحقيق مصطفى السقا مطبعة البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م مصر.

الكفر والشرك والباطل إلى أن وصل هذا الدين القويم إلينا بفضل الله سبحانه وتعالى، فأين أمثال أسود رسول الله ﷺ في هذا العصر [٢١٩] .

ثالثا: الأئمة الأربعة أصيبوا بالأذى والتعذيب من الخلفاء الذين كانوا في عصرهم، ومع ذلك كله ثبتوا مع الحق ولم يغيروا موقفهم.

رابعا: محنة الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجنديسابوري بخلق القرآن في عهدي المأمون والمعتصم [٢٢٠].

في عهد الإمام تداول الفلاسفة كلاما يتعلق بالقرآن، لا تقبله الشريعة، واستمرار الأمر لدرجة أن صدقه بعض الناس فوقف الإمام أحمد مدافعا عن العقيدة – أي القرآن – ووقف في وجهه أصحاب الرأي الآخر يحاربونه ويطلبون منه تغيير موقفه، وهو يأبى... أنه حق جلي وقضية منتهية وسبب إبائه وثباته على الحق سجّن، وكان يقول:

(أنا لا أخاف فتنة السجن فما هو وبيتي إلا واحد.. ولا أخاف فتنة القتل فإنما هي الشهادة.. إنما أخاف فتنة السوط) .

خامسا: ثبات سعيد بن جبير : سعيد بن جبير التابعي الجليل وكان على عهد الحجّاج بن يوسف الثقفي.. الذي كان شديد البطش ظالما سفاحا، فوقف في وجهه سعيد بن جبير وتحداه، وحارب ظلمه حتى قبض عليه فيجئ به ليقتل فسأله الحجاج مستهزئا: ما اسمك؟ وهو يعلم اسمه، قال: سعيد بن جبير، قال الحجاج: بل أنت شقي بن كُسَير، قال سعيد: أمي أعلم باسمي حين سمّتني، فقال الحجاج غاضبا: شقيت وشقيت أمك، فقال سعيد: إنما يشقى من كان من أهل النار، فهل اطلعت على الغيب؟ فبرد الحجاج: لأبدّلنّك بدنياك نار تلظى فقال سعيد: و الله لو أعلم أن هذا بيدك لاتخذتك إلها يعبد من دون الله فقال الحجاج: فلم فررت مني؟ فقال سعيد: ﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ**﴾[٢٢١] فقال الحجاج: اختر لنفسك قتلة يا سعيد فقال سعيد: بل

---

٢١٩ ينظر: المرجع نفسه ٢/ ١٨٣.

٢٢٠ ينظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٤/ ٢٠٧، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م سنة النشر ١٤٢٤هـ – – ٢٠٠٣م دمشق.

٢٢١ الشعراء : ٢١.

اختر لنفسك أنت، فما قتلتني بقتلة إلا قتلك الله بها، فيرد الحجاج: لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا قبل... ولن أقتلها لأحد بعدك، فقال سعيد: إذا تفسد علي دنياي وأفسدت عليك آخرتك، ولم يعد يحتمل الحجاج ثبات هذا الرجل الجليل، فينادي بالحرس: جرّوه واقتلوه فيضحك سعيد وهو يمضي مع قاتله فيناديه الحجاج مغتاظا: ما الذي يضحكك؟ يقول سعيد: أضحك من جرأتك على الله، وحِلم الله عليك، فاشتد غيظ الحجاج، ونادى بحراسه: اذبحوه، فقال سعيد: وجهوني إلى القبلة... ثم وضعوا السيف على رقبته فقال سعيد: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٢٢٢] قال الحجاج: حوّلوا وجهه عن القبلة قال سعيد: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢٢٣]

فلما وضع السيف على حلقه قال: سعيد: بسم الله وبالله وعلى الله وملة رسوله، فقال الحجاج: كبّوه على وجهه فقال سعيد: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾[٢٢٤] فنادى الحجاج: اذبحوه ما أسرع لسانك بالقرآن يا سعيد... فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... خذها مني يا حجاج حتى ألقاك بها يوم القيامة، ثم دعا قائلا: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي، وقتل سعيد... والعجيب أنه بعد موت سعيد صار الحجاج يصرخ كل ليلة: ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي.

و عاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما، وذلك في سنة ٩٥، وكان عمر سعيد بن جبير تسعا وأربعين سنة رحمه الله [٢٢٥].

---

٢٢٢ الأنعام: ٧٩.

٢٢٣ البقرة: ١١٥.

٢٢٤ طه: ٥٥.

٢٢٥ ينظر: نوادر الخلفاء المشهور (بإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس) لمحمد المعروف بديباب الإتلدي ص٥٨، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بيروت. وكتاب المحن، لمحمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي ص٢٣٣ تحقيق: د.عمر سليمان العقيلي. دار العلوم ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الرياض.

الفصل الثاني:

عشر ذي الحجة

و يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول:

استقبال عشر ذي الحجة

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول : عشر ذي الحجة فضائلها، والأعمال المستحبة فيها وكيفية استقبال ذي الحجة.

المطلب الثاني : أحكام يوم عرفة و أدلتها ، و حياة المسلم يوم العيد.

المطلب الأول:

عشر ذي الحجة فضائلها، والأعمال المستحبة فيها وكيفية استقبال ذي الحجة

• **فضائل عشر ذي الحجة:**

قبل الشروع بذكر فضائل ذي الحجة ينبغي لكل مسلم أن يعلم أنه من فضل البارئ سبحانه وتعالى على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات، يستكثرون فيها من العمل الصالح، ويتنافسون فيما يقربهم إلى الله زلفى، والسعيد من اغتنم تلك المواسم، ولم يجعلها تمر عليه مرورا عابرا، ومن هذه المواسم الفاضلة عشر ذي الحجة، وهي أيام شهد لها الرسول ﷺ بأنها أفضل أيام الدنيا، وحض على العمل الصالح فيها؛ بل إن الله تعالى أقسم بها، وهذا يفيد على عظمه وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بعظيم، وهذا يستدعي من العبد أن يجتهد فيها ويكثر من الأعمال الصالحة، وأن يحسن استقبالها واغتنامها.

و إذاكان ذلك كذلك فقد آن أوان ذكر فضائل عشر ذي الحجة وهي كالتالي:

١ – أن البارئ تعالى أقسم بها: وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانيته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بعظيم، قال تعالى: ﴿**وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾[٢٢٦] والليالي العشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر الأقوال: (و الصحيح القول الأول – أي عشر ذي الحجة –) [٢٢٧] .

٢ – أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره: قال تعالى: ﴿**وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**﴾[٢٢٨] وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة منهم ابن عباس وابن عمر ﷺ [٢٢٩].

---

٢٢٦ الفجر : ١ – ٢.

٢٢٧ تفسير ابن كثير ٨/ ٣٩٠.

٢٢٨ الحج : ٢٨.

٢٢٩ ينظر: تفسير القرطبي، ٣/ ٢، وتفسير ابن كثير، ٥/ ٤١٥.

٣ – أن رسول الله ﷺ شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا؛ فعن جابر عن النبي ﷺ قال:

(أفضل أيام الدنيا أيام العشر – يعني عشر ذي الحجة – قيل ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عفّر وجهه بالتراب) [٢٣١].

٤ – أن فيها يوم عرفة: ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتيق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلا.

٥ – أن فيها يوم النحر: وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء قال النبي ﷺ:

(أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرّ[٢٣٢]) [٢٣٣].

٦ – اجتماع أمهات العبادة فيها: قال الحافظ ابن حجر:

(و الذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره)[٢٣٤] اهـ

إذا اتضح لك أيها المسلم فضل العمل في عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، وأن هذه المواسم نعمة وفضل من الباري على عباده، وفرصة عظيمة يجب اغتنامها، وإذا تجلى لك كل هذا فحريّ بك أن تخص هذه العشر بمزيد عناية واهتمام، وأن تحرص على مجاهدة نفسك بالطاعة فيها، وأن تكثر من أوجه الخير وأنواع الطاعات، فقد كان هذا هو حال السلف الصالح في مثل هذه المواسم، قال أبو عثمان النهدي: (كانوا – أي السلف – يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من المحرم) [٢٣٥].

---

٢٣١ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، رقم (١٦٨٧)، باب ذكر الأيام العشر وعيد النحر وفضلها ٢/ ٨٧ وصححه الألباني، ونيل الأوطار، باب الحث على الذكر والطاعة في أيام العشر، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ٣/ ٣٧٢ تحقيق: عصام الدين الطبابطي، دار الحديث ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م مصر.

٢٣٢ القرّ: ثاني يوم النحر سمي بذلك؛ لأن الناس يستقرون فيه بمنى.

٢٣٣ أبو داود، باب الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ، رقم(١٧٦٥)، ٢/ ١٤٨، والمستدرك رقم (٧٥٢٢) ٤/ ٢٤٦،

٢٣٤ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢/ ٤٦٠، ترقيم فؤاد عبد الباقي أشرف على طبعه محب الدين الخطيب دار المعرفة – بيروت

٢٣٥ التبصرة لابن الجوزي، ص١٢٤، ولطائف المعارف لابن رجب، ص٣٥

• **الأعمال المستحبة فيها:**

ومن الأعمال التي يستحب للمسلم أن يحرص عليها ويكثر منها في هذه الأيام ما يلي:

أولا: أداء مناسك الحج والعمرة: وما أفضل ما يعمل في عشر ذي الحجة، ومن يسّر الله له حجّ بيته أو أداء العمرة على الوجه المطلوب، فجزاؤه الجنة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [٢٣٦].

ويراد بالحج المبرور أي الحج الموافق لهدي النبي ﷺ الذي لم يخالطه إثم من رياء أو سمعة، أو رفث أو فسوق وهو الحج المحفوف بالصالحات والخيرات.

ثانيا: الصيام: وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه لعظم شأنه وعلوّ قدره، فقال ﷻ في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) [٢٣٧].

وقد خص النبي ﷺ صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبيّن فضل صيامه فقال: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والتي بعده) [٢٣٨].

وعليه فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة؛ لأن النبي ﷺ حضّ على العمل الصالح فيها، وقد ذهب إلى استحباب صيام العشر الإمام النووي، وقال: (صيامها مستحب استحبابا شديدا) [٢٣٩] اهـ

ثالثا: الصلاة: وهي من أجلّ الأعمال وأعظمها، وأكثرها فضلا؛ ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: (و ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...) [٢٤٠].

---

٢٣٦ البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم (١٧٧٣)

٢٣٧ البخاري كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، رقم (٥٩٢٧)

٢٣٨ مسلم، كتاب الصيام باب مستحبات صيام ثلاثة أيام في كل شهر، وصوم يوم عرفة رقم (١١٦٢)

٢٣٩ المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ٨/ ٧١، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢ هـ، بيروت

٢٤٠ البخاري، كتاب الرقاب، باب التواضع رقم (٦٥٠٢).

رابعا: التكبير والتحميد والتهليل والذكر: فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال:

(ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) [٢٤١].

و يستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به

خامسا: الصدقة: و هي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢٤٢]

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما نقص صدقة من مال) [٢٤٣].

- **كيفية استقبال عشر ذي الحجة:**

حريّ بالمسلم أن يستقبل مواسم الطاعة عامة، ومنها عشر ذي الحجة بأمور:

١ – التوبة: فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة، والعزم الأكيد على الرجوع إلى الباري ﷻ، ففي التوبة فلاح للعبد في داري الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٤٤] .

٢ – العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام: فينبغي على المسلم أن يحرص حرصا شديدا على عمارة هذه الأيام بالأعمال، والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهيّأ له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله؛ قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢٤٥].

---

٢٤١ مسند أحمد رقم (٥٤٤٦)، ٩/ ٣٢٣؛ مسند البزّار رقم (٧٨١٦) ٤/ ٢٤٢، حديث صحيح، وقيل بأن سند يزيد بن أبي زياد ضعيف.

٢٤٢ البقرة: ٢٥٤ .

٢٤٣ مسلم كتاب الأدب، باب استحباب العفو والتواضع رقم ٢٥٨٨.

٢٤٤ النور : ٣١ .

٢٤٥ العنكبوت : ٦٩.

٣ – البعد عن المعاصي والرذائل والمنكرات:

فكما أن الطاعات أسباب للقرب من الله ﷻ، فالمعاصي أسباب للبعد عن الله والطرد من رحمة الله وأنعمه بسبب ذنب يرتكبه، فإن كنت تطمع في مغفرة الذنوب والعتق من النيران، فاحذر الوقوع في المعاصي في هذه الأيام وفي غيرها، ومن عرف ما يطلب، هان عليه كل ما يبذل.

فاحرص أيها المسلم على اغتنام هذه الأيام، وأحسن استقبالها قبل أن تفوتك فتندم، ولات ساعة مندم.

المطلب الثاني:

أحكام يوم عرفة مع أدلتها، وحياة المسلم يوم العيد

- **أحكام يوم عرفة مع أدلتها:**

– فيوم عرفة وهو يوم من أعظم أيام الله تغفر فيه الزلات، وتجاب فيه الدعوات، ويباهي الله بعباده أهل السماوات.

– ويوم عرفة يوم إكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين، ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال أي آية؟ قال:

﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[٢٤٦] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة[٢٤٧].

– ويوم عرفة من مفاخر المسلمين وأعيادهم، ولذا قال عليه الصلاة والسلام:

(يوم عرفة ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهن أيام أكل وشرب)[٢٤٨].

---

٢٤٦ المائدة: ٣.

٢٤٧ البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم ٤٥.

٢٤٨ مسند أحمد رقم (١٧٣٨٩)، ٢٨/ ٦٠٥، إسناده صحيح على شرط مسلم.

– وهو يوم مغفرة الذنوب، والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، فما أجله من يوم، وما أعظمه من موقف، قال عليه الصلاة والسلام:

(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله ﷻ فيه عبد من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ﷻ ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء) [٢٤٩].

– ويوم عرفة جعله الله ﷻ كالمقدمة ليوم النحر، ففيه يكون الوقوف والتضرع، والتوبة والمغفرة، وفي يوم النحر تكون الوفادة والزيارة، ولذا سمي طوافه طواف الزيارة، فبعد أن يطهر الحجاج، من ذنوبهم عشية عرفة، يأذن لهم ربهم يوم النحر في زيارته والدخول إلى بيته، فيوم عرفة كالطهور بين يدي يوم النحر.

وفي الحديث عن بلال بن رباح، أن النبي ﷺ قال له: غداة جمع (يا بلال أسكت الناس) أو (أنصت الناس) ثم قال: (إن الله تطول [٢٥٠] عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم، و أعطى محسنكم ما سأل ادفعوا بسم الله)[٢٥١].

فعلى كل من يطمع في العتق من النار، ومغفرة ذنوبه في هذا اليوم أن يحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة، وأول هذه الأسباب:

– حفظ الجوارح عن المحرمات، وعن ابن عباس، قال: كان فلان رديف رسول الله ﷺ يوم عرفة، قال: فجعل الفتى يلاحظ النساء، وينظر إليهن: قال: وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجهه بيده من خلفه مرارا، قال: وجعل الفتى يلاحظ إليهن، قال: فقال له رسول الله ﷺ:

(ابن أخي، إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له) [٢٥٢]

– ومنها الصيام، قال عليه الصلاة والسلام:

(صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده) [٢٥٣].

---

٢٤٩ ابن ماجه، باب الدعاء بعرفة رقم (٣٠١٤)، ٢/ ١٠٠٣ حكم الألباني بصحته.

٢٥٠ تطوّل: تفضّل.

٢٥١ ابن ماجه، باب الوقوف بجمع، رقم (٣٠٢٤)، ٢/ ١٠٠٦ حكمه الألباني بصحته.

٢٥٢ مسند أحمد، (٣٠٤١)، ٥/ ١٦٥، وصحيح ابن خزيمة باب حفظ البصر والسمع واللسان يوم عرفة رقم (٢٨٣٢)، ٤/ ٢٦٠ والرديف قالوا: هو الفضل بن عباس، قال الأعظمي بأن إسناد الحديث ضعيف لوجود سُكين بن عبد العزيز، ولكن حسين سليم أسد حكم بصحة إسناده. ينظر مسند أبي يعلى الموصلي رقم (٢٤٤١) ٤/ ٣٣٠.

٢٥٣ تقدم تخريجه.

وصيام عرفة إنما يشرع لغير الحاج، أما الحاج فلا يشرع له ذلك اقتداء بالنبي ﷺ، فقد شرب ﷺ بعرفة والناس ينظرون إليه، وما ذلك إلا ليتقوى الحاج على الذكر والدعاء عشية عرفة.

- **الدعاء يوم عرفة:**

ومن أسباب الرحمة والمغفرة الإكثار من الذكر والدعاء في يوم عرفة، وخصوصا شهادة التوحيد؛ فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في هذا اليوم، قال عليه الصلاة والسلام: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) [٢٥٤].

- **حياة المسلم يوم العيد: (أحكام وآداب عيد الأضحى)**

الخير كل الخير في اتباع هدي النبي ﷺ في كل أمور حياتنا، والشر كل الشر في مخالفة هدي نبينا ﷺ ولهذا نود أن نذكر بعض الأمور التي يستحب فعلها أو قولها في ليلة عيد الأضحى، ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة وهي تنحصر في النقاط التالية وهي:

– التكبير: يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾[٢٥٥] وصفته أن تقول: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد)، ويجهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات، إعلانا بتعظيم الله وإظهار ا لعبادته وشكره.

– ذبح الأضحية: ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول النبي ﷺ: (من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله) [٢٥٦].

و وقت الذبح أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام التشريق لما ثبت عن النبي ﷺ قال: (كل أيام التشريق ذبح) [٢٥٧]

---

٢٥٤ سنن الترمذي، رقم (٣٥٨٥) ٥/ ٥٧٢ حديث حسن.

٢٥٥ البقرة: ٢٠٣.

٢٥٦ البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ فليذبح على اسم الله رقم (٥٥٠٠).

٢٥٧ مسند أحمد رقم(١٦٧٥٢)، ٢٧/ ٣١٧، علق الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بأنه: صحيح رقم (٢٤٧٦) ٥/ ٦١٧

– الاغتسال والتطيب للرجال: ولبس أحسن الثياب بدون إسراف، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب، فلا يصح أن تذهب لطاعة الله والصلاة ثم تعصي الله بالتبرج والسفور والتطيب أمام الرجال.

– الأكل من الأضحية: كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم النحر حتى يذبح.[٢٥٨]

– الذهاب إلى مصلى العيد ماشيا إن تيسّر: والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر من مطر مثلا فيصلى في المسجد لفعل النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: (أصاب الناس مطر في يوم عيد على عهد رسول الله ﷺ فصلى بهم في المسجد)[٢٥٩].

– مخالفة الطريق: يستحب للمسلم أن يذهب إلى مصلى العيد من طريق ويرجع من طريق آخر لفعل النبي ﷺ: وعن أبي هريرة ﷺ قال:

(كان النبي ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره)[٢٦٠].

– التهنئة بالعيد: لثبوت ذلك عند صحابة رسول الله ﷺ: فعن واثلة ﷺ قال:

(لقيت رسول الله ﷺ يوم عيد، فقلت: تقبّل الله منا ومنك، قال: نعم، تقبّل الله منا ومنك)[٢٦١].

– ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على أعمال البر والخير من صلة الأرحام، وزيارة الأقارب، وترك التباغض والحسد والكراهية، وتطهير القلب منها، والعطف على المساكين والفقراء، والأيتام ومعاونتهم وإدخال السرور عليهم.

❁

---

٢٥٨ صحيح ابن خزيمة، باب استحباب الأكل يوم الفطر قبل الخروج رقم (١٤٢٦)، ٢/ ٣٤٠، قال الأعظمي: إسناده حسن

٢٥٩ ابن ماجه باب ما جاء في صلاة العيد في المسجد، رقم (١٣١٣) ١٠/ ٤١٦، حكم الألباني بضعفه.

٢٦٠ الترمذي رقم (٥٤١) باب ما جاء في خروج النبي ﷺ إلى العيد في طريق ورجوعه من طريق آخر ٢/ ٤٢٤؛ السنن الكبرى للبيهقي باب الإتيان من طريق غير الطريق التي غدا. رقم (٦٢٥٢)، ٣/ ٤٣٢. وحكم الألباني بصحة الحديث.

٢٦١ ينظر: الجوهر النقي، على سنن البيهقي، علاء الدين بن عثمان الشهير بابن التركماني، ٣/ ٣٢٠، دار الفكر.

المبحث الثاني:

تزكية النفس

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف التزكية وبيان المراد بها، وحكم تزكية النفس وأهميتها للإنسان.

المطلب الثاني: أقسام تزكية النفس ووسائلها.

المطلب الأول:

تعريف التزكية وبيان المراد بها، وحكم تزكية النفس وأهميتها للإنسان

توطئة:

إن الباري سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان مؤلفا من ثلاثة عناصر، هي العقل والبدن والروح. وأشرف هذه العناصر الثلاثة الروح التي هي نفخة غيبية من عند الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢٦٢].

وقد نظم الله تعالى هذه العناصر الثلاثة عناصر الدين فجعل الإسلام لمصلحة الجسم، والإيمان لمصلحة العقل، والإحسان لمصلحة الروح، وجعل التكامل بين هذه العناصر والتوازن بينها مطلوبا، فلا يكون المرء سويا مستقيما إلا بالاعتدال والتوازن بين هذه العناصر فلا بد من العناية بها جميعا والسير بها في خط متوازن، حتى لا يحدث ميل أو اعوجاج في هذه النفس البشرية، فإن من ترنّح إلى أحد هذه العناصر دون غيره وأولاه عناية على حساب الجوانب الأخرى كان إنسانا معوجا غير مستقيم.

وأهم هذه الجوانب وأشدها خطرا هو عنصر الإحسان الذي لا يكمل إيمان المسلم إلا به، وعنصر الإحسان إنما يتعلق بتزكية النفس[٢٦٣].

- **تعريف التزكية وبيان المراد بها:**

التزكية في اللغة: مصدر زكى الشيء يزكيه، ولها معنيان:

المعنى الأول: التطهير، يقال زكيت هذا الثوب أي طهرته، ومنه الزكاء أي الطهارة.

والمعنى الثاني: هو الزيادة، يقال زكى المال يزكي إذا نما، ومنه الزكاة؛ لأنها تزكية للمال وزيادة له[٢٦٤].

---

٢٦٢ الإسراء: ٨٥.

٢٦٣ ينظر: شريط تزكية النفس للشيخ / محمد الحسن.

٢٦٤ ينظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور؛ ٨/ ١٧٥، باب الكاف والباء مع الميم، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ط١ ٢٠٠١م، بيروت. والمعجم الوسيط، ١/ ٤٢١، (مادة زكا).

و على أساس المعنى اللغوي أتى المعنى الشرعي لتزكية النفوس، فتزكية النفس شاملة لأمرين:

أ – تطهيرها من الأرجاس والأوساخ، قال في ظلال القرآن: (التزكي: التطهر من كل رجس ودنس) [٢٦٥] اهـ.

ب – تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة:

وعلى هذا الغرار أتت الآيات القرآنية بالأمر بتزكية النفس وتهذيبها، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾[٢٦٦] وقال سبحانه:

﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[٢٦٧].

وفي الاصطلاح: فقد عرفه الغزالي: (هي تكميل النفس الإنسانية بقمع أهوائها وإطلاق خصائصها العليا) [٢٦٨].

يقول ابن كثير رحمه الله في بيان هاته الآيات:

(يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكّى نفسه، أي بطاعة الله – كما قال قتادة – وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل.

و كقوله سبحانه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى**﴾ ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ أي: دسّسها، أي أخملها ووضع منها بخلافه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسّ الله نفسه) [٢٦٩] اهـ.

هذا عن تعريف التزكية، أما النفس فقد ورد في القرآن الكريم وصفها بثلاث صفات: **(المطمئنة واللوامة، والأمارة بالسوء)**.

---

٢٦٥ ظلال القرآن: سيّد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، ٦/ ٣٨٩٣، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ بيروت – القاهرة.

٢٦٦ الأعلى : ١٤.

٢٦٧ الشمس: ٧ – ١٠.

٢٦٨ ينظر: ميزان العدل، أبو حامد الغزالي، ص٢٥١، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، ط١٩٦٤،١م مصر.

٢٦٩ تفسير ابن كثير، ٨/ ٤١٠.

وقد اختلف الناس هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها، أم للعبد ثلاثة أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة؟

فالأول قول الفقهاء والمفسرين، والثاني قول كثير من أهل التصوف.

و التحقيق أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاثة باعتبار صفاتها.

و للنفس أنواع:

١ – فالنفس المطمئنة:

هي التي سكنت إلى ربها وطاعته وأمره، فاطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى لقائه ووعده وطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى ضمانه وكفايته، وهي التي يقال لها عند الوفاة:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٢٧٠].

٢ – والنفس اللوامة:

(و هي التي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، وكلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلّتها أحذت تلوم نفسها) [٢٧١] اهـ.

٣ – النفس الأمارة:

وهي التي تترنّح إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والهوى أو الشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة، (وهذه هي النفس التي يجب مجاهدتها) [٢٧٢] .

---

٢٧٠ ينظر: تزكية النفوس، أحمد فريد ص٦٦ دار العقيدة للتراث، سنة النشر: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م الإسكندرية؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، ٢/ ٢٣٢ فصل أنواع المعاينة، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، بيروت.

٢٧١ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ ٨/ ٣٣٠٤، (أنواع النفس).

٢٧٢ المرجع نفسه.

- **حكم تزكية النفس:**

ذهب الغزالي رحمه الله إلى أنه فرض عين على كل مؤمن ولو لم يكن متحليا بالأخلاق الذميمة فيلزم كل أحد أن يتعلم أمراض القلب وكيفية تطهيرها [٢٧٣].

و ذهب الجمهور إلى أنه ليس فرض عين إلا في حق من تحقق أو ظن وجود مرض من الأمراض فيه، فيلزمه حينئذ تعلم سبل علاج ذلك المرض، وقالوا إن تعلم أمراض القلوب فرض كفاية على الأمة عامة وليس فرض عين على كل أحد.

و على هذا فقد استند الغزالي في رأيه إلى أن الأصل عنده في الإنسان هو وجود هذه الأمراض وليس السلامة منها، واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ وهو أفضل البشر قد شق الله صدره مرتين وأخرج منه المضغة السوداء التي هي محل هذه الأمراض في الإنسان، فإذا كان النبي ﷺ احتاج إلى ذلك فغيره من باب أولى.

و استدل الجمهور بأن الأصل في الإنسان السلامة من هذه الأمراض لقوله تعالى:

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢٧٤].

وقوله عليه الصلاة والسلام (كل مولود يولد على الفطرة) [٢٧٥] .

و لقد جمع أحد المشايخ – الشيخ محمد الحسن – بين هذه الأدلة بأن حمل دليل الغزالي على أن الذي في عامة بني آدم هو القابلية لهذه الأمراض لا وجودها، وبالتالي الشق بالنسبة للنبي ﷺ ليس علاجا لمرض موجود وإنما هو منع للقابلية.فهو العصمة التي لا يمكن أن يحل بعدها شيء من هذه الأمراض [٢٧٦].

و الذي أراه راجحا وأميل إليه هو ما ذهب إليه الجمهور والله تعالى أعلم.

---

٢٧٣ ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٤٨٤.

٢٧٤ الروم: ٣٠.

٢٧٥ صحيح ابن حبان رقم ١٢٨ باب الفطرة ١/ ٣٣٦ وإسناده صحيح.

٢٧٦ نقلا عن شريط التزكية للشيخ محمد الحسن.

- **أهمية تزكية النفس للإنسان:**

إن التزكية مهمة للإنسان من عدة أوجه:

١ – أن الباري ﷻ أقسم في كتابه أحد عشر قسما على فلاح من زكّى نفسه وعلى خسران من أهمل ذلك، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[٢٧٧].

٢ – أن النفس من أشد أعداء الإنسان الداخليين؛ لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من شرها كثيرا، كما في خطبة الحاجة: (الحمد لله نستعينه ونستهديه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) [٢٧٨]

و كما ورد في الحديث أنه إذا قرأ: (فألهمها فجورها وتقواها) فقال: (اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها) [٢٧٩].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

(و قد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها والظفر بها) [٢٨٠].

قال بعض المشايخ: (إنتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم) [٢٨١] .

---

٢٧٧ الشمس : ١.

٢٧٨ ابن ماجه، باب خطبة النكاح رقم (١٨٩٢) ١/ ٦٠٩ صحيح

٢٧٩ المعجم الكبيرللطبراني رقم (٥٠٨٥)، ٥/ ٢٠١، حكم الألباني بصحته. والسنن الكبرى للبيهقي رقم (٧٨١٥) باب الاستعاذة من دعوات لا يستجاب لها، ٧/ ٢٠٤.

٢٨٠ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، الباب الحادي عشر في علاج مرض القلب ١/ ٧٥.

٢٨١ الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ١/ ١٨٩، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف دار المعارف القاهرة، دون تاريخ الطبعة. ومدارج السالكين ٢/ ٤٠٨، وإحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، ص١٥٠ الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط١٤٢٢،١هـ-٢٠٠١م.

٣- أن التزكية طريق الجنة، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[٢٨٢].

٤- أن الإنسان محب للكمال فينبغي له أن يعمل على إكمال نفسه بتزكيتها وتربيتها، فهذه النفس تصاب بالأعراض التي تصاب بها الأبدان فهي محتاجة إلى تغذية دائمة ورعاية، ومعوزة كذلك إلى متابعة للازدياد من الخير كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف، فلذلك احتاج الإنسان إلى أن يراقب تطورات نفسه ويعلم أنها وعاء إيمانية .

يقول سيد قطب رحمه الله:

(إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر).

كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء.

وأن هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ ويعبر عنها بالهداية تارة ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[٢٨٣] اهـ.

---

٢٨٢ النازعات : ٤٠ - ٤١.

٢٨٣ ظلال القرآن لسيد قطب، ٦/ ٣٩١٧.

المطلب الثاني:

أقسام تزكية النفس ووسائلها

- **أقسام تزكية النفس:**

تنقسم تزكية النفس إلى قسمين رئيسيين هما التحلية والتخلية.

فالتخلية: يقصد بها تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة.

وأما التحلية: فهي ملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة، بعد أن خليت منها.

فالأخلاق الرذيلة مثل: الشرك والرياء والعجب، والكبر، والبغض والحسد، والشح والبخل، والغضب، والحرص على الدنيا وحب ملذاتها وإيثارها على الآخرة، والفضولية وعدم الجد في الحياة...

وأما الأخلاق الفاضلة كالتوحيد والإخلاص والصبر، والتوكل والإنابة، والتوبة والشكر، والخوف والرجاء، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والشفقة عليهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونفعهم بقدر المستطاع، وعدم تغيير قلوبهم بما ليس بلازم شرعا [٢٨٤] .

إذن فلا بد أن يتعرف على الأخلاق الذميمة، وعلى أسبابها ويعلم أنها موجودة لديه حتى يمكنه التخلص منها فإن من لم يشعر بالمرض ويتعرف على أسبابه لا يمكنه علاجه، ولكي يستطيع المرء الانتصار على نفسه ينبغي له أن يضع أسسا للتعامل معها في ثلاث محاور:

١- الإنصاف منها، وعدم تبرئتها فقد كان عليه الصلاة والسلام يقتص من نفسه وهو المعصوم المسدد بالوحي.

---

٢٨٤ ينظر شرح الدعاء من الكتاب والسنة، أبو عبد الرحمن ماهر بن عبد الحميد مقدم، ص١٣٦، مطبعة سفير، الرياض، دون تاريخ الطبعة، وبصائر في الفتن / محمد بن أحمد بن إسماعيل مقدم، ص١٢، الدار العالمية، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م مصر.

٢- ترك الانتصاف لها من الغير بأخذ الثأر لها والاقتصار لها، فإنها ظلومة جهولة، وإذا كانت هي المظلومة فقد قال الباري ﷻ:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٢٨٥].

٣- اتهامها دائما، فإنه إذا لم يتهمها الإنسان أغوته وقادته إلى التهلكة، فأنت مخير في الوجهة التي ترتضيها لنفسك، فإذا سرت وراءها وأطلقت لها الزمام سارت بك إلى أسفل سافلين، وإن قدتها أنت وطمحت بها إلى المراتب العالية انقادت لك وراء ذلك، فهي كالطفل تماما كما قال البوصيري [٢٨٦]:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على * حبّ الرّضاع وإن تفطمه ينفطم

فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت له واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت تأبيا ونفورا عنه، أما الذي لا يعالج نفسه هذا العلاج ولا يجتهد في مجاهدتها عما تهوى وتحب، فإنه إذا دعاها إلى العبادة نفرت، وإذا رأت أنه سيحملها على طاعة من الطاعات شردت مثل الدابة تماما، فالدابة إما أن تكون مطيعة وإما أن تكون شرودا وكذلك النفس إذا عودها الإنسان على ترك هذه الأخلاق الذميمة كانت الدابة المطيعة المنقادة يحمل عليها ما شاء وتسير به حيث شاء.

- **وسائل التزكية:**

وأما الوسائل التي يتوصل بها إلى تزكية هذه النفس وتهذيبها، فمنها وسائل مجملة ووسائل مفصّلة.

فأما الوسائل المجملة فهي:

أولا: العمل على تطهير النفس من أخلاقها الرذيلة كالرياء والعجب والشح والبخل، والحرص والطمع، والأمن من مكر الله...الخ.

---

٢٨٥ الشورى: ٤٣.

٢٨٦ ينظر مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، أبو محمد عبد العزيز بن عبد المحسن، ١/ ١٩١، دون ذكر الدار والطبعة. وموارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن عبد المحسن السلمان، ٣/ ٢٥٢، ط٣٠، ١٤٢٤هـ.

ثانيا: تحليتها بالأخلاق الحميدة الفاضلة بعد أن أصبحت جاهزة لها بتخليها عن الأخلاق السيئة، وهذه الأخلاق هي مثل الإخلاص، والإنابة، والخوف من المولى ﷻ، والشكر والخشوع...الخ.

ثالثا: المحافظة على الفرائض؛ لأنها أفضل طاعة يتقرب بها العبد إلى بارئه، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (...و ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه...) [٢٨٧].

رابعا: الإكثار من النوافل لقول الله ﷻ: (... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...) [٢٨٨] وأعظمها تأثيرا في تزكية النفوس هو ما كان أكثر مذلة وخضوعا لله تعالى.

خامسا: تدبر القرآن، فهو جلاء القلوب وإذا صفي القلب زكّت النفس، ففي الحديث: (إن هذه تصدأ كما يصدأ الحديد) قيل: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: (تلاوة القرآن) [٢٨٩].

والباري ﷻ يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٢٩٠].

أما الوسائل التفصيلية فمنها:

١- التوبة، فهي أول مقامات منازل العبودية عند السالكين، وبها يذوق الإنسان حلاوة الانتقال من التخلية إلى التحلية، قال الله تعالى منوها شأنها:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٩١]

٢- لزوم الاستغفار والذكر عموما، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٢٩٢] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾[٢٩٣]

---

٢٨٧ البخاري، كتاب الرقاب، باب التواضع رقم (٦٥٠٢).

٢٨٨ تقدم تخريجه.

٢٨٩ مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة، باب إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، رقم (١١٧٩) ٢/ ١٩٩

٢٩٠ ص: ٢٩.

٢٩١ النور: ٣١.

٢٩٢ طه،: ٣٦.

٢٩٣ آل عمران: ١٣٥.

٣- مخالفتها والإنكار عليها وعدم تلبية رغباتها؛ لأنها داعية للراحة والعصيان، يقول حجة الإسلام – الغزالي –:

(اعلم أن أعدى عدو نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميّالة إلى الشر فرّارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها إلى سلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذّاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك...) [٢٩٤] .

٤- الإكثار من وعظها وتذكيرها بالموت والدار الآخرة:

فتخاطبها بمثل ما خاطبها به الغزالي، حيث يقول: (ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك فالأنفاس معدودة فإذا منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها. يا نفس، أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبّة ولبد وحطب وغير ذلك...) [٢٩٥] .

٥- سوء الظن بالنفس والحيلولة بينها وبين الاغترار بالعمل والإدلال به على الله، فإن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، يقول ابن القيم رحمه الله:

(أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عبّرت بها أخاك فهي إليك.

رضاء العبد بطاعته دليل على ظنه بنفسه، وجهله بحقوق العبودية، وعدم عمل بما يستحقة الرب ﷻ ويليق أن يعامل به.

وحاصل ذلك أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتها وعيوب عمله، وجهله بربه وحقوقه وما ينبغي أن يعامل به، يتولد منها رضاه بطاعته، وإحسان ظنه بها، ويتولد من ذلك من العجب

---

٢٩٤ إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٦.

٢٩٥ إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٦.

والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر، والفرار من الزحف ونحوها)[٢٩٦].

٧- تنقية العمل من حظوظ النفس وشوائب الرياء:

فقد جعل ابن القيم رحمه الله تصفية العمل من الشوائب هي أساس الإخلاص في العمل (أي لا يمازج عمله ما يشوب من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنا ما كان) [٢٩٧] اهـ.

٨ - محاسبة النفس:

و دل على وجوب محاسبة النفس قول الباري ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾[٢٩٨] .

وقوله عليه الصلاة والسلام:

(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ﷻ) [٢٩٩] [٣٠٠].

و عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفي منكم خافية) [٣٠١].

---

٢٩٦ مدارج السالكين، ١/ ١٩٢.

٢٩٧ مدارج السالكين،٢/ ٩٣.

٢٩٨ الحشر : ١٨.

٢٩٩ الكيس: بفتح الكاف وتشديد الياء: أي العاقل الحازم المحتاط في الأمور. من دان نفسه: حاسب نفسه، وعمل عملا نافعا لما بعد الموت، والعاجز: أي عن استعمال العقل والاحتياط في الأمر.

٣٠٠ المستدرك، كتاب التوبة، رقم (٧٦٣٩) صحيح الإسناد، ٤/ ٢٨٠.

٣٠١ مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٤٤٥٩) ٧/ ٩٦ وإسنا الحديث جيد في حلية الأولياء.

و قال الحسن البصري: (إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته) [٣٠٢].

و قال ميمون بن مهران: (لا يكون العبد تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك) [٣٠٣].

٩ – الإقلال من النوم والأكل والكلام:

و مما يعين على تزكية عدم الإكثار من هذه الأمور الثلاثة، والإفراط فيها، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله موجبة لقسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي، وكثرة الأكل موجبة لقوة نوازع النفس الشهوانية لدى الإنسان، وتوسيع مجاري الشيطانية، وكثرة الأكل موجبة لكثرة النوم وكثرة النوم موجبة للعجز والكسل فضلا عن أنها مضيعة للعمر.

١٠ – التحلي بالصبر واليقين:

فبالصبر ينتصر على شهوات نفسه فيحجزها عن المحرمات ويحبسها على الطاعات، فجانبي التزكية: التخلي والتحلي لا يمكن الحصول عليهما إلا عن طريق الصبر قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣٠٤].

١١ – الدعاء:

من أسباب تزكية النفس الدعاء، فهو سلاح المؤمن، بأن يلجأ الإنسان إلى الله دائما أن يقيه شر نفسه وأن يعينه على طاعة الله، فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اللهم اغفر لي خطئي، وذنوبي كلها، اللهم وانعشني، واجبرني [٣٠٥]، وارزقني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، وإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيّئها إلا أنت) [٣٠٦].

---

٣٠٢ موارد الظمآن ص٩١٠.

٣٠٣ إحسان سلوك العبد إلى ملك الملوك ص٧٤.

٣٠٤ الزمر: ١٠.

٣٠٥ قال الجزري في النهاية: أي أغنني، من جبر الله مصيبته أي رد عليها ذهب عنه أو عوضه عنه. والحديث صححه الحاكم ووافق الذهبي وحكم الألباني بأنه حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير (١٢٦٦) ١/ ٢٧٢.

٣٠٦ المعجم الكبير للطبراني رقم (٣٨٧٥) ٤/ ١٢٥.

المبحث الثالث:

الإخلاص

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معنى الإخلاص، وأهميته، معرفة المخلص والمخلص له.

المطلب الثاني: أنواع الإخلاص وفوائده، ونماذج عن المخلصين.

المطلب الأول:

معنى الإخلاص، وأهميته، معرفة المخلص والمخلص له.

- **معنى الإخلاص:**

الإخلاص لغة: من خلص خلوصا وخلاصا، أي صفا وزال عنه شوبه، ويقال: خلص من ورطته أي سلم منها ونجا.

والإخلاص كلمة التوحيد، والمخلصون هم الموحدون والمختارون [٣٠٧].

والإخلاص شرعا: هو تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه يسمى: خالصا [٣٠٨].

وقال ابن القيم رحمه الله:

(الإخلاص اصطلاحا: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة) [٣٠٩] اهـ.

وقيل: (تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين) [٣١٠] اهـ.

- **أهمية الإخلاص:**

لقد خلق الباري ﷻ الخلق والجن والإنس لعبادته وحده، وأمر جميع المكلفين بالإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣١١].

وقال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٣١٢].

---

٣٠٧ المعجم الوسيط، ١/ ٢٧٢.

٣٠٨ التعريفات للجرجاني، ص١٣.

٣٠٩ مدارج السالكين، ٢/ ٩١.

٣١٠ المرجع السابق ٢/ ٩١.

٣١١ البينة : ٥.

٣١٢ الزمر : ٢ – ٣.

و قال المولى ﷻ أيضا:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣١٣].

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله ﷻ:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣١٤] .

(هو أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.ثم تلا قوله تعالى:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣١٥] اهـ[٣١٦]).

و قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٣١٧]

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول الله ﷺ وسنته [٣١٨].

و قد ثبت في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

(ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) [٣١٩]

---

٣١٣ الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣.

٣١٤ الملك : ٢.

٣١٥ الكهف : ١١٠

٣١٦ مدارج السالكين، ١/ ١٠٥.

٣١٧ النساء : ١٢٥.

٣١٨ مدارج السالكين، ٢/ ٨٨.

٣١٩ الترمذي، كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع، برقم (٢٦٥٨)، وابن ماجة، المقدمة، باب من بلغ علما، برقم ٢٣٠ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح محمد بن عبد الله الخطيب، ١/ ٧٨، المحقق ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية ط٣، ١٩٨٥م بيروت.

أي لا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقّيه منه، وتخرجه عنه [٣٢٠].

و الإخلاص: هو روح عمل الداعية، وأهم صفاته فبدونه يكون جهد الداعية وعمله هباء منثورا.

و الإخلاص من أهم أعمال القلوب باتفاق أئمة الإسلام، ولا شك أن أعمال القلوب هي الأصل لمحبة الله ورسوله، والتوكل عليه، والإخلاص له، والخوف منه، والرجاء له، وأعمال الجوارح تبع؛ فإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح مات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح، فيجب على الداعية أن يكون مخلصا لله تعالى لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا مدحهم، إنما يدعو إلى الله يبتغي وجه الله ﷻ كما قال الحق سبحانه:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[٣٢١] [٣٢٢].

- **معرفة المخلص والمخلص له:**

فالأول: المخلِص: بكسر اللام قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام: ما المخلص لله؟ قال: (الذي يعمل العمل لله ﷻ، ولا يحب أن يحمده الناس عليه) [٣٢٣]

و قيل لبعض الحكماء: من المخلص؟ قال: المخلص: الذي كتم حسناته كما يكتم سيّئاته [٣٢٤].

---

٣٢٠ مدارج السالكين ٢/ ٨٨

٣٢١ يوسف : ١٠٨

٣٢٢ ينظر:الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة ص٢٨

٣٢٣ الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك بن واضح الحنظلي التركي، ص٣٤ تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ الطبعة، بيروت. وشعب الإيمان، باب إخلاص العمل لله ﷻ وترك الرياء برقم (٦٤٦٤) ٩/ ١٨٣.

٣٢٤ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي ص٢٩ تحقيق وتعليق: يوسف يديوي، دار ابن كثير ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دمشق - بيروت.

ومفهوم المخلص أيضا: هو العبد الذي يتلقى من المخلصين وهو معرض للصواب والخطأ بالرغم من إخلاصه ومجاهدته لنفسه، وهواه، وشيطانه.

الثاني: المخلص له: بفتح اللام أي الذي أخلصه الله لطاعته واصطفاه واختاره – سواء كان ذلك وحيا أم غير ذلك – فلا يقدر أن يغويه الشيطان ولا يضله فلا تزل قدمه في معصية، ولا يفعل إلا الطاعة.

يقول الباري ﷻ: عن يوسف عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٣٢٥] .

أي أنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصهم الله لطاعته واصطفاهم واختارهم لوحيه ورسالته.

المطلب الثاني:

أنواع الإخلاص، وفوائده، ونماذج عن المخلصين

- **أنواع الإخلاص:**

أولا: إخلاص النية والقصد:

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات...) [٣٢٦] .

ثانيا: إخلاص في الأفعال.

ثالثا: إخلاص في الأقوال[٣٢٧]:

وهو ألا أتكلم إلا لله وفي الله، فإن نصحت تكن النصيحة لله وحده، وإن دعيت للشهادة أن أشهد بالحق، ولا أخاف من سلطان ولا بطش جبار ولا غضب صاحب ولا حبيب، فالأمر

---

٣٢٥ يوسف : ١٢.

٣٢٦ البخاري، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي رقم (١).

٣٢٧ ينظر: نضرة النعيم، ٢/ ١٢٦ – ١٤٠.

بالمعروف والنهي عن المنكر أقصد به وجه الله فلا أريد أن يقال عليّ، أو أن يشار إلي بل يكن ذلك لله وحده.

وأعظمها إخلاص العبادة لله الواحد الأحد، فالصلاة أن تكون لله لا أن يراد بذلك منزلة بين الناس أو أن يهاب الناس فلانا، أو من أجل مصلحة دنيوية، وكذلك الصدقة لا بد أن تكون خالصة لوجه الله تعالى قال ﷻ:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٢٨] .

و الأمثلة على ذلك:

مثل إخلاص المؤذن والتالي لكتاب الله ﷻ، حيث يؤذن أو يتلو مبتغيا بذلك وجهه لا يريد ثناء الخلق عليه – فيوصف بجمال الصوت مثلا – وكإخلاص العالم يرشد الناس ويعلمهم من إرشادهم إلى الحق، وبقصد وقوفهم على عبادة الله الصحيحة.

رابعا: إخلاص في المحبة:

إذا أحببت أحب لله ليس من أجل غرض دنيوي، بل أحب المسلم؛ لأنه مطيع لربه يسير على سنة رسوله، ﷺ متبع غير مبتدع، مطيع غير عاص مقر غير جاحد، قال عليه الصلاة والسلام:

(سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه...) [٣٢٩].

خامسا: إخلاص في الإخاء:

و هو أن تكون مخلصا لأخيك المسلم مبتغيا وجه الله ولننظر إلى الألفة والإخاء التي جعلها الله بين الحيوانات وهو أن أبا الدرداء نظر إلى ثورين يحرثان في فدّان، – أي محراث – فوقف أحدهما يحك جسده فوقف الآخر؛ فبكى أبو الدرداء فقال له:

---

٣٢٨ النساء: ١٤٦.

٣٢٩ البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم (١٤٢٣) ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة رقم (١٠٣١).

(هكذا الإخوان في الله ﷻ، يعملان لله تبارك وتعالى، ويتعاونان على أمر الله فإذا وقف أحدهما وقف الآخر لوقوفه) [٣٣٠] [٣٣١].

- **فوائد الإخلاص:**

من فوائد الإخلاص ما يلي:

١- الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال.

٢- الإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء.

٣- الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤- الإخلاص يفرّج شدائد الإنسان في الدنيا.

٥- الإخلاص يحرر العبد من عبودية غير الله ﷻ.

٦- الإخلاص يبعد عن الإنسان وساوس الشيطان والأوهام .

٧- الإخلاص ينصر المولى ﷻ العباد .

٨- الإخلاص يقوّي إيمان الإنسان ويكره إليه الفسوق والعصيان.

٩- الإخلاص يحقق الطمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسعادة.

١٠- الإخلاص يحقق الكمال للمسلم، ويجلب له رضاء مولاه ﷻ ويعمه برحمته في الآخرة .

١١- حصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة ومن أجل ذلك أحب الله الإخلاص وتسمى به عباده المقربين بذلكم الاسم ألا وهو المخلص [٣٣٢] .

---

٣٣٠ ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب، ٢/ ٣٨٢ وإحياء علوم الدين، ٢/ ١٨١.

٣٣١ الزهد والرقائق لابن المبارك، باب ما جاء في ذكر عامر بن عبد قيس...، رقم (٨٧٢) ١/ ٣٠٢.

٣٣٢ ينظر: نضرة النعيم، ٢/ ١٤٠.

- **نماذج عن المخلصين:**

من هذه النماذج نموذج الثلاثة (أصحاب الغار الذين قص علينا قصتهم رسول الله ﷺ، حين أطبقت عليهم الصخرة، فلم ينجهم منها إلا أعمال صالحة كانوا قدموا خالصة لوجه الله تعالى، فتوسلوا إلى الله بها، وقال كل واحد منهم:

(اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه). ففرج الله عنهم، وأخرجهم من ورطتهم بسبب إخلاصهم [٣٣٣].

و القصة بأكملها مروية في صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهما .

ومن هذه النماذج ما رواه النسائي في سننه عن شداد بن الهاد ﷺ، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر أو حنين غنم النبي عليه الصلاة والسلام شيئا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي عليه الصلاة والسلام، فأخذه فجاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ما هذا؟ قال: (قسمته لك) قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرقى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال:

(إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي عليه الصلاة والسلام يُحمَل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (أهو هو؟) قالوا: نعم، قال: (صدق الله فصدقه) [٣٣٤] .

ومن ذلك: ما حفل به التاريخ الإسلامي من روائع البطولات، وواقع المخلصين الذين نذروا أنفسهم لله، وجعلوا حياتهم كلها لله وجهادهم كلها لله فلم يشركوا به أحدا.

من هؤلاء: ما نقل عن صاحب النقب وتتلخص قصته ما يلي:

---

٣٣٣ البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي رقم (٢٢١٥)؛ مسلم، كتاب التوبة، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال رقم (٢٧٤٣).

٣٣٤ النسائي، باب الصلاة على الشهداء رقم (١٩٥٣).

ذكر أن مسلمة بن عبد الملك حاصر حصنا، وأصابهم فيه جهد عظيم، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من الجند فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى منادي مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد حتى نادى مرتين أو ثلاثا أو أربعا، فجاء في الرابعة رجل، فقال: أنا أيها الأمير صاحب النقب، آخذ عهودا ثلاثا: لا تسودوا اسمي في صحيفة، ولا تأمروا لي بشيء، ولا تشغّلوني عن أمري، قال: فقال له مسلمة: قد فعلنا ذلك بك. قال: فغاب بعد ذلك؛ فلم ير. قال: فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته:

(اللهم اجعلني مع صاحب النقب) [٣٣٥].



٣٣٥ ينظر: المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، ٤/ ٢٠٠، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.دار ابن حزم.تاريخ النشر ١٤١٩هـ بيروت.

المبحث الرابع:

الحقوق

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: معنى الحق لغة وشرعا، وحق الله ﷻ على العباد، وحق العباد على الله ﷻ.

المطلب الثاني: رعاية الحقوق، حقوق العباد بعضهم لبعض، حقوق الوالدين، حقوق الجيران، حقوق غير المسلمين.

المطلب الأول:

معنى الحق لغة وشرعا، وحق الله على العباد وحق العباد على الله

- **معنى الحق لغة وشرعا:**

معنى الحق لغة: الثابت، والحق من أسمائه أو من صفاته، وأصل الحق: المطابقة والموافقة، والحق أيضا العدل أو الإسلام، أو المال، أو المِلك، أو الموجود الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. والحق ضد الباطل [٣٣٦].

و الحق شرعا: مصلحة مقررة شرعا .

- **حق الله على العباد، وحق العباد على الله:**

و عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير [٣٣٧]، فقال: (يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وحق العباد على الله قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئا) [٣٣٨].

هذا هو حق الله سبحانه، توحيده والتزام أمره، فلا يعبد إلا هو، ولهذا خلق الله تعالى الجن والإنس كما قال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣٣٩]. فانظر كيف رتب هذا الثواب الجزيل أن لا يعذب من لا يشرك به في عبادته تعالى .

أما ثواب الدنيا للموحد فهو التمكين في الأرض والاستخلاف فيها والأمن بعد الخوف، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى:

---

٣٣٦ ينظر التوفيق على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين، ص١٤٣، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، القاهرة.

٣٣٧ من العفرة، وهي حمرة يخالطه بياض.

٣٣٨ البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦).

٣٣٩ الذاريات : ٥٦ .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[٣٤٠].

وأما ما يتعلق بحق العباد على الله ﷻ ألا يعذبهم .

فنقص الماء والمواد الغذائية يعذبهم، وشدة الحر تعذبهم ونقص كل ما تعوزه الإنسان في الحياة الدنيا تعذيب له.

ونعني بذلك الأمور الضرورية التي لا يستطيع الإنسان العيش إلا بها كالماء، والهواء والفواكه والخضراوات والملح وغير ذلك من الحاجيات.

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٣٤١].

المطلب الثاني:

رعاية الحقوق، حقوق العباد بعضهم لبعض، حقوق الوالدين، حقوق الجيران، حقوق غير المسلمين

- **رعاية الحقوق:**

اعتبر الإسلام الحقوق الأساسية والحريات العامة جزء من دين المسلمين لا يملك تعطيلها كليا أو جزئيا، وجعل رعايتها عبادة، وإهمالها أو العدوان عليها منكرا في الدين. فكل إنسان مسئول عنها بمفرده، والأمة مسئولة عنها بالتضامن، لذا اعتبر في الإسلام:

١- الإيمان والتربية أساس احترام الحقوق: فلا خير في مؤمن لا يؤدي واجبه لينتفع أخوه بحقه.

٢- الدولة والمجتمع راعيين لها: حيث أوجب الله تعالى عليهما رعايتها والسهر على العمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

٣٤٠ النور: ٥٥.

٣٤١ النساء: ١٤٧

قال تعالى:

﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ﴾[٣٤٢]

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن اقتص للمصري الفقير من ابن والي مصر: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) [٣٤٣] فأمر بذلك أن لا فائدة من منح الحقوق والنص عليها ما لم يطبّق فعلا ويتمتع بها أصحابها.

- **حقوق العباد فيما بينهم:**

المتأمل للمعاملات التي تجري بين العباد لا تخرج عن ثلاثة أقسام: عدل أو ظلم، أو إحسان

أما العدل: فهو إعطاء كل صاحب حق حقه دون زيادة أو نقصان.

و أما الظلم: فهو حرمان ذي حق من حقه، والاحتفاظ بالامتيازات.

و أما الإحسان: فهو نقيض الظلم، ويعني الفضل والزيادة بمعنى أن تعطي أحدا أكثر من حقه عليك.

فمثلا: دفع الظلم ورده عن صاحبه: عدل لا شيء فيه، أما العفو والصفح عن الظلم فإحسان يثاب عليه فاعله، قال تعالى:

﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٣٤٤].

الشريعة رحمة كلها:

و لأن الشريعة الإسلامية التي شرعها الله لعباده رحمة كلها، كما قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣٤٥].

---

٣٤٢ البقرة: ٢١٣

٣٤٣ ينظر: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ص٤١٠ دار السلام، ط١، ١٤٢٨هـ القاهرة.

٣٤٤ الشورى: ٤٠.

٣٤٥ الأنبياء: ١٠٧

لذلك تجد القرآن كثيرا ما يحذر من الظلم وعاقبة الظالمين، ويعرض الصور المختلفة للظلم ليتجنبها الناس. مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٣٤٦] ولا يكتفي القرآن بذلك، بل إنه يتحدث كثيرا عن فضل الإحسان أيضا، ليستنير المشاعر، ويولد الرغبة، ويقوي العزيمة بصوره وأشكاله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٤٧] هذا إخباره منه سبحانه وتعالى أنه يحب المحسنين.

حقوق الوالدين:

قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٣٤٨].

و إن للولد على والده حقا، وللوالد على ولده حقا؛ فحق الولد على أبيه: أن يحسن اسمه وأن يحسن أدبه، وأن يعلمه الكتاب، وحق الوالد على ولده: أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله، وأن يخضع له في الغضب والتعب [٣٤٩] فالله تعالى قد أمرك – أيها الإنسان – أن تتجه بالشكر أولا إليه، ثم إلى الوالدين، فقال جل شأنه:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٣٥٠].

---

٣٤٦ النساء، : ١٠.

٣٤٧ آل عمران : ١٣٤.

٣٤٨ الإسراء : ٢٣ – ٢٤.

٣٤٩ ينظر: تاريخ المدينة لعمر بن شيبة بن عبيدة أبو زيد / ٢/ ٥٦٧، حققه فهيم محمد شلتوت، عام النشر ١٣٩٩هـ جدة.

٣٥٠ لقمان : ١٤.

ثم تتجه بعد ذلك بالشكر للوالدين فقد قاما على تربيتك خير قيام، وتعهداك أحسن التعهد وبذلا في سبيل مرضك وقت الصغر كل مرخص وغال...إلى أن كبرت وصرت رجل الدنيا وواحدها.

و قد رغّب الله تعالى في البر بالوالدين، وحض عليه وامتدح بعض رسله على برهم، فقال عن يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[٣٥١].

وعن عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[٣٥٢].

وعن يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[٣٥٣].

وعن إسماعيل: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣٥٤].

وحقوق الوالدين ليست من قبيل التزين بالأدب الاجتماعي، بل هي فروض وعزائم، فمن أداها فقد أبرأ ذمته، وأعتق رقبته من النار، ومن لم يؤدها فلن تنفعه صلاة ولا صيام ولا غير ذلك من الأعمال؛ قال عليه الصلاة والسلام:

(من أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحدا، ومن أمسى عاصيا لله في والديه أصبح بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدا فواحدا) [٣٥٥].

وقد فضل الله البر بالوالدين على الجهاد في سبيل الله، فعن ابن مسعود ﷺ أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله) [٣٥٦].

وصفوة الكلام في حقوق الوالدين تتلخص بالأمور التالية:

الإحسان إلى الوالدين، الإنفاق على الوالدين، طاعة الوالدين، الدعاء للوالدين، وهذه الأمور من أهم الحقوق التي يجب على الإنسان أن لا يتهاون بها في أدائها للوالدين.

---

٣٥١ مريم، : ١٤.

٣٥٢ مريم، : ٣٢.

٣٥٣ يوسف : ١٠٠.

٣٥٤ الصافات : ١٠٢.

٣٥٥ شعب الإيمان، باب: فصل في حفظ حق الوالدين، بعد موتهما رقم (٧٥٣٨)، ١٠/ ٣٠٦.

٣٥٦ البخاري، كتاب التوحيد، باب: وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا، رقم (٧٥٣٤).

حقوق الجيران:

للجار على الجار في القيم الإسلامية، وفي الأدب الشرعية حقوق تشبه حقوق الأرحام، وهو الشيء الذي يلفت النظر، من هذه الحقوق: المواصلة بالزيارة، والتهادي، أن يهدي كل منهم الآخر هدية تعبيرا عن المودة، والعيادة حين المرض، والمواساة حين المصيبة، والمعونة حين الحاجة وكف الأذى.

– المعاشرة بالمعروف مع الجار:

والمعاشرة بالمعروف ليست أن تمتنع إيقاع الأذى، بل المعاشرة بالمعروف تعني أن تحتمل الأذى، وفرق كبير بين أن تمتنع عن إيقاع الأذى بالجار، وبين أن تحتمل الأذى منه، احتمال الأذى المناصرة بالحق، النصح للجار، تهنئة الجار، تعزية الجار، مشاركة الجار في المسرات والأفراح، مواساته في النوائب والأحزان.

– التواصل بالزيارة:

من حق الجار التواصل بالزيارة،لأن كلا من المواصلة بالزيارة، والتهادي، والعيادة، والمواساة، والمعونة، وكف الأذى واحتمال الأذى، والمناصرة بالحق، والتهنئة، والتعزية، والمشاركة في المسرات أمر مطلوب، والشاهد في القرآن قوله تعال:

﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[٣٥٧].

– الجار ذي القربى والجار الجنب:

مظِنّة الشاهد؛ والجار ذي القربى، وقد انقسم المفسرون في تفسير والجار ذي القربى والجار الجنب إلى فريقين، الفريق الأول فهم الجار ذا القربى هو الجار الأقرب والقريب الملاصق، الآن

---

٣٥٧ النساء : ٣٦.

الأبنية الحديثة في مستوى واحد، أنت في شقة، وهو في شقة، هذا هو الجار الأقرب؛ والجار ذي القربى، وأما الجار الجنب فهو الذي جانبك أي ابتعد عنك. [٣٥٨]

و الدليل من السنة الذي يوصي بالجار وهو حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٣٥٩].

- الإحسان إلى الجار:

إذا كنت مؤمنا بالله واليوم الآخر عليك أن تحسن إلى جارك، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) [٣٦٠].

- تهادي الطعام بين الجيران يكثر المودة:

إن مما يؤلف قلوب الناس التهادى بالطعام، وهي - التهادي - تزيد المودة، وتزيد العلاقة متانة، وتزيد الأخوة أخوة حقيقية.

و عن عبد الله بن الصامت ﷺ عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ:

(يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد [٣٦١] جيرانك) [٣٦٢ ٣٦٣] .

هذه هي بعض الحقوق التي يجب على المسلم القيام بها والمحافظة عليها حتى تتحقق تلك الأهداف المطلوبة في الشريعة الإسلامية.

---

٣٥٨ تفسير القرطبي ٥/ ١٧٩، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٩٧، وتفسير البغوي أبومحمد الحسين بن مسعود، ١/ ٦١٦.

٣٥٩ البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار، رقم (٦٠١٥).

٣٦٠ مسند أحمد، رقم (٦٥٦٦) ١١/ ١٢٦، إسناده قوي على شرط مسلم ورجاله ثقات عدا ابن لهيعة. وصحيح ابن خزيمة رقم (٢٥٣٩) ٤/ ١٤٠.

٣٦١ تعاهد: أي تفقّد.

٣٦٢ مسلم، كتاب الأدب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم (٢٦٢٥).

٣٦٣ ينظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، ص١٤٩، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.. والتبصرة لابن الجوزي، ص٢٧٤، وإحياء علوم الدين، ٢/ ١٩٣. والترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي، ٣/ ٢٤٢تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ بيروت .

حقوق غير المسلمين

و لقد أمر الشارع باحترام حقوق غير المسلمين في جميع النواحي لذا نجد غير المسلمين المقيمين في بلاد المسلمين يتمتعون بسلسلة من الضمانات التي منحها لهم المجتمع المسلم يهدي من الكتاب والسنة، وهناك مجتمعات أخرى تعيش مختلطين أي من المسلمين ومسيحيين ووثنيين وغير ذلك، وهذا هو السائد في هذا العصر.

و لنبسط أهم الضمانات التي ينبغي لغير المسلم أن يتمتع بها .

ومن هذه الضمانات:

أولا: ضمان حرية الاعتقاد:

الإسلام هو الدين الحق، وأن ما عداه إنما هي ديانات حرّفت ونسخت بالإسلام أو ضلالات وقع فيها البشر جهلا منهم بحقيقة الدين والمعتقد.

وقد عمل المسلمون على استمالة الأمم والشعوب التي اختلطوا بها إلى الإسلام، وذلك بما آتاهم الله من حجة ظاهرة وخلق قويم ودين ميسر تقبله الفطرة ولا تستغلق عن فهم مبادئه العقول. ولم يعمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري العظيم إلى إجبار الشعوب أو الأفراد الذين تحت ولايتهم، وذلك تطبيقا لمجموعة من المبادئ الإسلامية التي رسخت فيهم هذا السلوك:

أ- حتمية الخلاف وطبيعته:

إن التعدد في المخلوقات وتنوعها سنة الله في الكون، وناموسه الثابت، فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد.

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكل من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السنة الماضية لله في خلقه فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

واختلاف البشر في شرائعهم هو أيضا واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبطة بحكمته، يقول الله تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾[٣٦٤].

يقو ابن كثير رحمه الله:

(هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد) [٣٦٥].

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣٦٦].

قال ابن حزم رحمه الله:

(و قد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كون كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي) [٣٦٧] اهـ

قال ابن كثير:

(و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك): (أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم) [٣٦٨] اهـ

و لما كان الاختلاف والتعدد آية من آيات الله، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد كلية، فإنما يروم محالا ويطلب ممتنعا، لذا كان لا بد من الاعتراف بالاختلاف

ب – مهمة المسلمين الدعوة إلى الله لا أسلمة الناس

فإن مهمتهم البلاغ، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال تعالى:

---

٣٦٤ المائدة، : ٤٨.

٣٦٥ تفسير ابن كثير، ٣/ ١٢٩.

٣٦٦ هود : ١١٨ – ١١٩.

٣٦٧ الإحكام في أحوال الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ٥/ ٦٧، تحقيق الشيخ أحمد محمد الشاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٦٨ تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦١ .

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾[٣٦٩].

ج – التكريم الإلهي للإنسان، ومبدأ عدم الإكراه على الدين.

ثانيا: حرية ممارسة العبادة وضمان سلامة دورها:

و إذا لم يجبر الإسلام من تحت ولايته على الدخول فيه، وإنه يكون بذلك قد ترك الناس على أديانهم، وأول مقتضياته الإعراض عن ممارسة الآخرين لعباداتهم وضمان سلامة دور العبادة.

وهذا – بالفعل – ما ضمنه المسلمون في عهودهم التي أعطوها للأمم التي دخلت في ولايتهم أو عهدهم، فقد كتب النبي ﷺ لأهل نجران أمانا شمل سلامة كنائسهم وعدم التدخل في شؤونهم وعباداتهم، وأعطاهم على ذلك ذمة الله ورسوله، يقول ابن سعد:

(و كتب رسول الله ﷺ لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم أن لهم على ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بِيَعِهم وصلواتهم ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته ولا كاهن عن كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم) [٣٧٠] اهـ.

ووفق هذا الهدي السمح سار الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ، فقد ضمن الخليفة عمر بن الخطاب نحوه في العهدة العمرية التي كتبها لأهل القدس، وفيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود... وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين..) [٣٧١].

---

٣٦٩ النحل: ٨٢.

٣٧٠ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، ١/ ٢٦٤ تحقيق: إحسان عباس.دار صادر، ط١، ١٩٦٨م بيروت.

٣٧١ تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن مثير أبو جعفر الطبري ٣/ ٦٠٩، دار التراث ط٢، ١٣٨٧هـ، بيروت.

- شهادة المؤرخين الغربيين على سماحة المسلمين بهذه المبادئ:

تلك الشهادات التاريخية التي سجلها مؤرخو الغرب والشرق عن تسامي المسلمين عن إجبار أحد - ممن تحت سلطانهم - في الدخول في الإسلام.

يقول وِل ديورَانت:

(لقد كان أهل الذمة المسيحيون الزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، ولا نجد لها نذيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم...)[٣٧٢] اهـ.

و يقول توماس آرنولد الإنجليزي:

(إننا لم نسمع بمحاولات منظمة لإرغام أحد على اعتناق الإسلام، أو عن أعمال مدبرة لسحق الدين المسيحي، ولو أن الخلفاء المسلمين قد حرصوا على تبني إحدى هذه الوسائل لبذلواما بوسعهم التغطية على المسيحية بنفس السهولة التي صادفها الملك فرديناد وإيزابيلا، في حملتهما ضد الإسلام في إسبانيا...) [٣٧٣] اهـ.

ثالثا: حسن العشرة والمعاملة الحسنة:

أمر الله ﷻ في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٣٧٤].

يقول الطبري رحمه الله: عني بذلك: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾** من جميع أصناف الملل والأديان **﴿أن تبروهم وتصلوهم وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾**. **وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**

---

٣٧٢ قصة الحضارة، لوِل ديورانت جيمس، ٣/ ١٣٠، دار الجيل، عام النشر: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت.

٣٧٣ حقوق الإنسان والقضايا الكبرى / كامل إسماعيل الشريف، ص١٢، المنعقد في روما، الناشر مجلة مجمع الفقه الإسلامي، تاريخ ١٤٢٠هـ ١١/ ١٩، الموافق ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٠.

٣٧٤ الممتحنة: ٨.

﴿الْمُقْسِطِينَ﴾[٣٧٥] يقول: (إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم) [٣٧٦] اهـ.

قال القرافي رحمه الله تعالى وهو يعدد صورا للبر أمر بها المسلم تجاه أهل الذمة:

(لين القول لهم على سبيل اللطف لهم لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منا بهم وتعظيما والدعاء لهم بالهداية وأن يُجعلوا أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم...) [٣٧٧] اهـ.

رابعا: العدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم:

إن من أهم المثل ومكارم الأخلاق التي جاء الإسلام لحمايتها ة وتتميمها العدل، والعدل غاية قريبة ميسورة إذا كان الأمر متعلقا بإخوة الدين أو النسب، وغيرها مما يتعاطف له البشر.

لقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخص- بمزيد تأكيده- على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة |، قال تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[٣٧٨] .

يقول البيضاوي رحمه الله: (لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد، تشفيا مما في قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب للتقوى) [٣٧٩] اهـ.

---

٣٧٥ المائدة : ٤٢.

٣٧٦ تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن / محمد بن حرير بن يزيد الطبري، ٢٢/ ٥٧٣ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٧٧ الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق / أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ٣/ ١٥ عالم الكتب دون تاريخ الطبعة.

٣٧٨ المائدة : ٨.

٣٧٩ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي ٢/ ١١٧ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤١٨هـ بيروت.

و حذر النبي ﷺ من ظلم أهل الذمة وانتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصما للمعتدي عليهم، فقال:

(ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة) [٣٨٠].

خامسا: التكافل الاجتماعي:

لعل من أهم الضمانات التي يقدمها الإسلام لغير المسلمين -الذين يقطنون في المجتمع المسلم - كفالتهم ضمن نظام التكافل الإسلامي، فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه عليه الصلاة والسلام ﷺ رحمة للعالمين حيث قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣٨١]

و قد أمر النبي ﷺ المسلمين أن يتصفوا بصفة الرحمة، في تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم، بل وحتى مع الحيوانات، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) [٣٨٢]، وكلمة الناس لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين.

قال ابن بطال رحمه الله:

(فيه الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها...) [٣٨٣] اهـ

و حث الإسلام أيضا المؤمنين وألزمهم بالإحسان والبر في معاملة من لا يعتدي على المسلمين، فقال تعالى:

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٨٤].

---

٣٨٠ أبو داود، كتاب الخراج، باب في تعثير أهل الذمة، رقم (٣٠٥٢) وحكم الألباني بصحته.

٣٨١ الأنبياء: ١٠٧.

٣٨٢ البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله رقم (٧٣٧٦).

٣٨٣ شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ٩/ ٢١٩ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الرياض.

٣٨٤ البقرة: ١٩٥.

و بعد سرد ما ذكرناه ينبغي لنا أن نعي أننا إذا لاحظنا ملاحظة توسم ودقة، وبدون تردد ندرك تماما أن المسلمين هم الذين نابوا مكان غير المسلمين في الأحكام المذكورة، لأن معظم المسلمين الآن يقطنون في بلاد غير المسلمين كأوربا وأميركا وغير ذلك، فهم الذين يطلبون من غير المسلمين أن يمنحوهم حرية المعتقد، بيد أن العهود السالفة هم الذين كانوا يمنحون أصحاب الملل الأخرى حرية المعتقدات مع احترام أديانهم والإنصاف فيما بينهم دون تضييقهم

أما غير المسلمين اليوم فيظلمون المسلمين ويضيقون عليهم في جميع أنحاء العالم، وبدون استثناء، وحتى بعض الدول التي نعتقد أنها دول إسلامية يضيقون على بني جلدتهم -المسلمين- .

و صنيعهم هذا إما طلبا لرضاء سادتهم الغربيين أو لاتباع شياطينهم الانس والجن التي تأزهم أزا.

إذا لماذا أصبح الأمر عكس ذلك؟ الجواب عندك أيها المسلم.....



المبحث الخامس:

مفهوم التقوى في الإسلام

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف التقوى، أهميتها، ثمراتها العاجلة والآجلة، بواعثها مقاماتها مراتبها.

المطلب الثاني: حقيقة التقوى من القرآن الكريم، صفات المتقين، فضائل التقوى.

المطلب الأول:

تعريف التقوى، أهميتها، ثمراتها العاجلة والآجلة، بواعثها مقاماتها مراتبها

إن التقوى خير زاد، وهي الميزان الذي يوزن به العبد؛ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣٨٥] .

و عن أبي هريرة ﷺ: قيل يا رسول الله: من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم) [٣٨٦] .

- **تعريف التقوى:**

اهتم العلماء الأفاضل بتعريف التقوى فقال عنها علي بن أبي طالب ﷺ عن معنى التقوى :

(هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) [٣٨٧] اهـ.

و قال ابن مسعود ﷺ :

(التقوى هي أن يطاع الله فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر) [٣٨٨] اهـ

و قال طلق بن حبيب في التقوى:

(هي العمل بطاعة على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله) [٣٨٩] اهـ .

و أصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية منه.

---

٣٨٥ الحجرات،الآية ١٣.

٣٨٦ البخاري، رقم (٣٣٥٣).

٣٨٧ دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ للخطب / شحاتة محمد صقر ١/ ٤٦، دار الفرقان للتراث – البحيرة، دون تاريخ الطبعة.

٣٨٨ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب / شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن أسلم السفاريني، ١/ ٢٢٩، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، مصر.

٣٨٩ دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، ١/ ١٨٩.

- **أهمية التقوى:**

التقوى من أهم أسباب الفوز في الدنيا والآخرة منها:

أولا: أن الله تعالى أوحى الأولين والآخرين بالتقوى فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ﴾[٣٩٠].

فهذه وصية عظيمة للأولين والآخرين بالتقوى المتضمّنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن ضيعها وأهملها بأليم العقاب.

ثانيا: أنها وصية الله تعالى للنبي ﷺ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣٩١].

ثالثا: أنها وصية الله للمؤمنين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٣٩٢].

رابعا: أنها وصية الله للناس جميعا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٣٩٣].

خامسا: أنها وصية النبي ﷺ لأمته في كل مكان فقد قال عليه الصلاة والسلام:

(اتق الله حيثما كنت)[٣٩٤].

سادسا: أنها الميزان الذي يوزن به العبد، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٩٥].

---

٣٩٠ النساء: ١٣١.

٣٩١ الأحزاب: ١.

٣٩٢ الأحزاب: ٧٠.

٣٩٣ النساء: ١.

٣٩٤ سنن الدارمي، باب في حسن الخلق رقم (٢٧٩١)، ٢/ ٤١٥ ورجاله ثقات، حديث صحيح؛ سنن الترمذي باب ما جاء في معاشرة الناس رقم (٢٠٥٣) ٣/ ٢٣٩.

٣٩٥ الحجرات: ١٣.

سابعا: إن التقوى تقي من عذاب الله، لأن كلمة التقوى اسم مأخوذ من الوقاية، وهو أن يتخذ الإنسان ما يقيه من عذاب الله، والذي يقيك من الله فعل أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه.

و اعلم أن التقوى أحيانا تقترن بالبر فيقال: بر وتقوى، كما قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[٣٩٦].

و تارة تذكر وحدها، فإن قرنت بالبر صار البر فعل الأوامر والتقوى ترك النواهي، وإذا أفردت أصبحت شاملة تعم فعل الأوامر واجتناب النواهي، وقد أخبر الله في القرآن الكريم إن الجنة أعدت للمتقين، فأهل التقوى هم أهل الجنة، ولذلك يجب على الإنسان أن يتقي المولى ﷻ امتثالا لأمره، وطلبا لثوابه ومرضاته، والنجاة من عقابه.

ثامنا: التقوى أهم من اللباس الحسي الذي لا غنى عنه، لأن لباس التقوى لا يبلى ولا يبيد، ويستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهرة فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أن يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع، وبتقدير عدم هذا اللباس تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها مع الضرورة، أما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنه تنكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة [٣٩٧]، قال الله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[٣٩٨]،

وهذا اللباس الذي لا يستغني عنه الإنسان طرفة عين، وبدونه لا قيمة له ولا كرامة ولا فلاح.

---

٣٩٦ المائدة: ٢.

٣٩٧ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ص٤٨٥، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩٨ الأعراف: ٢٦.

- **ثمرات التقوى العاجلة والآجلة:**

إن للتقوى ثمرات كثيرة منها ثمرات آجلة في الدنيا، وثمرات آجلة في الآخرة.

أولا: ثمرات التقوى العاجلة: أنها:

١- سبب لتيسير أمور الإنسان؛ كما قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[٣٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾[٤٠٠] .

٢- سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٤٠١]

٣- سبب للفتح الإلهي بالبركات من السماء والأرض، كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤٠٢] .

٤- سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منها، كما قال تعالى:

﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[٤٠٣].

٥- سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب، كما قال تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[٤٠٤]

٦- سبب للخروج من المأزق، وحصول الرزق والسعة للمتقين من حيث لا يحتسب، قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤٠٥].

---

٣٩٩ الطلاق : ٤ .
٤٠٠ الليل : ٥ – ٧.
٤٠١ الأعراف : ٢٠١.
٤٠٢ الأعراف : ٩٦.
٤٠٣ الأنفال : ٢٩.
٤٠٤ الأنفال : ٢٩.
٤٠٥ الطلاق : ٢ – ٣.

٧- سبب لنيل الولاية، فأولياء الله هم المتقون، كما قال تعالى:

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٤٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٤٠٧].

٨- سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الكافرين قال تعالى:

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٤٠٨].

- سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ولقاء الأعداء، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤٠٩].

١٠- سبب لنيل العلم وتحصيله، كما قال تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤١٠].

١١- سبب لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة؛ كما قال تعالى:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤١١]

ثانيا: ثمرات التقوى الآجلة: أنها:

١- سبب للإكرام عند الله تعالى، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤١٢].

٢- سبب للفوز والفلاح، كما قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٤١٣].

---

٤٠٦ الأنفال: ٣٤.
٤٠٧ الجاثية: ١٩.
٤٠٨ آل عمران: ١٢٠.
٤٠٩ آل عمران: ١٢٣.
٤١٠ البقرة: ٢٨٢.
٤١١ الأعراف: ١٥٦.
٤١٢ الحجرات: ١٣.
٤١٣ النور: ٥٢.

٣- سبب للنجاة يوم القيامة من عذاب الله قال تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٤١٤].

٤- سبب لقبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤١٥].

٥- سبب قوي لأن يرث العبد الجنة، قال تعالى:

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[٤١٦].

٦- سبب في الحصول على غرف الجنة، قال تعالى:

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[٤١٧].

٧- سبب لنيل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، قال تعالى:

﴿جنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[٤١٨].

٨- سبب لعدم الخوف وعدم المساس بالسوء يوم القيامة، كما قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤١٩].

٩- سبب للحشر يوم القيامة بصورة كريمة، وهي صورة الوفد القادم على الله ﷻ، والوفد: هم القادمون ركبانا، وهو خير موفود، قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[٤٢٠].

---

٤١٤ مريم: ٧١ - ٧٢.
٤١٥ المائدة: ٢٧.
٤١٦ مريم: ٦٣.
٤١٧ الزمر: ٢٠.
٤١٨ النحل: ٣١.
٤١٩ الزمر: ٦١.
٤٢٠ مريم: ٨٥.

١٠- سبب للفوز بالمقام الأمين والجنات والعيون، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٤٢١].

١١- سبب للحصول على مقعد صدق عند مليك مقتدر، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٤٢٢].

١٢- سبب لنيل البشرى في الآخرة بألا يحزنهم الفزع الأكبر، وتلقي الملائكة لهم، قال الله تعالى:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤٢٣].

- **بواعث التقوى:**

هناك بواعث عشرة هي:

١- خوف العقاب الأخروي.[٤٢٤]

٢- خوف العقاب الدنيوي.

٣- رجاء الثواب الأخروي.[٤٢٥]

٤- رجاء الثواب الدنيوي.

٥- خوف الحساب.

٦- الحياء من الله ومراقبته.[٤٢٦]

٧- الشكر لله على نعمه بطاعته.[٤٢٧]

---

٤٢١ الدخان: ٥١-٥٣.

٤٢٢ القمر: ٥٤-٥٥.

٤٢٣ يونس: ٦٢-٦٤.

٤٢٤ ينظر: إحياء علوم الدين، ٤/ ١٦١، وغذاء الألباب، ١/ ٢٢٩.

٤٢٥ ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٣٣٣.

٤٢٦ قوت القلب، ١/ ٣٣٣.

٤٢٧ ينظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٨٤.

٨- تعظيم جلال الله وهو الهيبة.[٤٢٨]

٩- العلم.

١٠- صدق المحبة.[٤٢٩]

- **مقامات التقوى:**

و للتقوى مقامات كثيرة توضح معدن الإنسان وتبين لبه، منها:

١- أن يتقي الكفر وهو مقام الإسلام، ويكون بتحقيق الإسلام.

٢- أن يتقي المعاصي، وهو مقام التوبة، ويكون بتحقيق التوبة الصادقة.

٣- أن يتقي الشبهات، وهو مقام الزهد والورع.[٤٣٠]

٤- أن يتقي انشغال القلب بغير الله، وهو مقام المراقبة أو المشاهدة.[٤٣١]

- **مراتب التقوى:**

و للتقوى مراتب ثلاث هي:

١- التوقي عن العذاب الدائم: بالتبرئ من الكفر والدليل قوله تعالى:

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[٤٣٢].

٢- تجنب كل إثم، يقول تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[٤٣٣].

٣- التنزه عن كل ما يشغلك عن الله تعالى: يقول تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[٤٣٤].

---

٤٢٨ ينظر: فقه الأدعية / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١/ ٢٢٠ ط٣، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الكويت.

٤٢٩ ينظر: موسوعة فقه القلوب محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ٢/ ١٧٨٨، بيت الأفكار للدولة.

٤٣٠ ينظر: قوت القلوب ١/ ٤٤٦.

٤٣١ ينظر: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، ٢/ ٣٣٣ وإحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك / أبو محمد عبد الكريم بن صالح عبد الكريم الحميد، ط١ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م مكتبة الملك فهد الوطنية.

٤٣٢ الفتح : ٢٦.

٤٣٣ الأعراف : ٩٦.

٤٣٤ آل عمران : ١٠٢.

المطلب الثاني:

حقيقة التقوى من القرآن الكريم، وصفات المتقين، وفضائل التقوى

- **حقيقة التقوى:**

وأما التقوى فحقيقتها: يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله:

(العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا، أمرا ونهيا، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده).

وكما قال طلق بن حبيب:

(إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى) قالوا: وما التقوى؟ قال: (أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله) [٤٣٥] اهـ.

و لمعرفة حقيقة التقوى في القرآن الكريم فإن كلمة التقوى وردت بعدة معاني منها:

١- الإيمان: قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[٤٣٦].

٢- التوحيد: قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[٤٣٧].

٣- التوبة: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ﴾ [٤٣٨] أي تابوا.

٤- ترك المعصية: قال تعالى: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤٣٩] أي فلا تعصوه.

٥- الإخلاص: قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٤٤٠] أي من إخلاص القلوب.

---

٤٣٥ الرسالة التبوكية / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ص١٣، تحقيق د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة.

٤٣٦ الحجرات : ٢.

٤٣٧ الفتح : ٢٦.

٤٣٨ الأعراف : ٩٦.

٤٣٩ البقرة : ١٨٩.

٤٤٠ الحج : ٣٢.

- **صفات المتقين:**

فالمتقون لهم صفات وأعمال نالوا بها السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الصفات ما يأتي:

أولا: قال الله تعالى:

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾[٤٤١].

ففي هذه الآيات مجموعة مباركة من صفات المتقين، وهي:

١- الإيمان بالغيب.

٢- إقام الصلاة.

٣- الإنفاق بالقرآن والكتب المنزلة السابقة.

٤- الإنفاق الواجب والمستحب في جميع طرق الخير.

٥- الإنفاق والإيمان الكامل بالآخرة، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك ومن اتصف بهذه الصفات، كان على الهدى العظيم، وكان من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة .

ثانيا قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٤٤٢].

ففي هذه الآية الكريمة يبين الحق سبحانه وتعالى كثيرا من أعمال المتقين وصفاتهم الجليلة العظيمة، وهي:

---

٤٤١ البقرة: ١ – ٥.

٤٤٢ البقرة: ١٧٧.

١- الإيمان بالله تعالى.

٢- الإيمان باليوم الآخر.

٣- الإيمان بالملائكة.

٤- الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥- إعطاء المال للأقرباء واليتامى، والمساكين، والمسافرين، والسائلين، وإعتاق الرقاب.

٦- إيتاء الزكاة.

٧- الوفاء بالعهد.

٨- الصبر في الفقر، والمرض، والصبر وقت قتال الأعداء.

٩- الصدق في الأقوال، والأفعال والأحوال.

فهؤلاء الذين عملوا هذه الأعمال الجليلة صدقوا في إيمانهم؛ لأن أعمالهم صدقت إيمانهم، وهم المفلحون؛ لأنهم تركوا المحظورات وفعلوا المأمورات؛ ولأن هذه الأمور مشتملة على كافة خصال الخير تضمنا ولزوما؛ لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ومن قام بهذه الأعمال، كان لما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون[٤٤٣].

❁

٤٤٣ ينظر: تفسير السعدي ص٨٣.

الفصل الثالث:

النعمة

و يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول:

النعمة

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم النعمة وأقسامها وشكرها.

المطلب الثاني: جحود النعمة: (النعمة والعقاب بما كسبت أيدي الناس).

المطلب الثالث: وسائل كسب النعم.

المطلب الأول:

مفهوم النعمة، وأقسامها، وشكرها

- **مفهوم النعمة:**

يمكننا معرفة مفهوم النعمة عن طريق بيان المعاجم أو القواميس، وذلك أننا نجد كلمة نعم: النعيم والنعمى والنعماء والنعمة كله يعني الخفض والدعة والمال والراحة، وهو ضد البأساء والبؤس، ومن هنا يقول المولى ﷻ:

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤٤٤].

يعني في هذا الموضع حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ، وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٤٤٥] . أي تسألون يوم القيامة عن كل ما استمتعتم به في الدنيا.

و النعمة هي: المنفعة على جهة الإحسان إلى الغير، فخرج بالمنفعة المضرة المحضة، والمنفعة المفعولة لا على جهة الإحسان إلى الغير، فإن قصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول له لا يكون نعمة، وذلك كمن أحسن إلى صديقه ليربح منه أو أراد استدراجه بمحبوب إلى ألم، أو أطعم غيره نحو سكر أو سم ليهلك فليس بنعمة.

وعرفه بعض الصالحين: بأن النعمة: ما قطعك عن الخلائق وجمعك بالخالق.[٤٤٦]

النعمة: هي في أصل وضعها الحالة التي يستلذها الإنسان، وهذا مبني على ما اشتهر عنهم من أن (الفعلة) بالكسر للحالة، وبالفتح للمرة بالفتح من التنعيم، وبالكسر من الإنعام، وهو إيصال النعمة، والنعماء بالفتح والمد وبالضم والقصر: قيل هي النعم الباطنة، والآلاء: هي النعم الظاهرة.

---

٤٤٤ البقرة: ٢١١.

٤٤٥ التكاثر: ٨.

٤٤٦ ينظر: التوفيق على مهمات التعاريف للمناوي، ص٣٢٧.

و قيل النعمة: هي الشيء المنعم به، واسم مصدر (أنعم) فهي بمعنى الإنعام الذي هو المصدر القياسي. ثم إن النعمة التي هي ما تستلذه النفس من الطيبات إما دنيوية أو أخروية [٤٤٧].

إن كل ما يصل إلى الخلق من النفع ودفع الضر فهو من الله ﷻ قال تعالى:

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٤٤٨].

- **أقسام النعمة:**

تنقسم النعمة إلى قسمين: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة.

١ – فالنعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، ومن خصهم وجعلهم أهل الرفيق الأعلى، حيث يقول تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٤٤٩].

فهؤلاء الأصناف الأربعة، هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضا هم المعنيون بقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٤٥٠].

فأضاف الدين إليهم؛ إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم، والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضاف إلى الرب، فيقال الإسلام دين الله (الذي) لا يقبل من أحد دينا سواه ولهذا يقال في الدعاء:

(اللهم انصر دينك الذي أنزلته من السماء) [٤٥١]

---

٤٤٧ الكليات معجم في المصطلحات للكفوي ص٩١٢.

٤٤٨ النحل : ٥٣.

٤٤٩ النساء : ٦٩.

٤٥٠ المائدة : ٣

٤٥١ اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية ص٣٤، مكتبة ابن رشد عام النشر ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م دون تاريخ الطبعة.

و نسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه؛ لأنه هو وليها ومسديها إليهم، وهم محل محض لنعمه قابلين لها، ولهذا يقال في الدعاء المأثورة:

(و اجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابليها وأتمها علينا) [٤٥٢] .

و أما الدين فلما كانوا هم القائمين به الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم، فقال: (أكملت لكم دينكم)، وكان الكمال في جانب الدين والتمام في جانب النعمة.

و أما دينه فهو شرعه المتضمن لأمره، ونهيه ومحابه فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن كما كانت إضافة الدين إليهم والنعمة إليه أحسن، والمقصود أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة، وهي التي اختصت بالمؤمنين [٤٥٣].

٢- النعمة المقيدة: النعمة المقيدة: هي نعمة الصحة والغنى وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة، وأمثال هذه النعمة مشتركة بين البار والفاجر، والمؤمن والكافر، وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق، فلا يصح إطلاقا السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعم المقيدة، لما كانت استدراجا للكافر ومآلها إلى العذاب والشقاء فكأنها لم تكن نعمة وإنما كانت بلية كما سماها الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [٤٥٤] .

و الآية أي ليس كل من أكرمته في الدنيا ونعمته فيها، فقد أنعمت عليه وإنما كان ذا ابتلاء مني له، وامتحانا، ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضل أكون قد أهنته، بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب.

قيل: الإكرام المثبت غير الإكرام المنفي، وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة، فليس هذا الإكرام المقيد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المطلق.

---

٤٥٢ المستدرك رقم (٩٧٧) ١/ ٣٩٧، المعجم الكبير للطبراني رقم(١٠٤٢٦) ١٠/ ١٩١.

٤٥٣ اجتماع الجيوش ص٣٥.

٤٥٤ الفجر: ١٥ – ١٦.

وكذلك أيضا إذا قيل إن الله تعالى أنعم على الكافر نعمة مطلقة، ولكنه رد نعمة الله وبدلها فهو بمنزلة من أعطي ما لا يعيش به فرماه في البحر، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٤٥٥] .

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٤٥٦].

فهداته إياهم نعمة منه عليهم فبدلوا نعمته وآثروا عليها الضلال.[٤٥٧]

- **شكر النعمة:**

لا بد أن نعلم جميعا أن شكر النعمة معرفتها على قدر موقعها من قلبه بتعظيمها وتعظيم إحسان المنعم عليه بها، ولا يكون معظما لها حتى يكون راغبا فيها، ولا يكون راغبا فيها حتى يعرف حاجته إليها ولا يعقل حاجته إليها إلا بتدبر عواقب الأمور وسرعة المصير إليها وشدة حاجته إلى ما يقدم عليه فعند ذلك تعظم النعمة عنده من المنعم عليه بها ويعرف امتنانه وإحسانه إليه فيها فعند ذلك يشتهي الزيادة منها، وإذا علم الله تبارك وتعالى ذلك منه زاده منها.

ولا يكون شاكرا لنعم الدنيا كلها حتى يكون شاكرا لنعم الآخرة، ولا لما تحب نفسه حتى يكون شاكرا لما يحب الله[٤٥٨].

والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل في قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[٤٥٩].

و قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤٦٠] .

وشكره لعباده مغفرته لهم، والشكور من العباد فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته، لأنه أدرك أن كل نعمة هي من الله ﷻ، والصور على ذلك كثيرة ونأخذ بعضها في قوله تعالى:

---

٤٥٥ إبراهيم : ٢٨.

٤٥٦ فصلت : ١٧.

٤٥٧ اجتماع الجيوش ص٣٧ – ٣٨.

٤٥٨ آداب النفوس / الحارث بن أسد المحاسبي، ص١٨٤ تحقيق: عبد القادر عطا، دار الجليل، دون تاريخ الطبعة، بيروت.

٤٥٩ آل عمران : : ١٤٥.

٤٦٠ إبراهيم : ٧.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤٦١] .

يعني العلم والفقه،و أن الله يهديه إلى الصواب كقوله تعالى في حق يحيى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٤٦٢]. فأدرك نعمة الله عليه فوجب عليه شكر ربه على إنعامه عليه بعدم معصيته.

و قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٤٦٣].

فإنه قد أدرك أنه في موضع ابتلاء واختبار أيشكر أم يكفر، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾[٤٦٤]. أي لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه حيث استوجب بشكره لربه تمام النعمة ودوامها والمزيد، فالشكر قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المقصودة، فعن معاذ بن جبل ﷺ، قال: سمع النبي ﷺ رجلا يدعو يقول: (اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال:) أي شيء تمام النعمة؟) قال: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير، قال: (فإن من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار) وسمع رجلا وهويقول: (يا ذا الجلال والإكرام، فقال:(استجيب لك فسل)،وسمع النبي ﷺ رجلا وهو يقول: (اللهم إني أسألك الصبر، فقال (سألت الله البلاء فسله العافية) [٤٦٥].

إن هذه الصور وغيرها تدل أن المنعم عليه حين أدرك أن هذه النعمة لا تكون إلا من المنعم جلّ جلاله شكر وأطاع وامتثل، ويشرح هذا الأمر حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ يقول: (إن أفضل الذكر لا إله إلا الله،وأفضل الدعاء الحمد لله)[٤٦٦] (و لا إله إلا الله) تدل على توحيد الخالق ﷻ) (و الحمد لله) على أن هذه النعمة من الواحد الحق.

---

٤٦١ لقمان : ١٢.

٤٦٢ مريم : ١٢.

٤٦٣ النمل : ٤٠.

٤٦٤ النمل : ٤٠.

٤٦٥ سنن الترمذي رقم (٣٥٢٧)، ٥/ ٥٤١، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، (٧٢٥)، والبزار في مسنده (٢٦٣٤) والحديث إسناده حسن.

٤٦٦ السنن الكبرى للنسائي (١٠٥٩٩)، ٩/ ٣٠٦ وابن ماجه (٣٨٠١)، ٤/ ٧١٢، والحديث بإسناد حسن.

فحقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته وكفر النعمة استعمالها في معصيته، فعن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر[٤٦٧] رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال:

(يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا)[٤٦٨].

و معناه أفلا أكون طالبا المزيد من الدرجات فإن الشكر سبب الزيادة في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤٦٩]. فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان

و قد سمع عمر بن الخطاب ﵁ رجلا يقول: (اللهم اجعلني من القليل، قال: فقال عمر: (ما هذا الذي تدعو به) فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٤٧٠]، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، قال: فقال عمر: (كل الناس أعلم من عمر) [٤٧١].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[٤٧٢].

قال الخطابي رحمه الله:

(هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه. والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر)[٤٧٣] اهـ.

---

٤٦٧ تفطّر: تشقق.

٤٦٨ مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨٢٠).

٤٦٩ إبراهيم : ٧ .

٤٧٠ سبأ : ١٣.

٤٧١ مصنف ابن أبي شيبة برقم (٢٩٥١٤)، ٦/ ٦٥.

٤٧٢ الترمذي، باب في شكر المعروف، برقم (٤٨١١)، ٧/ ١٨٨، وإسناده صحيح.

٤٧٣ معالم السنن / أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي، ٤/ ١١٣ المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

المطلب الثاني:

جحود النعمة (النعمة والعقاب بما كسبت أيدي الناس)

الجحد والجحود هو نقيض الإقرار كالإنكار، ويأتي بعد حصول العلم أو المعرفة، قال تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٤٧٤] . يعني بعد أن أنعم الله عليهم بالرزق ولم يطلب منهم الشكر، إن نسبوه على الغير جحدوا هذه النعمة وأنكروا فضل الله عليهم، بل جعلوا له شركاء من الأصنام، وأخذوا حق الله في العبودية والألوهية وأعطوه للأصنام وهذا عين الجحود.

و قال الجوهري:

(الجحود: الإنكار مع العلم، يقال: جحده حقّه وبحقه، جحدا وجحودا [٤٧٥] قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٤٧٦].

وهذا الأمر ليس خاصا بقوم معينين ولكن الجحود كان نهج كل مستكبر وقف بوجه دعوة نبيه، فالذين قالوا لشعيب عليه السلام:

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٤٧٧].

هم وبنفس النهج قالوا لصالح عليه السلام :

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٤٧٨]

و هم بنفس النهج قالوا لهود عليه السلام:

---

٤٧٤ النحل : ٧١.

٤٧٥ الصحاح تاج اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري / ٢/ ٤٥١، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م بيروت.

٤٧٦ النمل : ١٤.

٤٧٧ سبأ : ٣٥.

٤٧٨ الأعراف : ٧٥ – ٧٦.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٤٧٩].

وهم بنفس النهج قالوا لسيد المرسلين ﷺ ما قالوا فخاطبه ربه ﷻ فقال:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٤٨٠].

والملأ في كل الآيات من قوم فرعون ومن غيرهم، من الأقوام هم قواعد أنظمة الحكم الذين يستخدمون الحاكم ممرا لمصالحهم وهم الذين تمتلئ القلوب هيبة لرؤيتهم .

إن الذين يريدون المروق من قفص طاعة الله ﷻ عن طريق جحود نعمته فهم وإن تعددت لغاتهم وآراؤهم ودعواتهم لم يمرقوا عن إطار أن هذه الدعوة ستسلب منهم سلطانهم وتحرمهم من تميزهم وترفعهم بما لهم من مال وجاه ومناصب، فخاطب الله ﷻ نبيه مسليا ومواسيا:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤٨١] .

وهذا تذكير له ولكل من عمل مثل ما حمل، وما أجمل ما قال سيد قطب رحمه الله:

(إن موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم، ضارب في شعاب الزمن، ماض في الطريق اللاحب، ماض في الخط الواصب... مستقيم الخطى، ثابت الأقدام، يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، ويقاومه التابعون من الضالين والمتبوعون، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء...)[٤٨٢] اهـ.

و أما النعمة والعقاب بما كسبت أيدي الناس، يقول تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤٨٣] .

---

٤٧٩ الأعراف: ٦٦.

٤٨٠ الأنعام: ٣٣.

٤٨١ الأنعام: ٣٤.

٤٨٢ ظلال القرآن، ٢/ ١٠٧٧.

٤٨٣ الروم: ٤١.

ظهر الفساد في البر والبحر، الفساد في البر بما يصيب الأرض من منع البركات، وغور المياه، وانحباس الأمطار، ويبس الأشجار وغير ذلك، وإصابة الثمار وكساد الأموال والتجارات وغير ذلك من ألوان العقوبات التي نشاهدها، ولكن لا نتعظ ولا نبحث عن أسباب هذه العقوبات، بل منا وفينا وبين أظهرنا من يكتب ويقول ليست هذه المصائب وهذه الآفات بسبب الذنوب إنما هذه كوارث طبيعية يجري بدون سبب من الناس، وهذا تكذيب لقوله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

وتكذيب أيضا لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٤٨٤] .

هذه قسوة للقلوب، يقول تعالى:

﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٤٨٥] .

هذه غفلة عن سنن الله الكونية وإعراض عن تدبر القرآن والاعتبار الذي أمر الله ﷻ به فيما يجري من الحوادث، ومع ذلك كله يسرحون ويمرحون ولا ينكر عليهم ولا يمنعون من أقوالهم الباطلة، قال تعالى: ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء﴾[٤٨٦]. أي أن هذا يجري على آبائنا من قبلنا فليس فيه عبرة ولا عظة وإنما هو عادة، ومنهم -كما قال تعالى -: من إذا أصابتهم المصائب قالوا: هذا بسبب الرسل وأتباعهم، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾[٤٨٧].

و السيئة هنا ما يصيبهم في الأرض من القحط والجدب وغلاء الأسعار وغير ذلك، يقولون هذا بسبب موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وهكذا يقولون اليوم مثل من كان قبلهم: هؤلاء المتشددون منعونا من التقدم ومن الرقي ومن الحضارة والتنمية وغير ذلك من أقوالهم التافهة، ولا منكر على هؤلاء، فنخشى أن يصيبنا مثل ما أصاب من قبلنا؛ لأن هذا

---

٤٨٤ الشورى: ٣٠.

٤٨٥ الأنعام: ٤٣.

٤٨٦ الأعراف: ٩٥.

٤٨٧ الأعراف: ١٣١.

إذا فشا وظهر في الأمة ولا ينكر عليهم أحد عمهم الله بعقوبة عاجلة دون تخصيص الصالح والطالح، لقوله تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤٨٨].

تصيبنا هذه المصائب ونكثر من المهرجانات والملهيات، مما يغفل الناس ويعرض بالناس عن الالتفات إلى معالجة هذه الأمور، بل يزيدون، ولم يبق إلا العقوبة المستأصلة، لكن المولى ﷻ رؤوف بالعباد يؤجلهم لعلهم يتوبون.

المطلب الثالث:

وسائل كسب النعم

إن من أجل نعم الله على هذا الإنسان: نعمة الإيمان والهداية، ولذلك ينبغي للإنسان أن يحرس على الحصول عليها وأن يسعى في سبيل تحقيقها، وبالهداية يجد المسلم السعادة في حياته الدنيا ويعيش مطمئنة، أما طريقها فسهل لمن سهله المولى ﷻ له وهو الإعلان بالتوبة عما مضى، وعقد النية والحرص على الأعمال الصالحة في المستقبل، وإحسان العمل في الزمن الحاضر. وإن نعمة الهداية والدين والالتزام، والسير على الصراط المستقيم لآثار ترافق صاحبها في هذه الحياة وعند الموت، وفي القبر وعلى الصراط، وفي أرض المحشر حتى تدخل الجنة ببركة نعمة الإيمان.

والناس اليوم يتطاحنون، ويتناحرون، ويتسابقون في سبيل تحصيل المال، وكثرة العيال، وعلو المنصب والجاه، وهذه النعم: نعمة المال والأولاد والمنصب والجاه نعم لا تنفع في الآخرة إلا من عرف حقها فأداها كما ينبغي، يقول تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤٨٩].

أما كيفية تحصيل النعم فسبيلها سهل وطريقها يسير كما يقول ابن القيم رحمه الله:

---

٤٨٨ الأنفال: ٢٥.

٤٨٩ الشعراء: ٨٩.

(هلمّ إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصيب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها وذلك أنك في وقت بين وقتين وهو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذي مضى تصلحه التوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق إنما هو عمل قلب وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب وامتناعك ترك وراحة ليس هو عمل بالجوارح يشق عليك معاناته وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرّك) [٤٩٠] اهـ.

و أما وسائل كسب النعم التي دعا إليها الإسلام فعديدة يأتي في مقدمتها:

١- السعي في تحصيلها، يقول تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٤٩١] لأن الرزق من أكبر نعم الله تعالى على عباده حيث أمرهم بطلبه عن طريق الحلال لا عن كسب الحرام .

٢- تقوى الله ﷻ التي أجمل ابن مسعود ﷺ تعريفها فقال: (أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر) [٤٩٢] . و يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٤٩٣].

٣- الاستغفار: والاستغفار جعله الله تعالى سببا في نزول الغيث، وجعله سببا في الحصول على الرزق، وسببا في أن يرزق الله العبد بنعمة الأولاد، وهي من أجل نعم الله ﷻ على العبد، يقول تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٤٩٤] . ويقول عليه الصلاة والسلام: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب) [٤٩٥].

---

٤٩٠ الفوائد، لابن قيم الجوزية، ص١١٦، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، بيروت.

٤٩١ الملك : ١٥.

٤٩٢ تقدم تخريجه.

٤٩٣ الطلاق : ٢ - ٣.

٤٩٤ نوح : ١٠ - ١٣.

٤٩٥ ابن ماجه باب الاستغفار (٣٨١٩) أبو داود (١٥١٨).

٤- التوكل على الله والاعتماد عليه والاستعانة به سبحانه وتعالى: قال تعالى:

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٤٩٦].

والتوكل على الله سبب، وهو من أقوى الأسباب في حصول المأمول، وصدق من قال: (و من اعتمد على عقله ضل؛ ومن اعتمد على جاهه ذل، ومن اعتمد على ماله قل، ومن اعتمد على الله لا قل ولا ضل ولا ذل) [٤٩٧].

٥- الدعاء بحصول الرزق: فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق والقوة المتين فمن دعا الله بإخلاص استجاب له، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٤٩٨].

والمولى ﷻ قد تكفل بأمر الرزق وأقسم على ذلك: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٤٩٩] . والله تعالى الذي أمر بالدعاء هو الذي تكفل بالإجابة

٦- شكر الله على نعمه: فكفى بنعمة الخلق نعمة، وما أعظم نعمة الهداية على الإسلام، بل ما أعظم نعمة الالتزام بالإسلام، والشكر لله تعالى قرن بالزيادة... قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٥٠٠].

فهذه هي الوسائل التي تعين المرء على كسب أنعم الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا، وذلك لينال رضا ربه تبارك وتعالى عند مماته.

❁

٤٩٦ الطلاق : ٣.

٤٩٧ معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني، ص٦٢ دون تاريخ الطبعة والدار.

٤٩٨ غافر : ٦٠.

٤٩٩ الذاريات : ٢٢.

٥٠٠ إبراهيم : ٧.

المبحث الثاني:

العقاب

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أسباب العقاب.

المطلب الثاني: وسائل النجاة من العقاب.

المطلب الأول:
أسباب العقاب

- **أسباب العقاب (أسباب هلاك الأمم وحصول البلاء والمحن):**

إن أسباب هلاك الأمم وحصول البلاء والمحن كثيرة، ومن أهمها:

– عدم التحاكم إلى شريعة الله:

من أسباب الإهلاك: ترك العمل والتحاكم إلى كتاب الله ﷻ، فإن الكثير منهم لا يحكمون بالكتاب والسنة، وإنما يحكمون بالقوانين الوضعية التي يمليها ويتلوها شياطين الإنس والجن، فقد نبذوا كتاب الله ﷻ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو عليهم الشياطين، قال الله ﷻ:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[٥٠١] .

فالمصائب والإهلاك يأتي نتيجة لترك الحكم بما أنزل الله ﷻ، وترك المتابعة لرسول الله ﷺ، قال الله ﷻ:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥٠٢].

– الظلم وتعدي حدود الله:

من أسباب الإهلاك والأخذ الظلم والشرك وتعدي الحدود، والتمادي في ذلك بعد الإنذار والإعذار قال الله ﷻ:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٥٠٣].

---

٥٠١ المائدة: ٤٩.
٥٠٢ الشعراء: ١٣٩.
٥٠٣ الحج: ٤٨.

و قال سبحانه: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[٥٠٤]، فالله يمهل ولا يهمل، بل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٥٠٥].

و قال عليه الصلاة والسلام:

(اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...)[٥٠٦] [٥٠٧] .

والظلم سبب للإهلاك وحصول المصائب قال تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[٥٠٨].

– ظهور الربا والزنا:

و من أسباب الإهلاك ظهور الربا والزنا، قال النبي ﷺ:

(ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلّوا بأنفسهم عقاب الله ﷻ) [٥٠٩].

أما ظهور الربا في هذا الزمن فهو أمر واضح، كما تتعامل به غالب المؤسسات المالية، حيث يتعاملون بالربا سرا وعلانية، وحيلة وصراحة، والله ﷻ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[٥١٠].

---

٥٠٤ الأنبياء : ١١.

٥٠٥ هود : ١٠٣

٥٠٦ مسلم، كتاب الأدب، باب: تحريم الظلم رقم (٢٥٧٨).

٥٠٧ اتقوا الظلم... قال القاضي عياض رحمه الله: قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام أي شدائدهما، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات. المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/ ١٣٤ ، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ .

٥٠٨ القصص : ٥٩.

٥٠٩ مسند أحمد برقم (٣٨٠٩) حديث صحيح لغيره.

٥١٠ البقرة : ٢٧٩.

وأما الزنا فسبب ظهوره أمران:

الأول: تساهل أولياء النساء في الوقاية، بحيث يترك الرجل زوجته أو ابنته أو أخته تخرج إلى الأسواق والمجامع العامة متبرجة، وكذلك يدخل أو يسمح بإدخال الأجهزة التي تبث أنواع الفساد في العقائد والأخلاق، وتسبب عمل الفاحشة.

الثاني: تساهل أولياء أمور النساء في الرقابة، بحيث تفشوا المجلات السيئة في البيوت وتبث الأفلام الفاسدة، وتذاع الأغاني السافلة... الخ

- الاعتبار بما حصل للأمم السالفة من العذاب والإهلاك:

يجب على البرية أن يعتبروا بما حصل للأمم الماضية، وما حل بهم من العذاب، وما يحصل الآن في بعض الدول من الهلاك والعذاب، وما يحل بهم من عقاب، كل ذلك بسبب الذنوب والمعاصي، قال الله ﷻ:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٥١١] .

قال ابن الجوزي رحمه الله:

(مخالفة الأمر توجب سخط الآمر والإصرار على المخالفة أعظم منها ما أسرع العقوبة إلى المسارع إلى المعصية. وما أبعد الفلاح عمن لا تؤدبه العقوبة كيف يطمع في الزيادة من هو مضيع للشكر، وكيف تدوم التوسعة لقوم كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم المستعين بالنعم على المعاصي مستوجب السلب...) [٥١٢] اهـ.

و في السنة أيضا أمثلة تبين فيما حصل أو سيحصل من عقوبات لمن ارتكب الذنوب والمعاصي، وعن ابن عمر ﷺ قال:

(كنت عاشر عشرة رهط في مسجد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان... فأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين، خمس

---

٥١١ الأنعام: ٦.

٥١٢ التذكرة في الوعظ لابن الجوزي، ص٦٥ تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتبع، دار المعرفة، ط١ ١٤٠٦هـ بيروت

خصال إن ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يغلبوا بها إلا فشا بينهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء، ولو لا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ﷻ ويتخيروا فيما أنزل الله ﷻ إلا جعل الله العظيم بأسهم بينهم) [٥١٣].

المطلب الثاني:

وسائل النجاة من عقاب الله تعالى

إن مما لا ريب فيه أن هناك وسائل كثيرة يترتب عليها بقاء هذه الأمة واستمرارها، وظهورها على أعدائها ونجاتها من عذاب الله في الدنيا والآخرة، ومن هذه الوسائل منها:

- تقوى الله تعالى في السر والعلن:

فتقوى الله تعالى من الأسباب القوية والمؤثرة لنجاة الأمة من عقاب الله في الدنيا والآخرة، فهذا من أهم الوسائل للخروج من الأزمات العامة والخاصة، ومن السلامة من تسلط الأعداء واستجلاب الفرج والانتصار على النفس والشيطان، فمن ضعف أمام نفسه، ولم يكفّها عن غيّها، فلن يتمكن النصر على عدوه، يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾[٥١٤].

- الاجتماع والاتفاق،و تجنب الخلاف والشقاق:

و من وسائل نجاة الأمة مما يحل بها من أزمات وفتن الاجتماع والاتفاق، وتجنب الخلاف والشقاق هو قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[٥١٥]. ويقول أيضا: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[٥١٦]، وما سلط الله على قوم عدوهم، وما وقعت شرور وفتن وبدع ومنكرات في مجتمع حتى يفتحوا على أنفسهم باب خلاف وشقاق.

---

٥١٣ ابن ماجة: باب العقوبات يرقم (٤٠١٩)، ٢/ ١٣٣٢؛ المستدرك، يرقم (٨٦٢٣) ٤/ ٥٨٢، والحديث صحيح.

٥١٤ الطلاق : ٢.

٥١٥ الأنفال : ٤٦.

٥١٦ آل عمران : ١٠٣.

و هذا مما يوجب على الأمة أن تراجع نفسها، وأن تدرس وضعها بكل جد وجلي وصراحة مع التجرد من الأهواء قبل أن يستفحل الداء ويتعذر العلاج والدواء، فالمرض إذا عولج من أوله سهل علاجه، وسهل شفاؤه، لكن إذا انتشر في الجسد وتمكن منه، صار علاجه أصعب وأشق، فإذا بادرت الأمة إلى إصلاح نفسها وإزالة الخلاف، واجتماع كلمتها سهل عليها ذلك، فيجب على الأمة أن تسارع إلى ذلك قبل أن يتعذر العلاج.

و من أدلة الأمر بالاجتماع قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٥١٧].

– الدعوة إلى الله ﷻ بالطرق الشرعية:

و من وسائل نجاح الدعوة إلى الله ﷻ بالطرق الشرعية، الاعتماد على الكتاب والسنة، مع الصبر على الأذى في ذلك، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والداعي إلى الله لا بد أن يصيبه أذى وضيق ولذلك يقول تعالى:

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾[٥١٨] .

– عدم تصديق الشائعات:

و من وسائل نجاة الأمة عدم تصديق الشائعات؛ لأن الشائعات توهن عضد الأمة، وهي سلاح فتّاك بيد العدو، فإذا ردها المجتمع، ولم يلتفت إليها لم ترج بين أفراده، يقول تعالى موضحا حال المذبذبين الذين ينشرون الشائعات والفتن بين المسلمين، وما يترتب على ذلك من الشرور، ويوضح حال الذين يلفقون أخبارهم وينشرونها من غير تمحيص:

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٥١٩] .

---

٥١٧ النساء : ٥٩.

٥١٨ لقمان : ١٧.

٥١٩ التوبة : ٤٧.

و كما نهى الله ﷻ عن تصديق خبر الفاسق حتى يتبين أمره، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٥٢٠].

– التضرع وكثرة الدعاء:

و من وسائل نجاة الأمة الالتجاء إلى الله تعالى، والتضرع إليه بكثرة دعائه وسؤاله، والإلحاح عليه سبحانه، قال تعالى: **﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[٥٢١]، فالدعاء مشروع في العسر واليسر والسعة والضيق، والله تعالى يحب من عباده أن يدعوه ويسألوه، ويلتجئوا إليه، ويرفعوا حاجاتهم، وفي الحديث: (إن الدعاء هو العبادة) [٥٢٢]

– ملازمة ذكر الله ﷻ:

و من وسائل نجاة الأمة ملازمتهم لذكر الله ﷻ في كل أحوالهم، فذكر الله من أفضل الطاعات، وأجل القربات، وهو حصن حصين للعبد من شياطين الإنس والجن، ومن كيد الأعداء، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾[٥٢٣] .

– التوبة إلى الله ﷻ:

و من وسائل نجاة الأمة التوبة إلى الله تعالى، فيجب على المسلمين أن يعودوا إلى مولاهم الحق، وأن يقفوا مع أنفسهم وقفة صادقة، وأن يطهروا أنفسهم وأهليهم ومجتمعاتهم من وسائل الفساد والرذائل، وأن يتوبوا إلى الله توبة صادقة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٥٢٤] .

---

٥٢٠ الحجرات : ٦.

٥٢١ الأعراف : ٥٥.

٥٢٢ ابن ماجة، باب فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٨)، ٥/ ٥؛ السنن الكبرى برقم (١١٤٠٠) ١٠/ ٢٤٤، إسناده صحيح.

٥٢٣ الأحزاب : ٤١ – ٤٢.

٥٢٤ التحريم : ٨.

– التوسط في الأمور:

و من وسائل نجاة الأمة، التوسط في الأمور كلها، فكما أن الغلو مذموم – لما ينتج من مفاسد عظيمة – فالتفريط والتساهل في أمور الدين والاستخفاف بأحكامه، وانتهاك حرماته، وتعدي حدوده، والولوغ في المعاصي من الزنا واللواط، وشرب المسكرات والمخدرات، وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وظلم العباد، وانتهاك أعراضهم، والتحايل على ذلك بطرق ماكرة، وظلم اليتامى، وقطيعة الأرحام، والمجاهرة بالمنكرات، كل هذا محرّم وضار بالأمة مفض إلى دروب خطيرة، يستجلب غضب الجبّار ومقته. قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٥٢٥] أي: عدولا خيارا.

– الاستعداد بالقوة المعنوية:

ومن وسائل نجاة الأمة وانتصارها على أعدائها، الاستعداد بالقوة المعنوية، بالنية الصادقة في الدفاع عن هذا الدين، وحفظ حدود الله بالقوة المادية، قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ﴾[٥٢٦].

ينبغي أن يعلم أن جميع ما سلف ذكره من الأخذ بوسائل النجاة، يجب أن يبني ويؤسس على العلم، وهو فهم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فهما صحيحا، فما انتشر الإسلام في ربوع الأرض، وما انتصر الصحابة – رضي الله عنهم – إلا لأجل تحقيقهم هذا الجانب.

فيجب على الأمة التي تبتغي النجاة لنفسها أن تأخذ بوسائل القوة المادية، وأن تسلك مسلك العلم الشرعي، وألا يؤخذ ذلك إلا عن أهله، الذين هم أهل الفتوى، ممن رسخت أقدامهم في العلم وأخذوه عن مشايخهم، فالعلم هو أساس العقيدة، وهو أساس العمل، لا يقبل عمل إلا بعلم، ولا ينفع علم إلا بعمل، قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٥٢٧].

---

٥٢٥ البقرة: ١٤٣.

٥٢٦ الأنفال: ٦٠.

٥٢٧ محمد: ١٩.

فيجب على المسلم أن يعرف دليل عمله، وأن يعمل بعلمه، حتى لا يكون العلم وبالا عليه، ولذلك قال موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ أَعُوذُ بِاللّه أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٥٢٨] ، وقال تعالى أيضا: ﴿**فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٥٢٩].



٥٢٨ البقرة: ٦٧.

٥٢٩ الأنعام: ٣٥.

المبحث الثالث:

القلب السليم

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم القلب السليم، وأنواعه وصفاته.

المطلب الثاني: أسباب أمراض القلوب وعلاجها.

المطلب الأول:

مفهوم القلب السليم وأنواعه وصفاته

- **مفهوم القلب السليم:**

القلب هو القلب الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شهوة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فخلصت عبوديته لله تعالى، إرادة ومحبة، وتوكيلا وإنابة، وإخباتا وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله ﷻ، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله ﷻ، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الإتمام والإقدام به وحده، دون كل أحد في الأقوال والأعمال، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول، ولا عمل [٥٣٠] .

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٥٣١].

- **أنواع القلوب وصفاتها:**

إن للقلوب أنواعا وصفاتا لابد من البيان عنها، ولنبسطها مع التفصيل فنقول:

- أولا: أنواع القلوب عند الغزالي:

قال الغزالي: (القلوب في الثَّبات على الخير والشر والتردُّد بينهما ثلاثة:

القلب الأول: قلْب عُمِر بالتقوى، وزكَا بالرِّياضة، وطهُر مِن خبائث الأخلاق.

القلب الثاني: القلْب المخذول، المشحون بالهَوى، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبوابُ الشياطين، المسدود عنه أبوابُ الملائكة.

---

٥٣٠ جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب، ١/ ٥١٠ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط،وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، بيروت.

٥٣١ الحجرات : ١.

القلب الثالث: قلْب تبْدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرّ، فيلحقه خاطر الإيمان فيَدْعوه إلى الخير، فتنبعث النفْس بشهوتها إلى نُصرة خاطِر الشر، فتقَوى الشهوة وتحسن التمتُّع والتنعُّم، فينبعث العقلُ إلى خاطر الخير، ويدفَع في وجه الشهوة ويُقبِّح فِعلها، وينسبها إلى الجهْل، ويشبهها بالبهيمة والسَّبُع في تهجُّمها على الشرِّ وقِلَّة اكتراثها بالعواقِب، فتميل النفْس إلى نُصح العقل) [٥٣٢] .

- أنواع القلوب عند ابن القيم:

وقال ابن القيم: (القلوب ثلاثة:

القلْب الأوَّل: قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلبٌ مظلم قد استراح الشيطانُ مِن إلْقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتَّخذ بيتًا ووطنًا وتحكَّم فيه بما يُريد، وتمكَّن منه غايةَ التمكُّن.

القلب الثاني: قلب قدِ استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظُلمة الشهوات وعواصِف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبالٌ وإدبار، ومجالاتٌ ومطامع، فالحرْب دُول وسِجال.

وتختلف أحوالُ هذا الصِّنف بالقلَّة والكثرة، فمِنهم مَن أوقات غلبته لعدوِّه أكثر، ومِنهم مَن أوقات غلبَة عدوِّه له أكثر. ومنهم مَن هو تارَةً وتارة.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قدِ استنار بنور الإيمان، وانقشعتْ عنه حجب الشهوات، وأقلعتْ عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدرِه إشراق؛ ولذلك الإشراق إيقاد لو دنَا منه الوسواس احترَق به، فهو كالسَّماء التي حُرِستْ بالنجوم، فلو دنا منها الشيطانُ يتخطَّاها رُجِم فاحترق) [٥٣٣] .

---

٥٣٢ إحياء علوم الدين ٣/ ٤٥ – ٤٦.

٥٣٣ الكلم الطيب ص ٢٤.

إذًا فأنواع القلوب ثلاثة:

- النوع الأوَّل: القلْب السَّليم:

الذي سلِم صاحبه مِن الوقوع في الشبهات والشهوات، واستقام على أمْر الله، واقتدى بسُنة رسول الله ﷺ، واقتدَى أيضًا بالسَّلَف الصالح فنَتج عن ذلك سلامة قلْبه في الدُّنيا مِن أمراض القلْب التي تعتريه، وأمَّا يوم القيامة اليوم الذي لا يَنفع فيه مال ولا بنون، فإنَّه سيأتي ربَّه بهذا القلْب السليم، فيتمنَّى كل واحد في ذلك اليوم أن يكون صاحب ذلك القلْب، ولكن هيهات فلا تَنفع النَّدامة ولا الحسَرات، وصفات هذا القلب كالتالي:

الصِّفة الأولى: **مطمئن**؛ قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٥٣٤] .

الصِّفة الثانية: **منيب**؛ قال تعالى:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٥٣٥].

الصِّفة الثالثة: **وجِل**؛ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥٣٦] .

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[٥٣٧].

الصِّفة الرابعة: **سليم**؛ قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٥٣٨] .

---

٥٣٤ الرعد: ٢٨.
٥٣٥ ق : ٣٣.
٥٣٦ الأنفال : ٢.
٥٣٧ الحج : ٣٥.
٥٣٨ الشعراء : ٨٩.

الصفة الخامِسة: **لين**؛ قال تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٥٣٩].

الصِّفة السادِسة: **رحيم رؤوف**؛ قال تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥٤٠].

الصِّفة السابعة: **خاشِع**؛ قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥٤١].

الصِّفة الثامنة: **عليه سَكينة**؛ قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٥٤٢].

الصِّفة التاسعة: **قوي**؛ قال تعالى:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[٥٤٣].

---

٥٣٩ الزمر: ٢٣.
٥٤٠ الحديد: ٢٧.
٥٤١ الحديد: ١٦.
٥٤٢ الفتح: ٤.
٥٤٣ الكهف: ١٤.

الصِّفة العاشرة: **مخبت**؛ قال تعالى:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٥٤٤].

- النوع الثاني: القلب الميِّت:

هو الذي لا حياةَ به، فهو لا يعرِف ربَّه ومولاه، وخالقه ورازقه؛ لا يعبده ولا يأتمر بأمره ولا ينتهي عن نهيه، ولا يحبُّ ما يحبُّه ويرضاه، ولا يُبغض ما يبغضه ويأباه، بل هو واقفٌ مع شهواته ورغباته، حتى ولو كان فيها مُسخطًا ربَّه، فعبادته لغير الله حبًّا وخوفًا ورجاءً وسخطًا، إنْ أحبَّ أحبَّ لهواه، وإنْ أبْغض أبغض لهواه، وإنْ أعطى أعْطى لهواه، فهو آثرُ عندَه وأحبُّ إليه مِن رضا مولاه، لا يستجيب لناصح، بل يتَّبع كل شيطان مريد، الدُّنيا تُسخطه وتُرضيه والهوَى يصمُّه عمَّا سِوى الباطِل ويُعميه [٥٤٥]، فهذا هو القلْب الميِّت الذي ذكرت صِفاته في أكثر مِن آية في كتاب الله ﷻ. قال أحدُ الصالحين: يا عجبًا مِن المسلم يبْكون على موتِ جسدِه، ولا يبكون على مَن مات قلْبه وهو أشدُّ، فمُخالطة صاحِب هذا القلب سُقم، ومعاشرته سمٌّ، ومجالسته هلاك [٥٤٦].

وصفاته كالتالي:

الصفة الأولى: **مطبوع عليه**؛ قال تعالى:

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [٥٤٧].

---

٥٤٤ الحج: ٥٤.

٥٤٥ ينظر موسوعة فقه القلوب، ٢/ ١٣٠٥.

٥٤٦ ينظر: أصول الوصول إلى الله، أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب، ص٥٧ المكتبة التوفيقية، ط٢ دون ذكر تاريخ الطبعة، القاهرة.

٥٤٧ الأعراف: ١٠١.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[٥٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ﴾[٥٤٩].

الصفة الثانية: قاسٍ؛ قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٥٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥٥١].

وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٥٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥٥٣].

الصِّفة الثالثة: مقفل؛ قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٥٥٤].

---

٥٤٨ الأعراف: ١٠٠.
٥٤٩ محمد: ١٦.
٥٥٠ المائدة: ١٣.
٥٥١ الأنعام: ٤٣
٥٥٢ الحج: ٥٣
٥٥٣ الزمر: ٢٢.
٥٥٤ محمد: ٢٤.

الصفة الرابعة: **مكنون**؛ قال تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[٥٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٥٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٥٥٧].

الصِّفة الخامسة: **عليه رَان**؛قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥٥٨].

الصِّفة السادسة: **مختوم**؛ قال تعالى:

﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[٥٥٩].

الصِّفة السابعة: **مغلف**؛ قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٥٦١].

---

٥٥٥ الأنعام: ٢٥.
٥٥٦ الإسراء: ٤٦.
٥٥٧ الكهف: ٥٧.
٥٥٨ المطففين: ١٤.
٥٥٩ البقرة: ٧.
٥٦٠ البقرة: ٨٨.
٥٦١ النساء: ١٥٥.

الصِّفة الثامنة: مرعوب؛ قال تعالى:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[٥٦٢] .

الصِّفة التاسعة: مشمئز؛ قال تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٥٦٣] .

الصفة العاشرة: لا يَفْقه؛ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٥٦٤] .

الصِّفة الحادية عشر: لا يَعقِل؛ قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٥٦٥] .

الصِّفة الثانية عشر: مُنكِر؛ قال تعالى:

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٥٦٦].

الصِّفة الثالثة عشر: مغمور (مُغطًّى)؛ قال تعالى:

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[٥٦٧].

---

٥٦٢ آل عمران : ١٥١.

٥٦٣ الزمر : ٤٥.

٥٦٤ الأعراف : ١٧٩.

٥٦٥ الحج : ٤٦.

٥٦٦ النحل : ٢٢.

٥٦٧ المؤمنون : ٦٣.

- النوع الثالث: القلْب المريض:

القلب المريض هو قلبٌ له حياة، وبه عِلَّة فله مادَّتان، تمدُّه هذه مرةً وتلك أخرى، وهو لِمَا غلب عليه منهما، ففيه مِن محبَّة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكُّل عليه ما هو مادَّة حياته، وفيه مِن محبة الشهوات والحِرص على تحصيلها والحسد والكِبر والعُجب، وحبّ العُلو والفساد في الأرض بالرِّياسة والنِّفاق والرياء، والشح والبخل، ما هو مادَّة هلاكه وعطَبه، ونعوذ بالله مِن هذا القلْب، وهذا الذي ذكَر الله في بداية كتابه أكثر مِن آية بأن خصَّ القلب السليم بأربَع آيات، والقلب الميِّت بآيتين، ثم أكثر مِن ثلاث عشرة آية في هذا النَّوع؛ لأنَّ كثيرًا مِن المسلمين لا يخلو قلبُه أن يكونَ مِن هذا النوع ولو لحظة واحدة، نسأل الله أن يعصمَنا من ذلك، وأن يَشفي قلوبنا مِن أمراضها.

صفاته كالتالي:

الصفة الأولى: **مريض**؛ قال تعالى:

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٥٦٨] .

وقال تعالى: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾**[٥٦٩] .

وقال تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾**[٥٧٠] .

الصِّفة الثانية: **لاهٍ**؛ قال تعالى:

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٥٧١] .

---

٥٦٨ البقرة: ١٠.

٥٦٩ المائدة: ٥٢.

٥٧٠ التوبة: ١٢٥.

٥٧١ الأنبياء: ٣.

الصِّفة الثالثة: **زائِغ**؛ قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٥٧٢] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّيَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥٧٣] .

الصِّفة الرابعة: **غافِل**؛ قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٥٧٤]

الصِّفة الخامسة: **غليظ**؛ قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥٧٥].

الصِّفة السابعة: **مفرّق**؛ قال تعالى:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[٥٧٦].

الصِّفة الثامنة: **عليه حسْرة**؛ قال تعالى:

---

٥٧٢ آل عمران : ٧.

٥٧٣ الصف : ٥.

٥٧٤ الكهف : ٢٨.

٥٧٥ آل عمران : ١٥٩.

٥٧٦ الحشر : ١٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥٧٧].

الصِّفة التاسعة: **مخالِف** للقول؛ قال تعالى:

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[٥٧٨].

الصِّفة العاشرة: **مُرْتاب**؛ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٥٧٩].

الصِّفة الحادية عشر: **فيه نِفاق**؛ قال تعالى:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[٥٨٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[٥٨١].

الصِّفة الثانية عشر: **مصروفٌ عنِ الحق**؛ قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[٥٨٢].

---

٥٧٧ آل عمرا: ١٥٦.

٥٧٨ آل عمران: ١٦٧.

٥٧٩ التوبة: ٤٥.

٥٨٠ التوبة: ٦٤.

٥٨١ التوبة: ٧٧.

٥٨٢ التوبة: ١٢٧.

- **أهمية القلب:**

يكتسب الحديث عن القلب أهمية خاصة؛ لعدة أمور، أُجمِلها فيما يأتي:

أولاً: أن الله – سبحانه وتعالى – أمَر بتطهير القلب، وتنقيته، وتزكيته، بل جعل الله – سبحانه وتعالى – من غايات الرسالة المحمدية تزكيةَ الناس، وقدَّمها على تعليمهم الكتاب والحكمة لأهميتها؛ يقول الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٥٨٣]

قال ابن القيم – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [٥٨٤]:

(جمهورُ المفسِّرين من السلف ومَن بعدهم على أن المراد بالثياب هنا: القلبُ، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق).

ثانيًا: أثر هذا القلب في حياة الإنسان؛ فهو الموجِّه والمخطِّط، والأعضاء والجوارح تنفِّذ.

يقول أبو هريرة ﷺ:

(القلب ملِك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب المِلك طابت جنودُه، وإذا خبث المِلكُ خبثت جنوده).

ثالثًا: ومن الأسباب الجوهرية للحديث عن هذا الموضوع غفلةُ كثيرٍ من الناس عن قلوبهم.

رابعًا: أن كثيرًا من المشكلات بين الناس – وبالأخص بين طلبة العلم – سببُها أمراض تعتري القلوب، ولا تبنى على حقائق شرعية، فهذه المشكلات تترجمُ أحوالَ قلوب أصحابها.

خامسًا: أن سلامة القلب وخلوصَه سبب لسعادة الدنيا والآخرة؛ فسلامة القلب من الغل والحسد والبغضاء وسائر الأدواء سببٌ للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٥٨٥] .

---

٥٨٣ الجمعة : ٢.

٥٨٤ المدثر : ٤.

٥٨٥ الشعراء : ٨٨ – ٨٩.

سادسًا: يقول الإمام عبد الله بن أبي جمرة:

(ودِدت أنه كان من الفقهاء مَن ليس له شغل إلا أن يعلِّمَ الناسَ مقاصدهم في أعمالهم؛ فما أُتي كثيرٌ ممن أُتي إلا من قِبَل تضييع ذلك).

سابعًا: ما أعطى اللهُ لهذا القلب من مكانة في الدنيا والآخرة.

ثامنًا: أن أقوال القلب – وهي تصديقاته وإقراراته – وأعماله وحركاته؛ من خوف ورجاء ومحبة وتوكل وخشية وغيرها، هي أعظمُ أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وبتخلُّفها يتخلَّف الإيمان.

تاسعًا: أن كثيرًا من الناس جعلوا جُلَّ همهم تفسيرَ مقاصد الناس، وتحميل تصرفاتهم ما لا تحتمل، وتجاهل الظاهر، وترتيب الأحكام على تنبؤ عمل القلوب، مما لا يعلَمُه إلا علامُ الغيوب.

المطلب الثاني:

أسباب أمراض القلوب وعلاجها

- **أسباب أمراض القلوب**

هناك أسباب كثيرة لأمراض القلوب وفسادها، من أهمِّها:

١- الجهل؛ فهو يقود إلى الأمراض القلبية والفكرية، ويهوي بصاحبه وهو لا يعلم.

٢- الفتن، وهي تدكُّ القلوب، وتُعرَض عليها، فمن نجَا منها فقد فاز.

٣- الشهوات والمعاصي.

٤- الشبهات.

٥- الغفلة عن ذكر الله ﷻ.

٦- الهوى.

٧- الرفقة السيئة.

٨- أكل الحرام؛ كالربا والرِّشوة وغيرهما.

٩- إطلاق البصر فيما حرم الله ﷻ.

١٠- الغِيبةُ والنميمة.

١١- الانشغال بالدنيا وجعلها جلَّ همِّه وقصده.

ومن أمراض القلوب أيضا:

١- النفاق.

٢- الرياء.

٣- مرض الشبهة والشك والريبة.

٤- سوء الظن.

٥- الحسد والغَيرة.

٦- الكِبْر والإعجاب بالنفس، واحتقار الآخرين، والاستهزاء بهم.

٧- الحقد والغل.

٨- اليأس.

٩- الهوى ومحبة غير الله ﷻ.

١٠- الخشية والخوف من غير الله ﷻ.

١١- الوسواس.

١٢- قسوة القلوب.

١٣- التحزب لغير الحق.

- **علاج أمراض القلوب:**

أولاً: إن أساس صحة القلب وسلامته في إيمانه بالله ﷻ، ويتفرع عنه ما يأتي:

- كمال محبة الله ﷻ: بأن يكون حبه لله، وفي الله، وأن يكون بُغضه ومعاداته لله، وقد بيَّن أحد علماء السلف الصالح أن من أعظم وسائل علاج القلب: أن يمتلئ قلبُ الإنسان بحب الله؛ ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾[٥٨٦] .

---

٥٨٦ البقرة: ١٦٥.

وأما وسائل محبة الله فكثيرة، منها:

قراءة القرآن، وتدبُّره، وفَهم معانيه، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ودوام ذكر الله على كل حال، وإيثار محابِّه على هوى نفسك ومحابِّها، ومطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وانكسار القلب بين يدي الله ﷻ وغيرها من الوسائل.

ثانيًا: الإخلاص:

يقول الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٥٨٧].

أخلِصوا لله ﷻ في أعمالكم، وستجدون راحة في صدوركم؛ ولذلك يقول الله ﷻ:

﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾[٥٨٨].

ثالثًا: حسن المتابعة:

بأن يكون عمله واعتقاده وَفْقَ ما أمر الله ورسوله؛ يقول الله تعالى:

﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾[٥٨٩]

ويقول ﷻ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[٥٩٠].

رابعا – ذكر الله ﷻ:

فإنه يجلو صدأ القلوب، ويذهب ما ران عليها من آثامٍ ومعاصٍ، ويزيد من قُرب الإنسان لربه، لا سيما إذا كان مستشعرًا للذكر، مصاحبًا له في كل أحواله وحركاته وهيئاته.

يقول أحد السلف:

(والله لو طهُرَتْ قلوبُنا ما مللنا من قراءة القرآن).

---

٥٨٧ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

٥٨٨ البينة: ٥.

٥٨٩ آل عمران: ٣.

٥٩٠ الحشر: ٧.

خامسا – المراقبة والمحاسبة:

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله –: أنها من أهمِّ العوامل لعلاج القلب واستقامته.

يقول ابن القيم– رحمه الله –: وهلاك النفس من إهمال محاسبتها، ومن موافقتِها واتِّباع هواها؛ ولذلك ورد في الأثر: (الكيِّسُ من دان نفسَه، وعمِل لِما بعد الموت، والعاجزُ من أتبَع نفسَه هواها، وتمنَّى على الله الأمانيَّ).

سادسا – وسائل أخرى:

فمنها العلم، تحقيق التقوى، قيام الليل، كثرة الدعاء خاصة في الثلث الأخير من الليل، فإن سهام الليلِ لا تُخطئ، فليُكثِرِ الإنسانُ فيه من التضرع إلى الله ﷻ، وسؤاله الصفح والمغفرة والستر والتجاوز.

ومنها: إطابة المطعَمِ والملبَسِ، وكثرة الصدقة؛ يقول ﷻ:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٥٩١].

ومن أعظمها: غض البصر؛ قال الله ﷻ:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى﴾[٥٩٢].

❁

٥٩١ التوبة: ١٠٣.

٥٩٢ النور: ٣٠.

المبحث الرابع:

الاستقامة

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الاستقامة: تعريفها أهميتها، أسبابها، وسائل الثبات على الاستقامة.

المطلب الثاني: ثمرات الاستقامة.

المطلب الأول:

الاستقامة: تعريفها، أهميتها، أسبابها، وسائل الثبات على الاستقامة

- **تعريف الاستقامة:**

وَالِاسْتِقَامَةُ: هِيَ سُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيجٍ عَنْهُ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرْكَ الْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا كَذَلِكَ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَامِعَةً لِخِصَالِ الدِّينِ كُلِّهَا[٥٩٣].

وهي وسط بين الغول والتقصير، وكلاهما منهي عنه شرعاً.

– الاستمرار عليها، والتقصير فيها:

المؤمن مطالب بالاستقامة الدائمة، ولذلك يسألها ربه في كل ركعة من صلاته: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[٥٩٤]. ولما كان من طبيعة الإنسان أنه قد يقصر في فعل المأمور، أو اجتناب المحظور، وهذا خروج عن الاستقامة، أرشده الشرع إلى ما يعيده لطريق الاستقامة، فقال تعالى مشيراً إلى ذلك: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾[٥٩٥]، فأشار إلى أنه لابد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، وأن ذلك التقصير يجبر بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقال عليه الصلاة والسلام:

(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها)[٥٩٦].

---

٥٩٣ جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الحادي والعشرين. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ١/ ٥١٠ تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس مؤسسة الرسالة،ط٧، ه-١٠٠٢م، بيروت.

٥٩٤ الفاتحة: ٦.

٥٩٥ فصلت: ٦.

٥٩٦ رواه أحمد ٥/ ١٥٣، ١٥٨، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس ٤/ ٣١٢، رقم(١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح؛ والحاكم ١/ ٥٤، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر جامع العلوم والحكم، حديث رقم (١٨).

- مقامات الدين التي يطالب بها العبد:

قال عليه الصلاة والسلام: (سددوا وقاربوا)[٥٩٧]، فالسداد: الوصول إلى حقيقة الاستقامة، أو هو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد.

وقوله: (قاربوا) أي: اجتهدوا في الوصول إلى السداد، فإن اجتهدتم ولم تصيبوا فلا يفوتكم القرب منه.

فهما مرتبتان يطالب العبد بهما: السداد، وهي الاستقامة، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، وما سواهما تفريط وإضافة، والمؤمن ينبغي عليه أن لا يفارق هاتين المرتبتين، وليجتهد في الوصول إلى أعلاهما، كالذي يرمي غرضاً يجتهد في إصابته، أو القرب منه حتى يصيبه[٥٩٨].

- **أهمية الاستقامة:**

مما يدل على أهميتها أمور، منها:

١ـ أنها في حقيقتها تحقيق للعبودية التي هي الغاية من خلق الإنس والجن، وبها يحصل للمرء الفوز والفلاح.

٢ـ أن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بتحقيقها، وكذلك كل من كان معه، فقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ**﴾[٥٩٩]، وقال: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[٦٠٠]، بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه، فقال، في حق موسى وأخيه عليهما السلام:

﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾[٦٠١].

---

٥٩٧ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد ١١/ ٢٩٤، ح(٦٤٦٣، ٦٤٦٤)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله ٤/ ٢١٧١ ح (٢٨١٧).

٥٩٨ انظر: جامع العلوم والحكم، حديث(٢١)، ومدارج السالكين لابن القيم، منزل الاستقامة، وشرح النووي على مسلم (الحديث السابق).

٥٩٩ هود: ١١٢.

٦٠٠ الشورى: ١٥.

٦٠١ يونس: ٨٩.

- **من أسباب الاستقامة ووسائل الثبات عليها:**

١ ـ من أهم أسباب الاستقامة إرادة الله لهذا العبد الهداية، وشرح صدره للإسلام، وتوفيقه للطاعة والعمل الصالح، قال تعالى:

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦٠٢].

٢ ـ الإخلاص لله تعالى، ومتابعة رسوله ﷺ؛ قال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٦٠٣].

٣ ـ الاستغفار والتوبة؛ وقد علق الله تعالى الفلاح والنجاح بالتوبة، فقال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦٠٤].

٤ ـ محاسبة النفس؛ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦٠٥].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم[٦٠٦] [٦٠٧] اهـ..

فالمحاسبة تحفظ المسلم من الميل عن طريق الاستقامة.

---

٦٠٢ المائدة: ١٥ – ١٦.

٦٠٣ البينة: ٥.

٦٠٤ النور : ٣١.

٦٠٥ الحشر: ١٨.

٦٠٦ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/ ٦٥ رقم(٣٨)، وهذا لفظه في النسخة المطبوعة، وإن كان اللفظ المشهور: (ثم استقم)، وعليه شرح النووي وغيره، والله أعلم.

٦٠٧ انظر: تفسير ابن كثير، ١٨/ ٧٧.

٥ـ المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة:

لأنها صلة بين العبد وربه، وهي من عوامل ترك الفحشاء والمنكر، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[٦٠٨].

٦ـ طلب العلم: والمقصود به علم الكتاب والسنة، لأنه الوسيلة لمعرفة الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ.

٧ـ اختيار الصحبة الصالحة: لأن الجليس الصالح يعين صاحبه على الطاعة وعلى طلب العلم، وينهيه على أخطائه، أما الجليس السيئ فعلى العكس من ذلك تماماً،قال تعالى:

﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٦٠٩].

٨ـ حفظ الجوارح عن المحرمات: وأهمها: اللسان فيحفظه عن الكذب والغيبة والنميمة وغيرها، ويحفظ بصره عن المحرمات، وليكن نصب عينيه قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٦١٠].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[٦١١].

٩ـ معرفة خطوات الشيطان للحذر منها؛ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[٦١٢].

---

٦٠٨ العنكبوت: ٤٥.

٦٠٩ الزخرف: ٦٧.

٦١٠ الإسراء: ٣٦.

٦١١ متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ١/ ٣٠٨، ح(٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار ١/ ٦٨، ح (٤٧، ٤٨).

٦١٢ النور: ٢١.

المطلب الثاني:

ثمرات الاستقامة

- **من ثمرات الاستقامة:**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾[٦١٣] .

من هذه الآية وغيرها نستنتج بعضاً من ثمرات الاستقامة:

١ـ طمأنينة القلب بدوام الصلة بالله ﷻ.

٢ ـ أن الاستقامة تعصم صاحبها ـ بإذن الله ﷻ ـ من الوقوع في المعاصي والزلل وسفاسف الأمور والتكاسل عن الطاعات.

٣ ـ تنزل الملائكة عليهم عند الموت، وقيل: عند خروجهم من قبورهم، قائلين: ﴿**أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾[٦١٤] على ما قدمتم عليه من أمور الآخرة، ولا ما تركتم من أمور الدنيا من مال وولد وأهل.

٤ ـ حب الناس واحترامهم وتقديرهم للمسلم، سواء كان صغيراً أو كبيراً على ما يظهر عليه من حرص على الطاعة، والخلق الفاضل.

٥ ـ وعد الله المتقين أن لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم، وتطلبه ألسنتهم إحساناً من الله تعالى.

فلقد ورد ذكر الاستقامة في القرآن الكريم، في مواطن كثيرةٍ،

مرةً بالأمر بها كما في قوله تعالى:

﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾. [٦١٥]

---

٦١٣ فصلت: ٣٢.

٦١٤ فصلت: ٣٠.

٦١٥ هود: ١١٢.

ومرةً بالثناءِ على أهلها، وذكر ما أعد لهم من الخير والثواب، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦١٦].

وكما في قوله تعالى:

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[٦١٧].

ومرةً بطلبِ الهدايةِ إلى الطريق المستقيم، كما في قوله تعالى:

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٦١٨].

وقد جاء في السنة الحث على لزوم الاستقامة كما في قوله ﷺ:

(قل آمنت بالله ثم استقم)[٦١٩].

ومما يدل على أهميتها أن رسول الله ﷺ لما جاءه سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه يقول له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له النبي ﷺ: (قل آمنت بالله، ثم استقم).

٦١٦ فصلت: ٣٠.

٦١٧ الجن: ١٦.

٦١٨ الفاتحة: ٦.

٦١٩ مسند أحمد رقم ١٥٤١٦. ٢٤/ ١٤١، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المبحث الخامس:

التوحيد

ويتضمن مطلبا واحدا:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد – أقسامه مع الأمثلة عليه.

المطلب الأول:
مفهوم التوحيد، أقسامه مع الأمثلة عليه

- **مفهوم التوحيد:**

التوحيد في اللغة: مصدر (وحّد يوحّد توحيدا) أي جعله واحدا، ومادة (وحّد) تدور على انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، والتوحيد على وزن (تفعيل) تعني الوحدة والانفراد والتفرد، والمقصود من التفعيل هو للنسبة لا للجعل، فمعنى: (وحدت الله تعالى) (نسبته إلى الوحدانية) لا (جعلته واحدا)، لأن وحدانيته صفة ذاتية له لا بجعل جاعل. والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك[1].

- **أقسام التوحيد مع الأدلة عليه:**

أما التوحيد في الشرع: فهو الإيمان بالله متفرّد بصفات العظمة والكمال والجلال والجمال، والاعتراف بتوحيده بها، والاعتقاد أنه لا شريك له فيها، وإفراده وحده بالعبادة، قال السفاريني رحمه الله في تعريفه للتوحيد بالمعنى الشرعي:

(هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك) [620] هـ.

ينقسم التوحيد إلى قسمين التوحيد العملي والعلمي

أولا: التوحيد العملي: التوحيد العملي أساسه تجريد القصد بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والعبودية بالقلب، واللسان، والجوارح لله وحده.

---

٦٢٠ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري ٢/ ٥٤٧، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ومعجم الوسيط، ٢/ ١٠٥٩.

و معنى التوحيد العملي: الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادات مع القيام بصرف هذه العبادة له وحده ولا يصرف منها شيء، وهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل ودعوا إليه أقوامهم، فالرسل مقرون التوحيد الربوبية داعون التوحيد الألوهية كما أخبر الحق عنهم فقال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٦٢١].

و قال تعالى عن نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٦٢٢].

و قال تعالى عن هود عليه السلام:

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾[٦٢٣].

وقال تعالى عن صالح عليه السلام:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[٦٢٤].

و قال تعالى عن شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٦٢٥].

وقال عن موسى عليه السلام قوله لقومه:

﴿أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾[٦٢٦].

---

٦٢١ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار شرح الدرة المضية، شمس الدين أبو العون محمد بن سالم السفاريني، ١/ ٥٧ مؤسسة الخافقين، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، دمشق.

٦٢٢ الأنبياء: ٢٥. ٤؛ هود: ٢٥ – ٢٦.

٦٢٣ هود: ٥٠.

٦٢٤ هود: ٦١.

٦٢٥ هود: ٨٤.

٦٢٦ الأعراف: ١٤٠.

و قال تعالى عن عيسى عليه السلام:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٦٢٧].

وقال تعالى آمرا لنبيه ﷺ أن يقول لقومه:

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾[٦٢٨].

فهذه السور قد اختصت بتوحيد الألوهية أو التوحيد العملي وهو توحيد العبادة.

وبالجملة فكل الرسل بعثوا بالدعوة لتوحيد الألوهية وإفراد العبادة وترك عبادة الطواغيت.

ثانيا: التوحيد العلمي:

التوحيد العلمي أساسه: إثبات الكمال للرب تعالى، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل.

والأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف؛ ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله الكريم من غير تحريف ولا تعطيل، كما أخبر الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٦٢٩] مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلت عليه.

- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالا، وأما تفصيلا فبما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم بحسب علم المكلف.

- الإيمان بالكتب المنزلة جميعا، وأن القرآن الكريم أفضلها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف.

- الإيمان بأنبياء الله ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم -.

- الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

- الإيمان باليوم الآخر وكل ما صح فيه من الأخبار.

---

٦٢٧ آل عمران: ٥١.

٦٢٨ الزمر: ١٤.

٦٢٩ الشورى: ١١.

– الإيمان بالقدر، خيره وشره من الله تعالى.

– الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

– الإيمان بشفاعة النبي ﷺ أو شفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة.

– رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، وفي المحشر حق وهي لن تقع لأحد في الدنيا.

– المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه [٦٣٠].

و قد أخبر البارئ ﷻ دليل هذا النوع في سورة الإخلاص فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦٣١] المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة الإخلاص فيها بيان ما يجب وصفه لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

و قال تعالى أيضا: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[٦٣٢].

و يقول: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[٦٣٣].

❁

٦٣٠ ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١/ ٣٧ – ٣٨ دار الندوة، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٦٣١ الإخلاص: ١.

٦٣٢ فاطر: ٣.

٦٣٣ الأعراف: ٥٤

الفصل الرابع:

الظلم

و يتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول:

مفهوم الظلم

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الظلم وأنواعه، وأسبابه، وحالات المظلوم.

المطلب الثاني: المواضع التي ذكر فيها الظلم.

أولاً: في القرآن الكريم.

ثانياً: في الحديث النبوي.

ثالثا: في الشعر العربي قديمه وحديثه.

المطلب الثالث: آثار الظلم – عاقبة الظالمين أونهايتهم.

المطلب الأول:

تعريف الظلم، وأنواعه، وأسبابه

- **تعريف الظلم:**

هو سلب حقوق الآخرين والاعتداء عليهم، سواء أكان السلب أو الاعتداء ماديا أو معنويا. أو وضع الشيء في غير موضعه، وهو أيضا عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وفيه نوع من الجور، وهو الانحراف عن العدل [٦٣٤].

- **أنواع الظلم:**

١- الشرك بالله.

٢- ظلم الناس.

٣- ظلم النفس.

و فيما يلي بيان بما تقدم:

١- إن أشنع أصناف الظلم هو الشرك بالله تعالى فقد قال البارئ ﷻ على لسان لقمان:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٦٣٥] .

٢- ثم يأتي بعد ذلك ظلم الناس: وظلم الناس ينقسم إلى عدة أقسام وهي:

الظلم المادي، والظلم المعنوي، والإيذاء المادي، والإيذاء المعنوي.

و فيما يلي شرحا بالفوارق بينها:

أ- الظلم المادي:

و هو أن يسيطر شخص ما على شيء من ممتلكاتك كما هو مذكور في الآية الكريمة، حيث قال الحق سبحانه وتعالى:

---

٦٣٤ ينظر: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ابن الحسن الفارابي، ٢/ ١٨٤، تحقيق دكتور أحمد مختار عمر، ط مؤسسة دار الشعب للصحافة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م القاهرة.

٦٣٥ لقمان: ١٣.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٦٣٦] .

ب- الظلم المعنوي:

- كأن يسيطر شخص ما على شيء من حقوقك المعنوية كأن ينسب إنسان ما حقك في براءة اختراع إلى نفسه مثلا، أو يقوم رئيسك في العمل بإعطائك تقديرا منخفضا في (تقييم الكفاءة السنوي) مثل «مقبول» أو تقدير « أوجيد» بينما تستحق تقدير «امتياز».

- كأن ينسب إليك القيام بفعل مؤذ أو شيء وأنت لم تفعل، وذلك بالقول بأنك أنت من كان السبب في خسارة الشركة التي تعمل بها، وأنت لست كذلك.

ت- الإيذاء المادي:

و ينقسم إلى قسمين:

- الإيذاء البدني كأن يعتدي عليك شخص ما بالضرب بغير سبب.

- الإيذاء بالتعرض للممتلكات كأن تملك ماشية وقد أوكلت بها راعيا ليرعاها في الصحراء ثم تؤذي ماشيتك من طرف شخص ما فيحجب عنها الماء الذي يمر بأرضه أو يفلت عليها كلبه الذي ينبح عليها ويخفيها باستمرار أو يشتري العلف الموجود بالسوق كله ويخزنه عنده فلا تجد ما تشتريه لماشيتك، وما شاكل ذلك من أنواع الإيذاء.

ث - الإيذاء المعنوي:

و ينقسم إلى قسمين:

- الإيذاء المعنوي: وهو أن يسلب ما فيك من صفات حميدة كأن يعتدي عليك رجل ما فيقول لك:... لم نرك منصفا في شأن كذا وكذا... والحقيقة أنك كنت منصفا.

- الإيذاء المعنوي: وهو أن يصفك أحد ما بما ليس فيك كأن يعتدي عليك بالسب أو يصفك بما ليس فيك فيقول لك: يا غبي أو يا بهيمة، أو يا منافق، وأنت لست كذلك.

---

٦٣٦ ص: ٢٤.

- **أسباب الظلم:**

و من أسباب الظلم هي:

أ- الشيطان: قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٦٣٧]،

وقال أيضا: **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٦٣٨].

ب – النفس الأمارة بالسوء: قال تعالى:

﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦٣٩] .

ج – الهوى: قال تعالى:

﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ﴾[٦٤٠] وقال سبحانه: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**[٦٤١] وقال الحق تعالى: **﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾**[٦٤٢].

- **حالات المظلوم:**

١- من المحتمل أن يقع الظلم على فرد (أي شخص واحد).

٢- من المحتمل أن يقع الظلم على مجموعة معينة من الناس.

٣- من المحتمل أن يقع الظلم على المجتمع بأسره.

هناك أربع حالات تستدعي رأيا فقهيا على حالات الظلم أيضا:

١- المساعد على الظلم.

٢- المنفذ للظلم.

---

٦٣٧ البقرة: ٢٠٨.

٦٣٨ المجادلة: ١٩.

٦٣٩ يوسف: ٥٣.

٦٤٠ النساء: ١٣٥.

٦٤١ النازعات: ٤٠ – ٤١.

٦٤٢ الكهف: ٢٨.

٣- الساكت عن الظلم .

٤- الواقع الظلم في حماه.

و فيما يلي بيانا للفوارق بينها:

المساعد للظلم: هو الشخص الذي يشجع الظالم على المضي قدما في ظلمه أو يوفر له وسائل وخطط الظلم، أو يعيق المظلوم عند محاولاته لدفع الظلم عن نفسه.

المنفذ للظلم: هو الإنسان الذي تقتضي مهامه الوظيفية تنفيذ أمر ظالم على طرف ثالث كان يأمر ضابطا شرطيا بضرب شخص بريء فالشرطي في هذه الحالة منفذ للظلم، أو كما كان هامان ينفذ أوامر فرعون... الخ.

الساكت على الظلم: هو الشخص الذي يرى ظلما وقع من ظالم على مظلوم، وهو ليس طرفا في الأمر فيسكت بدعوى أن لا علاقة له بما يرى، أو بدعوى من تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه. ورد في صحيح مسلم:

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [٦٤٣].

و مما لا ريب فيه أن الظلم منكر.

الواقع الظلم في حماه: و هو الشخص الذي يمثل السلطة الأعلى في ما أوكل إليه ويقع الظلم في حماه بعلمه أو بدون علمه، كأن يكون هناك جيش ما ويظلم الضابط جنديا في أمر ما

إذا ما هي المسئولية التي تقع على عاتق قائد الجيش في حال علمه بالمظلمة، وفي حال عدم علمه بها؟ من منطق (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [٦٤٤] .

٣- ثم يأتي بعد ذلك ظلم النفس: فقد أخبر الحق تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٦٤٥].

---

٦٤٣ مسلم، كتاب الإيمان، بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٤٩).

٦٤٤ البخاري، كتاب الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه برقم (٢٤٠٩).

٦٤٥ الطلاق : ١.

و كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾[٦٤٦] .

فظلم النفس يقع بالمعصية.

المطلب الثاني:

المواضع التي ذكر فيها الظلم

أولا: ذكر الظلم في القرآن الكريم:

لقد ذكر المولى ﷻ الظلم في مواطن كثيرة في القرآن أذكر بعض الآيات، قال الحق تعالى:

﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٦٤٧].

يعلمنا الله تعالى أنه يحق للمظلوم أن يخبر الناس بما وقع عليه من ظلم، ولا يعتبر حديثه في هذه الحالة غيبة أو نميمة أو نفاق، وربما رخص الله تعالى للمظلوم بالتحدث لغايتين:

١- تنبيه الناس إلى الظالم وطريقة ظلمه لئلا يُظلم أي إنسان آخر بسبب جهله بالظالم.

٢- للتخفيف عن نفسه، فالمظلوم يخفف من نفسه بالتحدث للآخرين.

و يقول الحق تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا﴾[٦٤٨] .

و الخطاب في الآية موجه للكفار الذين ناصبوا الرسول ﷺ العداء، ولم يسلموا بل حاربوه، فالله يخبرنا أنهم ظالمون، وأنهم سيعضّون على أيديهم من الندم إذ لم يسلموا ولم يتخذوا مع الرسول سبيلا.

وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٦٤٩].

---

٦٤٦ الكهف : ٣٥.

٦٤٧ النساء : ١٤٨.

٦٤٨ الفرقان : ٢٧.

٦٤٩ الشعراء : ٢٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾[٦٥٠]

ثانيا: ذكر الظلم في الحديث:

وردت أحاديث كثيرة تنطق عن الظلم، وسأذكر بعضها

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه)[٦٥١].

يستفاد من الحديث أن الظالم قد يخسر حسناته التي جمعها في الدنيا لصالح المظلوم، فإن لم تبق له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فحمّل بها الظالم.

٢- أخبر عبد الله بن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)[٦٥٢].

يستفاد من الحديث أن على المسلم أن لا يظلم أخاه المسلم....

٣- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالما ومظلوما، قالوا يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصر ظالم؟ قال: (تأخذه فوق يديه)[٦٥٣]. أي تمنعه من الظلم.

ثالثا: ذكر الظلم في الشعر العربي قديمه وحديثه:

١- قول علي بن أبي طالب ﷺ:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم مرتعه يفضي إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم[٦٥٤].

---

٦٥٠ إبراهيم: ٤٣.

٦٥١ البخاري، كتاب المظالم، باب من كان له مظلمة عند الرجل برقم (٢٤٤٩).

٦٥٢ البخاري، كتاب الحيل، باب يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه.برقم ٦٩٥١.

٦٥٣ البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، برقم ٢٤٤٤.

٦٥٤ صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم،حسين بن محمد المهدي ص٦٣٥، وزارة الثقافة سنة ٢٠٠٩م اليمن.

٢ – قول أبي العتاهية:

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال المسيء هو الظالم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غدا عند الإله مَن الملوم [٦٥٥].

٣ – وقال المتنبي:

الظلم من شيم النفوس إن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم [٦٥٦].

٤ – وقال طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة [٦٥٧] ... على المرء من وقع الحسام [٦٥٨] المهند [٦٥٩].

المطلب الثالث:

آثار الظلم

- آثار الظلم: إن آثار الظلم كثيرة أورد بعضها وهي:

١ – من المعلوم أن الظلم يجلب غضب البارئ ﷻ، ويتسلط على الظالم بشتى ألوان العذاب، وهو يخرب الديار، وبسببه تنهار الدول، والظالم يُحرَم شفاعة رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وزلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [٦٦٠].

---

٦٥٥ المرجع نفسه ص٦٣٥.

٦٥٦ الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، ص١٥٠ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٦٥٧ الحرقة والحزن.

٦٥٨ الوقع: الضرب، والحسام: السيف.

٦٥٩ المصنوع من الهند.

٦٦٠ الكهف : ٣٥.

٢- ما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم، قال تعالى:

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٦١]

وقال تعالى عن فرعون:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٦٦٢] .

وقال عن قوم لوط:

﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٦٦٣]

وأهلك الله تعالى قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة، وقال:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦٦٤]

٣- الظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعد للغير، وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال ﷻ:

(وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين)[٦٦٥].

و نستفيد من الحديث وجوب نصرة المظلوم، ووجوب إيقاف الظالم.

٤- عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، فقال:

(اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[٦٦٦].

---

٦٦١ الأنعام: ٤٥.

٦٦٢ القصص: ٤٠.

٦٦٣ هود: ٨٢ - ٨٣.

٦٦٤ العنكبوت: ٤٠.

٦٦٥ المعجم الكبير للطبراني رقم (٣٧١٨).

٦٦٦ البخاري، كتاب المظالم باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم برقم (٢٤٤٨).

٥- ورد في مسند أحمد: قال رسول الله ﷺ:

(اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرا، فإنه ليس دونها حجاب)[٦٦٧].

٦- وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن؛دعوة الوالد، ودعوة المسافر،و دعوة المظلوم)[٦٦٨].

و يستفاد من الأحاديث السالفة أن الله تعالى قد يستجيب لدعوة المظلوم حتى ولو كافرا، وأما حديث ثلاث دعوات يستفاد منه تقديم دعوة المظلوم في الإجابة على دعوة المسافر ودعوة الوالد على الولد.

عاقبة الظالمين ونهايتهم:

من السنن الإلهية أن الخالق ﷻ لا بد أن يأخذ الظالم ولو بعد حين، حيث جرت عادته أنه يمهل ولا يهمل، ونهاية الظالمين أليمة، ومن تأمل في سيرهم في القرآن الكريم يجد في مصارعهم عبرة، ولا يخاف الله عقبى دمدمتهم، ويخزيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد جعل الله عقوبة الظلم والبغي معجلة في الدنيا قبل الآخرة لقباحة الظلم وكثرة أضراره.

الباغي تدور عليه الدوائر، فيبوء بالخزي ويتجرع مرارة الصغار والهزيمة، وينقلب خاسئا وهو حسير لم يبلغ ما أراد ولن يظفر بما رجا.

و لنتعرف شيئا يسيرا من نهاية الظالمين الذين أخذهم الباري ﷻ:إن من أكبر الطغاة -الظلمة الذين عجل الله لهم العذاب- فرعون الذي كان نموذجا لغيره من الطغاة قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٦٦٩] ولقد تعالى وتجبر فقال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[٦٧٠] وبلغ إلى منتهى السفه والغرور فقال: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾[٦٧١].

---

٦٦٧ مسند أحمد برقم، (١٢٥٤٩) إسناده ضعيف لجهالة أبي عبد الله الأسدي.

٦٦٨ سنن أبي داود برقم (١٥٣٦).

٦٦٩ القصص : ٤.

٦٧٠ النازعات : ٢٤.

٦٧١ القصص: ٣٨.

فماذا كانت العاقبة؟ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[٦٧٢] .

و من الظلمة الذين مروا في التاريخ قارون الذي بغى على قومه لما آتاه الله من الكنوز، قال تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[٦٧٣] .

وكما بغى على قومه بجبروت الخبرة والذكاء والعلم الذي عنده، فماذا كانت النتيجة:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[٦٧٤] .

و أبرهة صاحب الفيل الذي بنى كنيسة بصنعاء ليصرف الناس للحج إليها، ويجعل العرب يأتونها بدلا من الكعبة، ماذا حصل؟ صرف الله عنها الناس وهيأ من يوقد فيها حريقا ويلطخها بالنجاسة فأراد أن يأتي البيت ويهدمه، فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل -أي جماعات- تحمل الحجارة وترمي أبرهة وجنوده بها حتى عاد إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات هناك وقد هلك أكثر جيشه.

و كذلك أين أبو جهل -فرعون هذه الأمة -، وأمية بن خلف رأس الضلال،و الملأ والكبراء من قريش الذين بغوا في الأرض فاشتدت وطأتهم على المسلمين الأولين والمؤمنين الصادقين ساموهم سوء العذاب، أخرجهم الله في بدر ليذوقوا وبال أمرهم، خرجوا متطاولين على الله مغترين بأنفسهم معهم القينات والخمور...قائلين: وسنضرب ونضرب بعد الانتصار،ولكن بمشيئته تعالى قطع دابرهم وانتهت المعركة بالنصر والتمكين للمؤمنين، والنبي ﷺ كان يري الصحابة مصارع هؤلاء الكفرة قبل أن يقتلوا، فقال عمر بن الخطاب ﷺ:

(فو الذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ، قال: فجُعلوا في بئر بعضهم على بعض...)[٦٧٥].

---

٦٧٢ النازعات : ٢٥.

٦٧٣ القصص : ٧٦.

٦٧٤ القصص : ٨١.

٦٧٥ مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، برقم (٢٨٧٣).

المبحث الثاني:

العدو الشيطان

ويتضمن مطلبا واحدا

ويحتوي هذا المطلب بالنقاط التالية:

١. حقيقة وجود الجن، وأنواع الجن، ومساكن الجن.
٢. كيفية تنشئة الجن، وكيفية تسلطهم على الإنس، وإيذاؤهم .
٣. مكايد الشيطان ومداخله .

العدو الشيطان

أولا: توطئة:

– كانت البداية عندما خلق الله ﷻ آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعا، لأنهم: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[٦٧٦]، ولكن كان هناك مخلوق يتعبد معهم وليس من جنسهم؛ إذ إنهم خلقوا من نور، وهو خلق من نار؛ فخانه أصله ساعة الابتلاء، فأبى أن يسجد لآدم متعللا بأنه أشرف منه، فقال:

﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[٦٧٧] .

ويا للعجب: إنه يقر بأن الخالق هو الله، ويقر بأن المحيي والمميت هو الله؛ حيث قال: ﴿**فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٦٧٨]، ولكن هل ينفع العلم بدون عمل؟ كلا، ثم كلا، بل يكون وبالا على صاحبه، وحجة عليه يوم القيامة، وهنا يصدر الأمر الإلهي بالطرد واللعن: ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾[٦٧٩]، ومن هنا تأصلت العداوة بينه وبين آدم، ففكر في الانتقام والتشفي.

التخطيط العاجل:

وهنا فكر في خطة ماكرة خبيثة،فنطق على عجل: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٦٨٠]

قال الأستاذ سيد قطب:

(لقد طلب النظرة إلى يوم البعث، لا ليندم على خطيئته في حضرة الخالق العظيم)[٦٨١].

---

٦٧٦ التحريم: ٦.

٦٧٧ الأعراف ١٢.

٦٧٨ الأعراف ١٤.

٦٧٩ الحجر ٣٤-٣٥.

٦٨٠ الحجر ٣٦.

٦٨١ وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، ص١١٦-١١٧، دار الغد ط١ ت/ ٢٠١٤.

ولا ليتوب إلى الله ﷻ ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده، يربط لعنة الله له بآدم ولا يربطها بعصيانه لله ﷻ.

الأهداف المنشودة:

و بعد ما اطمأن لبقائه إلى يوم البعث، حين قال له: ﴿**إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾[٦٨٢]

بدأ يسرد تفاصيل الخطة، ويفصح عن الأهداف المنشودة غير خائف ولا هيّاب، فقال: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[٦٨٣]،

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

(و بذلك حدد إبليس ساحة المعركة،إنها الأرض، ﴿**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾، وحدد عدته فيها: إنه التزيين، تزيين القبح وتجميله، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه، وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزيينه، وتجمله، وتظهر له في غير حقيقته ورداءه، فليفطن الناس إلى عدة الشيطان، وليحذروا الأمور المزينة، لأنها شبكات شيطانية، وما على العباد إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته، فليس للشيطان على عباد الله المخلصين من سبيل).

هجومه على الإنس:

لقد أخذ الشيطان على نفسه عهدا، ليعادين بني آدم أجمعين، ومن هنا يقوم بالهجمة الأولى على الآدميين لحظة ولادته، لينذره بالحرب فلا صلح ولا هوادة، إنما هي حرب ضروس، كما في الحديث:

(كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى ابن مريم[٦٨٤] ذهب يطعن، فطعن في الحجاب)[٦٨٥].

---

٦٨٢ الحج: : ٣٨.

٦٨٣ الحجر: : ٣٩ – ٤٠.

٦٨٤ إن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية.

٦٨٥ مسند أحمد رقم: ١٠٧٧٣.

أولا: العدو الشيطان:

في الحقيقة إن العداوة الشيطانية مع بني آدم عداوة قديمة وسرمدية منذ أن خلق الله جدنا آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، ليتبين لنا هذه الحقيقة العدوانية علينا أن نقف على عدة نقاط منها:

- **حقيقة وجود الجن:**

لما كان إبليس العدو الأكبر هو رأس الشياطين من الجن وغيرهم، وددت أن أقف على حقيقة وجود هذا الجنس:

فالجن عالم ثالث موجود مثل عالم الملائكة وعالم الإنس، وهو أحد الثقلين اللذين بعث إليهما الحبيب المصطفى ﷺ، ودل على قول الحق سبحانه:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[٦٨٦] .

والجن يتحد مع الملائكة والإنس في بعض الصفات فهو يشارك الملائكة القدرة على التشكل والخفاء، إلا أنه يتشكل في الخبائث كالكلاب والحيات والقطط وما شابه ذلك.

أما الملائكة فلا يتشكلون إلا في الفضائل، كهيئات الطير والإنسان، والنور، وما شابه ذلك.

ويختلف الاثنان في طبيعة التكوين تماما فالجن من نار، والملائكة من نور.

وبين الجن والإنس قدر مشترك، في الاتصاف بصفة العقل والإدراك، والقدرة على اختيار طرق الخير أو الشر. ويختلف معه تماما في طبيعة التكوين: الإنسان من طين والجان من نار:

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٦٨٧]

---

٦٨٦ الرحمن : ٣١.

٦٨٧ كتاب أسرار القرآن علاج السحر والحسد ومس الجان، محمد محمود عبد الله، ط/ ١، ت/ ١٩٩٦م – ص/ ٣٥.

- **أنواع الجن وصنوفهم:**

حسب ما ورد في القرآن الكريم من تصنيف الجن لنفسه:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[٦٨٨]

نلاحظ أن الصالحين من الجن في المقام الأول، ثم عبّر بعد ذلك بالطرائق، وهو ما يفيد تعدد صفوف الجن واختلاف طرق نهجهم في الحياة واختلاف دياناتهم، وهو ما يشبه الإنس في اختلاف مللهم ودياناتهم، وحتى لغاتهم ولهجاتهم واعتناقهم المذاهب، فمؤمنو الجن هم صالحوهم مع بيان أن من يؤمن بربه لا يخاف على نفسه من نقصان أجره وثوابه عند ربه، ولا يخاف من إرهاق السحرة له باستخدامه، فإن المؤمن من الجن لا يخضع للساحر ولا يقع تحت طائلة تسخيره في أفعال، فالأشرار لا يستعينون إلا بالأشرار مثلهم،أما المؤمنون فهم آمنون على أنفسهم آمنون على دنياهم وأخراهم قال تعالى:

﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[٦٨٩] .

و هذا من جانب الخلقي والاعتقادي، وقد بان لنا بعد هذا البيان أنه ليس كل جني شيطانا كما قد يظن بعض الناس، بل كلمة شيطان تطلق على حيوان متمرد سواء كان جنيا أو إنسانا أو غيرهما. والشياطين عامة عملها الضلالة والكفر والتزيين والغواية والعصيان. وبالجملة أعمالهم الشر ويهدون إليه، فكل شيطان من الجن جني وليس كل جني شيطانا[٦٩٠].

أما الجانب الخلقي الشكلي فكما في قول الرسول ﷺ:

(الجن ثلاثة أصناف: فصنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلّون ويظعنون)[٦٩١].

---

٦٨٨ الجن : : ١١.

٦٨٩ الجن : : ١٣.

٦٩٠ أسرار القرآن في علاج السحر والحسد ومس الجان، محمد محمود عبد الله ط/ ١ ١٩٩٦م، ص/ ١٣ و٣١ و٣٢..

٦٩١ المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٤٩٥.رقم(٣٧٠٢).

- **مساكن الجن وأماكن وجودهم:**

– الجن يسكن في هذه الأرض التي يعيش عليها ويكثر وجودهم في الأماكن الخالية من الإنس كالصحراء والأماكن الخربة والمهجورة، وأماكن النجاسات، كالحمام والمزابل والقاذورات، والمقابر، لذا فإن السحرة التي تقترن بهم الشياطين لا بد لهم أن يأووا إلى هذه الأماكن ليتم اللقاء بينهم فيها. ويسكنون في المزابل والقمامات لأنهم يأكلون فضلات طعام الإنس، ويكثر وجودهم في الأماكن التي يمكنهم أن يفسدوا فيها كالأسواق وأماكن اللهو والغفلة، والشياطين تبيت في كل البيوت الخربة، ولا يلزم أن تكون خربة من السكان، وإنما أقصد بالخربة الخربة من ذكر الله تعالى،و قراءة القرآن، الغافل أهلها عن التسمية (بسم الله) اللاهي أصحابها عن التعوذ بالله من همزات الشياطين، فكل بيت غافل أهله، فهو خرب ومأوى للشياطين كالبيت الخالي من السكان.

– والجن تسكن الخلاء، كما روي عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: (إن الحشوش محتضرة، فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: اللهم إني أعوذ من الخبث والخبائث)، ومعنى محتضرة: أي يحضرها الجن.

قال وحيد عبد السلام بالي[٦٩٢]:

(... فقد لاحظت أن كفار الجن يتضايقون من الروائح الطيبة خاصة رائحة المسك... بينما الجن المسلمون يحبونها كمسلمي الإنس تماما). وهذا بعدما سأل جنيا مسلما: هل تسكن في الخلاء؟ قال: لا... وذكر أن ذلك خاص بكفار الجن لأنهم يفضلون أماكن الخلاء، والمواطن القذرة.

والجن تسكن الشقوق والحجور، وأعطان الإبل، كما ورد في الأحاديث الصحيحة)[٦٩٣].

---

٦٩٢ هو مؤلف كتاب وقاية الإنسان من الجن والشياطين، وهو راق.

٦٩٣ أسرار القرآن.. محمد محمود عبد الله، ص/ ٣٧–٣٨، ووقاية الإنسان من الجن والشياطين وحيد عبد السلام بالي، ص/ ٢٣– ٢٥.

- **كيف تنشأ العلاقة بين الإنسان والشياطين:**

– لا تنشأ العلاقة بين الجن وحليفه شياطين الإنس إلا بعد أن يدفع الساحر وهو شيطان الإنس ثمنا باهظا؛ لأن الشيطان لا يعاونه ولا يقوم بخدمته فيما يطلب إلا بعد أن يطلب إليه القيام بأعمال منافية للشرع، بل هي للكفر والشرك أقرب منها للإيمان، إذ يقوم من يريد استخدام الشيطان بالآتي:

١ – العهد والميثاق: وهو التحالف مع الشيطان على ألا يخون أحدهما الآخر فيفشي سره، أو يعصي أمره.

٢– يتقرب الساحر للشيطان: كأن يصوم له تقربا من أجل مرضاته، يذبح للشيطان، بشرط أن يذكر اسم الشيطان دون اسم الله على ما يذبح.

٣– يكتب الساحر آيات من القرآن بالنجاسة أو دم الحيض، أو يكتب الفاتحة مقلوبة، أو تمزيق المصحف ويضعه في نعله ويدخل به المرحاض

٤ – يأمر الساحر بالزنا، ثم بكتابة آيات مقلوبة بماء النجاسة، أو تمائم وطلاسم يكتبها بمني الزنا، ومنهم من يأتي أمه أو ابنته.

٥ – تحديد مكان خال يتم فيه اللقاء بينهما بمواصفات خاصة وغيرها من أعمال الكفر والشرك.

ومن هنا يتبين أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل، وكلما كان الساحر أشد كفرا كان الشيطان أكثر طاعة له، وأسرع في تنفيذ أمره، وإذا قصر الساحر في تنفيذ ما أمر به الشيطان من أمور كفرية، امتنع الشيطان عن خدمته وعصى أمره.

فالساحر والشيطان قريبان التقيا على معصية الله، فلا علاقة بين الإنسان والشيطان إلا في معصية الله كبر أم صغر والعياذ بالله [٦٩٤].

---

٦٩٤ الصارم البتار في التحدي للسحرة الأشرار / وحيد عبد السلام بالي ص ٨–٩، ط/ ١، ٢٠١٤م دار الغد، وأسرار القرآن – محمد محمود عبد الله ص/ ٢٢ – ٢٤.

- **كيف يتسلط الشيطان على الإنسان:**

– وإنما يتسلط الشيطان على أهل الغفلة، الذين يتخذون وليا من دون الله، ويرضون بفكره، ويتبعون منهجه في الغواية والضلالة عن اقتناع وطواعية ورضا. وبهذا ينال الشيطان مرتبة السلطان والولاية، قال تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٦٩٥].

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال، يتمكن بحيث يقعون تحت طائلة تأثيره في الكفر والشرك، ولا يستطيعون تركها.

– وقد يتسلط الشيطان على المؤمن بسبب ذنوبه؛ لما جاء في حديث رسول الله ﷺ:

(إن الله تبارك وتعالى، مع القاضي ما لم يجر، فإن جار يتبرأ منه وألزمه الشيطان)[٦٩٦]

– وقد يتسلط الشيطان على المؤمن ابتلاء واختيارا لإيمانه، ففي صحيح البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

(إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)[٦٩٧].

وقوله عليه الصلاة والسلام:

(ما من أحد إلا وله شيطان، ولي شيطان، فأعانني ربي عليه فأسلم)[٦٩٨].

وعلى هذا يفهم مدى الصراع بين الشيطان والإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٦٩٩].

- **القدرة والقوة بين الجنسين(الإنس والجن):**

معلوم أن الإنس من الطين خلقوا، والجن يختلفون عن الإنس في طبيعة تكوينهم المادي لأنهم خلقوا من نار، وشتان بين النوعين، فالجن من النار خلقوا وبخاصيتها يعيشون، وهم

---

٦٩٥ الحجر : : ٤٢.

٦٩٦ البيهقي رقم: ٢٤٥١.

٦٩٧ مسلم كتاب السلام، باب بيان يستجيب لمن رئي خاليا رقم: ٢١٧٤.

٦٩٨ ابن حبان رقم: ٦٤١٦.

٦٩٩ الأعراف: ٢٧.

يملكون القدرة الفائقة على التشكل في كافة الأشكال على اختلاف أنواعها وألوانها، ولا تمنعهم الحجب ولا الموانع من بنيان وحصون وغيرها. قال تعالى:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾[٧٠٠].

والجن بطبيعة تكوينهم أقوى من الإنس، بما لا يدع مجالا للمقارنة؛ إذ تفوق كل تصور، بل هي أقرب منها إلى الحقيقة، ويعود هذا إلى طبيعتهم النارية في مادة تكوينهم، ولو ترك الزمان ما تركوا من الإنس أحدا على ظهر الأرض، إلا أعطبوه وأبادوه كليا. لكن ميزان حفظ الكون في الكائنات بيد قيوم الأرض والسموات لا إله إلا هو، لم يتركهم عبثا همجا يعبثون بمن أرادوا من الإنس، حاش لله، وإنما وضع لكل حدوده التي لا يمكن أن يتجاوزها، فإن زاد أحرق وأبيد.

ومع ما سلف من بيان تكوينهم الناري إلا أن الله تعالى أكرم بني آدم على جميع المخلوقات إذ نرى سياق الآية في قوله تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [٧٠١].

فتقديم الإنسان على آيات خلق الجان مع أنهم من أقدم مخلوقات الله من الإنسان درجة في التكوين الإلهي للإنسان ما بعدها من تكريم لأن الإنسان هو أكرم الخلق على الله جل وعلا، إذ هو صنعته بيد، وتسويته، وفيه أودع نسمة التي نفخها سبحانه فيه:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٧٠٢].

– ولم تتوافر هذه المنح – في خاصية إيجاد الخلق – لباقي المخلوقات؛ فإنها جميعها خلقت بالكلمة أي قال الله تعالى لها كوني فكان:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٧٠٣].

---

٧٠٠ الأعراف: ٢٧.

٧٠١ الرحمن: ١٤ – ١٥.

٧٠٢ الحجر: ٢٩.

٧٠٣ يس: ٨٢.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله:

إن الجن حتى الصالحين منهم لأقل قدرا وأدنى كرامة وأنقص شرفا من الإنسان إذ قرر الخالق ﷻ بذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٧٠٤].

لم يثبت مثل هذا التكريم للجان لا في كتاب من كتب الله ﷻ، ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف قدرا من الجان، ويدل على ذلك أيضا شعور الجن أنفسهم بنقصانهم أمام الإنس، لأنهم كانوا إذا استعاذ الإنس بهم تعاظموا وترفعوا، لما في استعاذه الإنسان بهم من تعظيمهم وإكبارهم وهم ليسوا كذلك، فيزيدون رهقا أي: طغيانا وكفرا، قال تعالى عنهم في سورة الجن:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٧٠٥].

ويشهد لذلك أيضا أنه إذا توسل بهم الإنسان أو بأسماء عظمائهم، أو أقسم بأشرافهم؛ أجابوه وقضوا حاجته، كل ذلك شعور منهم بالضعف والحقارة أمام ابن آدم الكريم عند الله، إذا آمن بالله تعالى وعبد موحدا له في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته. وأما الإنسان بدون ذلك فالجان وصالحو الجان أفضل وأكرم من كفار بني آدم ومشركيهم[٧٠٦] اهـ.

قال مجاهد:

(الشيطان أشد فرقا – أي خوفا – من أحدكم منه، فإذا تعرض لكم فلا تفرقوا منه فيركبكم، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب)[٧٠٧].

---

٧٠٤ الإسراء: ٧٠.

٧٠٥ الجن: ٦.

٧٠٦ وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام، ص/ ٤٩– ٥٠.

٧٠٧ المرجع نفسه، ص/ ٣٤.

- **إيذاء الجن للإنس:**

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: إن أذى الجن للإنس ثابت لا ينكر، حيث ثبت ذلك بالدليل السمعي والحسي، والعقل لا يحيله، بل يجيزه ويقره، ولو لا المعقبات من الملائكة التي أناط الله بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشياطين أحد، وذلك لعدم رؤية الإنسان لهم، ولقدرتهم على التحول بسرعة، ولكون أجسامهم من اللطافة؛ بحيث لا نشعر بها ولا نحس.

ومن هنا كان مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذي بعض الناس: إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فآذاهم بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم، أو بنزوله بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون منه فيؤذونه.

و إما لمجرد الظلم من بعضهم فيؤذون بغير سبب، كما يحدث ذلك بين الإنس عند فساد فطرتهم وضعف إيمانهم وإرادتهم وعقولهم، وفي الحديث الصحيح فيما معناه: أن الشاب الأنصاري لما طعن المتمثل في صورة حية فما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن فقتلوه.

ثانيا: الشيطان وعداوته على الإنسان:

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه:

(اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه، وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضا له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبات عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم). وقال: (ينبغي أن تعلم أن إبليس شغله التلبيس أول من التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال:

﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٧٠٨] [٧٠٩] .

---

٧٠٨ ص: : ٧٦.

٧٠٩ تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق/ خالد بن محمد بن عثمان، ط/ ١، ت/ ٢٠٠١، ص/ ٣٧

وقيل: معنى إبليس: أي إفليس. والمعنى أنه كان يملك رصيدا ضخما من الطاعة والعمل الصالح، وفجأة أفلس، وضيع ماله عند الله تعالى، حينما تكبر وتمرد على أمر ربه، ففسق بعصيانه، فنال مرتبة الشيطنة، وهي إحراق الأعمال الصالحة لنفسه أولا، ولمن يستطيع غوايته وإضلاله ثانيا) [٧١٠].

فيا أخي القارئ بعد هذه الوقفة اليسيرة، وبعد أن تعرفت على نفسك من عدوك فاعلم والتزم أن لعدوك مكايد ومداخل، وبهما يجعلك فريسته الثمينة فاحذر كل الحذر وكن يقظا منه ولا تكن من الغافلين الساهين، وإليك البيان:

- **مكايد الشيطان:**

لو أن إنسانا مارس عملا معينا خمسين عاما – مثلا – لأصبح فيه محنكا بمداخله وطرق خفاياه – عليه لعنة الله –من يوم طرده الجنة حتى الآن ليس له عمل إلا إضلال

الخلق وإغوائهم، فهذه المدة الطويلة، وتلك الخبرة المديدة، جعلته يخترع أفانين في الإغواء والإضلال فمن هذه الحيل:

١– تزيين الباطل: إن الباطل له صورة قبيحة ورائحة منتنة، ولذلك يعمد الشيطان إلى هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل، ويلبسه رداء حسنا، ثم يزينه ويحسنه، ثم يبدأ في إغواء العبد به، وما علمنا ذلك إلا من قول الشيطان نفسه حين قال لربه:

﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧١١] . فالتزيين أولا، ثم الإغواء[٧١٢]

روي عن الحسن بن صالح رحمه الله أنه قال:

(إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير، يريد به بابا من الشر) [٧١٣].

و روي أنه كانت هناك شجرة تُعبد من دون الله، فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبا لله، فلقيه إبليس في صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد

٧١٠ أسرار القرآن... محمد محمود عبد الله، ص/ ١٣.
٧١١ الحجر: ٣٩.
٧١٢ وقاية الإنسان... وحيد عبد السلام ص/ ١٤٦.
٧١٣ تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/ ٥٢.

أن أقطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن أين لي ذلك؟ قال: أنا لك. فرجع فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك ولم يجد شيئا، فقام غضبا ليقطعها، فتمثل له الشيطان في صورته، وقال: ما تريد؟ قال: أريد هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله تعالى قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضبا للدينارين سلّطت عليك[٧١٤].

و من ذلك ما جاء في كتاب (إغاثة اللهفان): أنه يغري الناس بتقبيل يده والتمسح به والثناء عليه وسؤاله الدعاء ونحو ذلك حتى يرى نفسه ويعجبه شأنها فلو قيل له: إنك من أوتاد الأرض وبك يدفع البلاء عن الخلق ظن ذلك حقا وربما قيل له: إنه يتوسل به إلى الله تعالى، وبحرمته فيقضى حاجتهم فيقع ذلك في قلبه ويفرح به ويظنه حقا، وذلك كل الهلاك فإذا رأى من أحد من الناس تجافيا عنه أو قلة خضوع له تذمر لذلك ووجد في باطنه، وهذا شر من أرباب الكبائر المصرين عليها[٧١٥].

٢- تسمية المعاصي بأسماء محببة: ومن صور هذا التزيين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محببة إلى النفوس لكي يخفي خبثها وفحشها فهو الذي سمى الشجرة بشجرة الخلد ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾[٧١٦]، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر بأم الأفراح... فهم الذين يسمون الربا بالفائدة، والتبرج الفاضح بحرية المرأة، والاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن، والمغنية الفاسقة الفاجرة فنانة، والممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفن كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلى فحشهم وخبثهم[٧١٧].

---

٧١٤ المرجع السابق، ص/ ٤٦.

٧١٥ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف ط/ ١ مكتبة الصفا، ص/ ١٢٣.

٧١٦ طه: ١٢٠.

٧١٧ وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص/ ١٤٧

٣- تسمية الطاعات بأسماء منفرة: إن الحق تكون عليه مسحة من نور، وتعلوه إشراقة وضاءة، فلو ظل كما هو دون تشويه أو تقبيح لتهاتفت إليه النفوس، وصغت إليه الأسماء، وركنت إليه القلوب، ولذا كان دور الشيطان الأول هو تقبيح صورة الحق، وتشويهها، وتسميته أسماء منفرة، فهو الذي أوحى إلى أوليائه من الكفار من قوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٧١٨] ومن قوم فرعون بتسمية موسى وهارون ساحرين ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[٧١٩].

وهو الذي أوحى إلى أوليائه بتسمية المتمسكين بهدي النبي ﷺ والمستنين بسنته ظاهرا وباطنا بالمتطرفين والمتعصبين، والبعد عن المعاصي ودور الفسق والفجور انغلاقا، والحجاب الشرعي خيمة، والمرأة التي التزمت بأمر ربها وجلست في بيتها بالرجعية، ومتخلفة، كل ذلك من وحي الشيطان لهم.

٤- دخوله إلى النفس من أحب الأبواب إليها: إن عدو الله لا يدخل على النفس إلا من الباب الذي تحبه وتهواه؛ لأنه بذلك يحقق مرادها وهواها، فيجد الشيطان من النفس عونا، ومن الهوى مددا[٧٢٠]

٥- التدرج في الإضلال: إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: افعل هذه المعصية، أو ارتكب هذه الفاحشة، وإنما يقربه منها خطوة خطوة، وقديما قالوا: (نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء) وهنا يقع المحظور، فلذلك حذرنا الله تعالى، من اتباع خطوات الشيطان فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[٧٢١]

فهذا نداء شفقة ورحمة من الرؤوف الرحيم إلى عباده، محذرا لهم من اتباع خطوات الشيطان ومسالكه، ومنبها على أنه يجب على العبد أن يغلق باب الطريق من أوله كي لا يندرج معه في

٧١٨ الأعراف: ٦٦.

٧١٩ طه: ٦٣.

٧٢٠ وقاية الإنسان من الجن، ص/ ١٤٧ – ١٤٩.

٧٢١ النور: ٢١.

الغواية والضلال. وخير دليل لهذه النقطة قصة عابد[٧٢٢] بني إسرائيل لما استأمنه الإخوة أختهم عنده، حينما أرادوا السفر، فلم يزل الشيطان تدريجيا مع العابد حتى حملها، فأنجبت غلاما فقتله ثم ذبح الأم (الأخت) ثم ذهب الشيطان وأخبر بذلك إخوتها، فمسكوا العابد ليقتلوه، فأتاه الشيطان وقال له: أنا الذي أدخلتك في كل هذه المشكلات إن أردت النجاة سجدت لي وكفرت بالله الذي خلقك، ففعل فتخلى عنه فصلبوه، والعياذ بالله.

٦- الصد عن الحق: أخذ الشيطان على نفسه عهدا؛ ليضلّنّ بني آدم، وليغوينهم أجمعين إلا من عصمه الله - تعالى - وتحصن بحصن الإخلاص، فذلك لا سبيل للشيطان إليه قال: (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي: بالصد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك[٧٢٣]

٧- إظهار النصح للإنسان: إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: افعل كذا من المعاصي؛ لكي تنال العذاب الأليم، وإنما تأتيه في صورة الناصح الأمين، وبهذه الحيلة تمكن من إغواء أبوينا وإخراجهما من الجنة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٧٢٤]، ولذلك حذرنا الله من هذه الفتنة وتلك الحيلة قائلا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾[٧٢٥].

كما روي عن بعض السلف: أنه قال: (إذا جاءك الشيطان في الصلاة فقال إنك ترائي فزدها طولا).

٨- الاستعانة بشياطين الإنس: إن من الناس من تخالط بشاشة الإسلام قلبه، فيقوى إيمانه، ويعلو يقينه، ويخالط لحمه ودمه، فلا يسير إلا على هديه، ولا يستضيئ إلا بنوره، ولا يقتدي إلا برسوله ﷺ، فهو ملتزم بالإسلام في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياته، وهذا الصنف من الناس - وهم قلة - يأتيهم الشيطان بكل شاردة وواردة فلا يستطيع أن يغويهم، فبعد ما تعجزه الحيل معهم يستنجد بأوليائه من شياطين الإنس، ليعاونوه في تلك المهمة. قال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٧٢٦]

---

٧٢٢ ينظر القصة في وقاية الإنسان ص/ ١٤٩ - ١٥٢. أو كتاب تلبيس إبليس، ص/ ٤٠ - ٤٣.

٧٢٣ وقاية الإنسان ص/ ١٤٩ - ١٥٣.

٧٢٤ الأعراف: ٢١.

٧٢٥ الأعراف: ٢٧.

٧٢٦ الأنعام: ١٢١.

نصيحة:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... لتطلب الربح مما فيه خُسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان [٧٢٧].

- **مداخل الشيطان:**

١- الجهل: وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان، ولا نبالغ إذا قلنا بأن كل مداخل الشيطان منه تبدأ، عليه تعتمد وبه تقوى؛ لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدها، ولا مكايده فيبطلها، ولا شباكه فيجتنبها فيجتذبه الشيطان بسهولة ويتغلب عليه بأدنى حيلة. وكما أن الجاهل لا يعرف الخير من الشر، ولا السنة من البدعة، فربما أوقعه في الشر وهو يحسب أنه خير، أو في البدعة وهو يظنها سنة وبهذا يكون من الخاسرين:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٧٢٨] .

والجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان غرضا فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات، فيرديه قتيل الهوى أسير الشهوة، فإذا وصل إلى تلك الغاية اتخذه الشيطان جندا ينشر به الفساد في الأرض ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير من حزب الشيطان:

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٧٢٩] .

و لذا قيل:

في الجهل قبل الموت موت لأهله...فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرؤ لم يحي بالعلم ميت....فليس له حتى النشور نشور [٧٣٠].

---

٧٢٧ أدب الدنيا والدين أبو الحسن علي بن محمد الماوردي،ص٣٥٠،١٩٨٦،دار مكتبة الحياة.

٧٢٨ الكهف: ١٠٣- ١٠٤.

٧٢٩ المجادلة: ١٩.

٧٣٠ جواهر الأدب أحمد إبراهيم بن مصطفى ٢/ ٤٤٩، مؤسسة المعادن بيروت .

٢- الغضب: وهو من مداخل الشيطان الكبرى ومكايده العظمى، لأن الإنسان يلعب به الشيطان إذا غضب كما يلعب الأطفال بالكرة.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله:

(يتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستوي على معادن الفكر، وربما يتعدى إلى معادن الحس، فَيُظْلِمُ عَيْنَهُ، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه مثل الكهف الذي اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأت بالدخان جوانبه، وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا)[٧٣١].

روى البزار عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ: مرّ بقوم يصطرعون فقال: (ماهذا؟) قالوا: فلان الصريع ما يصارع أحدا إلا صرعه فقال:

(أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل ظلمه رجل فكظم غيظه، فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه)[٧٣٢].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني قال: (لا تغضب) فردد مرارا قال: (لا تغضب).[٧٣٣]

٣- حب الدنيا: لقد زين الشيطان الدنيا وزخرفها في قلوب كثير من الناس، فركنوا إليها. واطمأنوا بها، بل وعضوا عليها بنواجذهم ونصبوا فيها أظافرهم، ففيها يعادون، وعليها يتنافسون، ومن أجاها يتباغضون ويتحاسدون، ونفذ فيهم إبليس خطته حيث قال:

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧٣٤] .

ويا أسفاه... لقد اتبعوه وأطاعوه إلا من اعتصم بالله ولجأ إليه ورمى الدنيا خلف ظهره، ولو عرف الناس حقيقة الدنيا ما أقاموا لها وزنا،ولا جعلوا لها في قلوبهم مكانا، ولا على ألسنتهم ذكرا، والله خالقها قد بين حقيقتها فقال:

---

٧٣١ موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز بن محمد ٤/ ٤٥٨، ط١٤٢٤، ٣٠.

٧٣٢ مسند البزار رقم(٧٢٧٢) ١٣/ ٤٧٥.

٧٣٣ البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب رقم ٦١١٦ .

٧٣٤ الحجر : ٣٩.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٧٣٥] .

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله بأذنه، ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: (أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله لو كان حيا لكان عيبا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: (فو الله للدنيا أهون على الله ﷻ من هذا عليكم)[٧٣٦] .

قال علي ﷺ في وصف الدنيا:

(هي دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، وفي متشابهها العقاب)[٧٣٧].

و قال مالك بن دينار:

(بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك)[٧٣٨]

٤- طول الأمل: فإن العبد إذا طال أمله سوف في عمله، وعمّر دنياه، وخرّب أخراه، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، وكان ابن عمر يقول:

(إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[٧٣٩].

---

٧٣٥ الحديد: ٢٠.

٧٣٦ مسلم، كتاب الزهد باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رقم ٢٩٥٧.

٧٣٧ موسوعة الأخلاق والزهد ١/ ٣٥٩.

٧٣٨ الزهد لأحمد بن حنبل ص:٢٥٩ ط١ ١٤٢٠ - ١٩٩٩م دار الكتب العلمية بيروت.

٧٣٩ البخاري كتاب الرقاق بابكن في الدنيا... رقم ٦٤١٦ .

و قد قيل:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها...وكل يوم مضى من عدة الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا...فإنما الربح والخسران بالعمل [٧٤٠] .

٥- الحرص: وهو مفسدة للدين أي مفسدة؟ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(من أشرب قلبه حب الدنيا التاط -لصق- منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، فالدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلبته الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه) [٧٤١] .

٦- الكبر والعجب: والكبر من مداخل الشيطان، وبه يستذل الإنسان ويحمله على رد الحق، والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ولا حقيقة ربه، لأنه لو عرف نفسه حق المعرفة لعلم أنه كان نطفة تشمئز منها النفس، ثم علقة ثم مضغة، ثم كان مولدا صغيرا ضعيفا... فعلام التكبر؟

والعجب يختلف عن الكبر، فالكبر له ثلاثة أركان: متكبر، ومتكبر به، ومتكبر عليه، والعجب ليس له إلا ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط والعجب هو الدرجة الأولى من سلم الكبر، ومعناه: استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [٧٤٢] .

- قال النبي ﷺ:

(قال الله تعالى: العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما عذبته) [٧٤٣] .

---

٧٤٠ روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي ص:٣٥٢ دار القلم العربي،ط١ ١٤٢٣١.

٧٤١ المعجم الكبير لطبراني رقم(١٠٣٢٨)،١٠/ ١٦٢.

٧٤٢ غافر : : ٣٥.

٧٤٣ مسند البزار رقم: ٨٢٧١، صحيح، الألباني.

٧- حب المدح: اعلم أخي المسلم أنك إذا أحببت المدح فقد دخل عليك الشيطان من باب العجب وهو داء مهلك، هذا إن كنت تُمدح بما فيك ويمكن التخلص منه بأن تتذكر عيوبك وذنوبك،

روي أن موسى عليه السلام قال لإبليس عليه اللعنة عندما بدا له والقصة طويلة في كتاب تلبيس إبليس، قال له: (... فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: (إبليس) (إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه...)[٧٤٤].

فما من إنسان إلا وله عيوب خفية، وقال محمد بن واسع:

(لو أن للذنوب ريحا ما جلس إلي منكم أحد). أما إذا كان المدح ليس فيك فالفرح به جنون.

واعلم أن للمدح آفات كثيرة منها: أنه يحدث الكبر والإعجاب في الممدوح، فقد قال الرسول ﷺ عندما سمع رجلا يمدح الآخر ويطريه في المدحة: (أهلكتم) - أو قطعتم - ظهر الرجل)[٧٤٥].

- ومن آفات المدح: أنه يعمي الممدوح عن عيوبه، فلا يشمر للتفتيش عنها وأن الممدوح يظن نفسه خيرا، فلا يجتهد في الإكثار من الطاعات.

قال بعض السلف:

(من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في باطنه)[٧٤٦].

ومن مداخل الشيطان أيضا: البخل، الرياء، الجزع والهلع، إتباع الهوى، احتقار المسلم، احتقار الذنوب، الأمن من مكر الله - القنوط من رحمة الله.

فالرياء: باب فسيح من الأبواب التي يلج الشيطان منها إلى قلب الإنسان، ولذلك يجب على المسلم الذي يريد الله والدار الآخرة أن يمحص في قلبه، فإن وجد فيه التفاتا لغير الله سارع

---

٧٤٤ تلبيس إبليس، ص/ ٤٤.

٧٤٥ البخاري كتاب الشهادات باب ما يكره من الإطناب في المدح رقم (٢٦٦٣).

٧٤٦ إحياء علوم الدين ٣/ ٣٨٩.

بعلاجه، وأن يفتش في أعماله، فإن وجد فيها شبهة من رياء طهرها، ولما كان الرياء هو التفات القلب لغير الله وترك مراعاة الخالق مع مراعاة المخلوقين سمي شرك أصغر.

فقد قال النبي ﷺ:

(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا:وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟ !) [٧٤٧].

– وأما اتباع الهوى: فكما قال الحسن الماوردي:

(و أما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج عن الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكا، ومدخل الشر مسلوكا).

و قال ابن دريد:

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة...وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما...هواها عدو والخلاف صديق [٧٤٨].

ثالثا: تحصينات الإنسان ضد الشيطان:

– بعد تحقيق الإخلاص لله تعالى وتحقيق العبودية له وحده، اعلم أن مجمل التحصينات أو الحصون ثلاثة، وهي: القرآن الكريم، الذكر، المساجد.

١ – القرآن الكريم: جميعه ذكر بل أعلى مراتب الذكر، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾ [٧٤٩] والقرآن العظيم: حصن تلاوة، أو مجاورة، أو استماعا إليه وإنصاتا، فإن هذه جميعها تستوجب الرحمة من الله تعالى فإذا سعد العبد بنفحة من فيض رحمة الله، بقراءة القرآن أو مجاورته، أو بالاستماع إليه والإنصات، فلا مكان للشيطان، لأن الرحمة لا تجمع مع الشيطان لأنه رجيم،

---

٧٤٧ مسند أحمد رقم: ٢٣٦٣٠، حديث حسن.

٧٤٨ التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ص: ٤٥٣،تحقيق محمد الحلو الدار العربية للكتاب ط٢ ١٤٠١ ١٩٨١م.

٧٤٩ الحجر: ٩.

طرد من رحمة الله تعالى، كما أن القرآن يكون حجابا بين المؤمنين والكافرين، سواء كانوا من الجن أو الإنس، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٧٥٠]

فالشيطان لا يمكنه مجرد الاقتراب من مكان يتلى فيه القرآن الكريم فإن اقترب احترق، فلا يجتمع الشيطان مع القرآن إلا في غفلة من أهله، وهجر له، والبيوت التي لا يقرأ فيها القرآن عامرة بالشيطان، ولقد شبه الرسول ﷺ الجوف الخالي من القرآن بالبيت الخرب

و لتلاوته آداب في الظاهر والباطن، بهما يتضح سلوك المنهج القويم، والصراط المستقيم، بما تضمن من الأحكام، وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور، وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما في الصدور، من تمسك به هدى، ومن عمل به فاز[٧٥١]

٢- الذكر: وأقصد بالذكر بالأذكار اليومية (بكرة وأصيلا) من النوم إلى النوم: كالذكر عند النوم وبعده، وعند اللبس وخلعه، وعند دخول الخلاء والخروج منه، والأكل والفراغ منه، والخروج من البيت والدخول، وركوب الدابة، ودخول السوق، وعند سماع نباح الكلاب أو نهيج الحمار أو صياح الديك، وعند إتيان الأهل، وغيرها من الأذكار المسنونة، وحسبك بكتيب (حصن المسلم) من هذه كلها، وإليك بعض الأذكار المهمة:

- من أعلى مراتب الحصون ذكر الحي القيوم بكلمة (لا إله إلا الله) لأنها كلمة العمار، ومن أجلها خلق الجن والإنس، جاء في حديث قول الحق تعالى:

(يَقُولُ الله تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلَّا الله حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ عَذَابِي) [٧٥٢] .

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ثلاث مرات فلن يضره شيء)[٧٥٣].

---

٧٥٠ الإسراء: ٤٥.

٧٥١ أسرار القرآن ص/ ٣٩ - ٤٣.

٧٥٢ مسند الشهاب رقم: ١٤٥١.

٧٥٣ الترمذي رقم: ٨٨٣٣.

– قراءة عشر آيات من سورة البقرة: قال ابن مسعود ﷺ:

(من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة، لم يدخل شيطان ذلك البيت تلك الليلة: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وثلاث خواتيمها)[٧٥٤].

– وقراءة قل هو الله أحد، والمعوذتان: ففي حديث عبد الله بن خبيب ﷺ قال:... أن رسول الله ﷺ قال له:

(قل) قلت رسول الله ما أقول؟ قال: (قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء) [٧٥٥].

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) [٧٥٦].

– تحصين الأهل والأولاد والأموال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترى خادما، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، ومن شر ما جبلتها عليه) [٧٥٧].

– على المتزوج الجديد أن يصلي ركعتين قبل البناء، فإن ذلك يكون حفظا لهما من حياتهما الزوجية، ويقول بعد ذلك:

(اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا ما فرقت إلى خير) [٧٥٨].

---

٧٥٤ الدارمي رقم (٣٤٢٥).

٧٥٥ أبوداود رقم: ٥٠٨٣، إسناده حسن.

٧٥٦ البخاري باب فضل التهليل رقم:٦٤٠٣ .

٧٥٧ ابن ماجه رقم: ٢٢٥٢ حسن الألباني.

٧٥٨ المعجم الكبير للطبراني رقم: ٨٩٩٣ .

– وإذا أعجب الرجل بشيء من ماله فليقل: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله)

– ويعوذ أولاده، كما في الحديث، كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ﷺ يقول: (أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، وَكُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ)[٧٥٩] .

٣– المساجد: الأصل في جعل المساجد من جملة الحصون للآتي:

لكونها بيوت الله تعالى، ومرتع العبّاد وموطن الساجدين، ومقر الذاكرين والمسبحين، ولتشريفها لنسبتها إلى الله تعالى مباشرة ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّه فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَدًا**﴾[٧٦٠].

بذلك نالت شرف الحصانة الإلهية، فهي بيوت الله تعالى، وفيها ذكر اسم وتسبيحه وشكره، وفيها ملتقى الطائعين وجمع الخاشعين، وجاء في حديث:

(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون القرآن ويتدارسونه فيما بينهم، إلا غشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) [٧٦١].

– من هنا نعرف أنه لا مكان للشيطان مع الرحمة التي طرد منها، ولا يجتمع مع الملائكة في مكان، ولا وجود له مع السكينة التي هي طمأنينة القلب والنفس، ولا تتحقق للعبد إلا بكثرة الذكر والتوبة بالاستغفار والإنابة، فلا وجود ولا مكان للشيطان في بيوت الرحمن، لذا هي حصن منيع من الشياطين، ولا يدخلها إلا عمّارها، ولا يكونون إلا من المؤمنين:

﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[٧٦٢] .

– ومن التحصينات حفظ البصر عما حرم الله، واللسان عن آفاته، وحفظ البطن عن المحرمات، والفرج عن الحرام، واليد من كل سوء وإيذاء[٧٦٣] .

---

٧٥٩ ابن ماجه (٣٥٢٥).

٧٦٠ الجن: ١٨.

٧٦١ مسلم كتاب الدعوات باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩) .

٧٦٢ التوبة ١٨.

٧٦٣ أسرار القرآن ٤٥ – ٤٦.

– أخي القارئ علاوة على هذه التحصينات – زادنا الله وقاية من شر عدونا – أوصيك من خلال البحث بالتجنب من الآتي:

١– إيذاء الحيوانات، خصوصا الكلاب والقطط والثعالب.

٢– صب الماء والبول في الحجور والشقوق والأماكن الضيقة.

٣– رمي ماء ساخن، وإن كان لا بد منه فسم الله قبل الرمي.

٤– إسقاط شيء ثقيل على الأرض من عل، وإن كان محالة فاذكر اسم الله قبل ذلك.

٥– القفز أو النزول من مكان مرتفع عن الأرض دون ذكر اسم الله ﷻ.

٦– الدخول في الأماكن المظلمة دون اسم الله ﷻ.

٧– رمي أوساخ أو ماء نجس من غير أن تسم الله ﷻ.

٨– عدم الذكر قبل الدخول في الخلاء:(اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)[٧٦٤] بالرجل اليسرى، وبعد الخروج باليمنى تقول (غفرانك).

❁

٧٦٤ مسلم باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء رقم ٣٧٥ .

المبحث الثالث:

الأخوة في الله تعالى

ويتضمن على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الأخوة في الله تعالى (الأخوة الإيمانية).

المطلب الثاني: فضل التآخي في الله والتحابب فيه.

المطلب الثالث: حقوق وواجبات الأخوة الإيمانية.

المطلب الرابع: محاذير في طريق الأخوة.

المطلب الأول:

مفهوم الأخوة في الله تعالى (الأخوة الإيمانية)

إن رابطة الأخوة الإسلامية هي إشراقة سامية، وهي الحبل الذي يجمع القلوب ويعقدها ببعضها، وهي النور الذي يسري بين أرواح المؤمنين.

في هذا الصدد سيتضح ما سقناه بالأمور الآتية:

- **مفهوم الأخوة الإيمانية:**

١- الأخوة الإيمانية امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده:

ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٧٦٥] فهي رابطة بعقد الله ﷻ، وإن أول ما يميز هذه الرابطة أنها لله سبحانه وتعالى، فمفهوم الأخوة الإسلامية هي امتداد لمحبة الله وتوحيده، فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم لمحبة الله وموالاته، فمن أحب الله ووالاه لا بد أن يحب من يحبه الله تعالى يقول تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾[٧٦٦] هكذا بهذا العموم، فالأخوة الإيمانية تفتح لكل موحد بابا واسعا للأخوة في كل بقاع الأرض.

و رحم الله قائل هذا البيت:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلد.....أنت مني وأنا منك كروح في جسد

٢ – الأخوة الإيمانية أخوة في سبيل تعمير الأرض وتحرير الإنسان:

مما يميز الأخوة الإيمانية كذلك أنها لقاء بين الموحدين على مهمة عظيمة، وأعمال كبيرة، تسمو بالمسلم إلى المهمة الأصلية في تعمير الأرض بالخير، ونشر العدل، ومحاربة الطواغيت؛ فهي أخوة في سبيل تحقيق غايات جسام في حياة البشرية لا يقدر عليها المسلم بمفرده، وإنما تتآزر جهود المؤمنين وطاقاتهم مجتمعة لتحقيق هذه الأهداف العظام.

---

٧٦٥ الحجرات: ١٠.

٧٦٦ التوبة: ٧١.

أخوة الإسلام أخوة لتعمير دولة الإسلام... وهو ما يطلق عليه أخوة المنهج.

و أخوة الإسلام أخوة في طريق إزالة العوائق والطواغيت ونشر الحق والعدل في الأرض... وهو ما يطلق عليه أخوة السلاح.

و قد آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة الكرام من مهاجرين وأنصار في رباط أخوة إيمانية، أبدعت نواة لدولة حضارية عمّرت الأرض بمنهج الله ﷻ.

٣ – الأخوة الإيمانية أخوة فوق كل العصبيات الأرضية كمثل الجسد الواحد:

إن الأخوة الإيمانية أخوة منهجية، تنطلق من أسس عقدية، فالمؤمنون والمؤمنات فاطرهم واحد، ورسولهم واحد و، وقدوتهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، ومعتقداتهم واحدة، وقائدهم وأميرهم واحد.

فهم كالجسد الواحد الذي تسكنه روح واحدة ويديره عقل واحد وله تطلعات وأهداف واحدة، وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ:

(مثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٧٦٧]. فهي فوق أخوة النسب، القبيلة، والوطن.

المطلب الثاني:
التآخي في الله والتحابب فيه

وردت نصوص جمة في بيان فضل الأخوة في الله، والتلاقي عليه والتحابب فيه، ورتب عليها الأجر والثواب العظيم في داري الدنيا والآخرة وهي:

١ – الأخوة في الله نعمة الله وفضله: يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا﴾[٧٦٨] .

---

٧٦٧ مسلم، كتاب الأدب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٦.

٧٦٨ آل عمران : ١٠٣.

٢- الأخوة في الله طريق لمحبة الله تعالى: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

(أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله[٧٦٩] له على مدرجته[٧٧٠] ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربّها[٧٧١]؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٧٧٢].

٣- المتآخون في الله في ظل الله تعالى: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... وذكر منهم، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...)[٧٧٣] ويكفي المتحابين والمتآخين في الله شرفا وفضلا أن يكونوا تحت عرش الرحمن، حيث تكون الشمس منهم مقدار ميل.

٤- منازل المتآخين في الله غبطة الأنبياء والشهداء: عن النبي ﷺ أنه قال:

(إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله) قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم، قال: (هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور: لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس[٧٧٤]، ثم تلا هذه الآية:

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٧٧٥]).

٥- الأخوة في الله طريق الحلاوة الإيمانية واستكمال عراه: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٧٧٦].

---

٧٦٩ أرصده: أقعده يرقبه.

٧٧٠ مدرجته: طريقه سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها، أي يمضون ويمشون.

٧٧١ تربّها: أي تقدم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

٧٧٢ مسلم، كتاب الأدب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، رقم ٢٥٦٧.

٧٧٣ البخاري، كتاب الأذان باب فضل ترك الفواحش رقم ٦٨٠٦.

٧٧٤ سنن أبي داود، باب في الرهن، رقم ٣٥٢٧ ٥/ ٣٨٧ وإسناده صحيح.

٧٧٥ يونس : ٦٢.

٧٧٦ البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم ١٣

المطلب الثالث:

حقوق وواجبات الأخوة الإيمانية

الأخوة الإيمانية واجب ديني، وفريضة شرعية وليس مجرد موقف نفسي، بل مجموعة من الأعمال تظهر إلى حيز الوجود، وتعبر عن حقيقة الأخوة، وها هنا مجمل لواجبات الأخوة بعضهم تجاه بعض، والتي تمليها مجموعة من النصوص الشرعية الصحيحة، وهي متضمنة أيضا مجموعة من المستحبات التي يندب النهوض للقيام بها.

١ – محبته في الله وموالاته، والمداومة على ذلك ما دام الأخ على عقد الإيمان: دلت النصوص أن على الموحدين أن يتبادلوا الحب في ذات الله ﷻ، وتسود الأخوة فيما بينهم، وأما بيان الوجوب فجاء عن النبي ﷺ ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) [٧٧٧] .

و قد أرشد المصطفى ﷺ المؤمنين أن يتعاهدوا هذه المحبة وينمّوها عن طرق متعددة، منها الإهداء من غير تكلف فقال عليه الصلاة والسلام:

(تصافحوا يذهب الغل[٧٧٨]، وتهادوا تحابّوا، وتذهب الشحناء[٧٧٩]) [٧٨٠].

٢– المواساة وحسن الصحبة والعشرة، و تكون المواساة وحسن الصحبة بعدة نقاط منها:

أ– وجوب العود بالفضل:

فينزل المسلم أخاه المسلم منزلة الصاحب لديه، فيقوم بحاجته من فضل ماله إذا احتاج، ولا ينتظر سؤاله فإن ألجأه إلى السؤال فهو دليل على تقصيره في حق أخيه، وإذا انحط المسلم عن هذه المرتبة فهو مقصر مذنب يحتاج إلى فحص نفسه وتهذيبها والتوبة إلى الله تعالى.

---

٧٧٧ مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون رقم ٥٤.

٧٧٨ الغل: الحقد.

٧٧٩ الشحناء: العداوة.

٧٨٠ موطأ مالك، باب ما جاء في المهاجرة، رقم ١٦، ٢/ ٩٠٨، ترقيم عبد الباقي.

ب- طيب الكلام والتبسم والبشاشة في وجه الإخوة ورد السلام والفرح باللقاء:

طيب الكلام وحسنه بين الإخوة، ومدعاة لجلب المحبة ودوامها، وفي هذا يقول تعالى: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[٧٨١] ووصف عباده الصالحين أنهم طيبي الكلمة فقال ﷻ: ﴿**وَهُدُوا إِلَىَ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾[٧٨٢] والقول الطيب والكلام الحسن يبطل مكر الشيطان ويسد أمامه الطريق للإفساد والتفريق بين الإخوة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[٧٨٣] وهذا أمر من الله تعالى يفيد وجوب طيب الكلام وحسنه واختيار أفضل العبارات أوضحها في التعبير عن المقصود، وإدخال السرور لقلب أخيك كل ذلك يدخل في مفهوم طيب الكلام. وقال عليه الصلاة والسلام: (الكلمة الطيبة صدقة)[٧٨٤].

ج - خفض الجناح ولين الجانب والتواضع وحسن الخلق وإقالة العثرات والتزاور في الله والتهنئة وتفقد الحال:

خفض الجناح، ولين الجانب، وإظهار المودة للمؤمنين من دواعي دوام الأخوة يقول تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾[٧٨٥].

ويقول تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٧٨٦].

وقال تعالى في وصف المؤمنين الذين يرضى سلوكهم: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٧٨٧] فبالتواضع بين الأخوة تفتح القلوب الغلف لصوت الحق، وتنشأ الألف، وتدوم المحبة، ويرتفع الإنسان بميزان الله تعالى.

---

٧٨١ البقرة: ٨٣.

٧٨٢ الحج: ٢٤.

٧٨٣ الإسراء: ٥٣.

٧٨٤ البخاري، كتاب الأدب، باب طيب الكلام، رقم ٦٠٢٣.

٧٨٥ الفتح: ٢٩.

٧٨٦ الشعراء: ٢١٥.

٧٨٧ المائدة: ٥٤.

د – السعي بالشفاعة الحسنة:

قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾[٧٨٨]

٣- بذل النصيحة والمشورة بين الأخوة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[٧٨٩].

ورأس النصائح وأنفسها هي ما ورد في النص (الحق والصبر) فالنصيحة بالتوحيد والثبات عليه، والنصيحة بالمنهج الحق والالتزام بالسنة والهدي النبوي، والصبر على ذلك كله هي من أغلى النصائح، وواجب على الموحدين بذلها فيما بينهم.

٤ – التعاون والتآزر فيما بين الإخوة على البر والعمل الصالح: فالمؤمنون بنيان واحد، يشد بعضه بعضا، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٧٩٠] .

وقال رسول الله ﷺ:

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبّك بين أصابعه)[٧٩١] .

٥ – نصرة الإخوة المظلومين وصيانة الدماء والأعراض والأموال وإغاثة الملهوف:

قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾[٧٩٢] .

فواجب على الموحدين أن ينصروا إخوانهم في سجون الطغاة، وألا يقفوا مكتوفي الأيدي، ويتلخص ما يمكن أن تقوم به – أخي المسلم – تجاه إخوانك بما يلي:

---

٧٨٨ النساء : ٨٥.

٧٨٩ العصر : ١-٣.

٧٩٠ المائدة : ٢.

٧٩١ مسلم، كتاب الأدب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم ٢٥٨٥.

٧٩٢ الأنفال : ٧٢.

- تأسيس منظمة للدفاع عن حقوق المسلمين، ونشر قضاياهم.
- إغاثة أهالي كل مظلوم بكل وسائل العون المعنوي والمادي.
- محاولة زيارتهم، وتقديم المعونات لهم إن أمكن ذلك.
- ذكرهم بالدعاء لهم.

٦- واجبات اجتماعية:

أوجب الإسلام واجبات عديدة لإدامة صلة الأخوة الإيمانية، بين الموحدين، ولزيادة المحبة فيما بينهم، ومن هذه الواجبات منها:

أ- قبول الهدية واستحباب الإثابة عليها

ب- إجابة الدعوة: فإذا دعا المسلم أخاه المسلم إلى دعوة طعام أو غيره، فمن حقه عليه أن يجيب دعوته، إلا إذا كان عنده عذر شرعي يعتذر به.

ج- ستر المسلم لأخيه المسلم: من حق المسلم على أخيه المسلم أن يستره ولا يفضحه، والله تعالى يكافئه من جنس عمله فيستره يوم القيامة. و عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:

(من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[٧٩٣].

د - تشميت العاطس: أما تشميت العاطس، فهو أدب من الآداب الإسلامية الاجتماعية، إذ يتصيّد المسلم أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم بدعوة كريمة وليوجه له كلمة طيبة يجذب بها من قلبه خيطا من خيوط العواطف الإنسانية، التي تكفت المودة، وتوثق بها روابط الإخاء.

هـ - إحسان الظن وسلامة الصدر:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[٧٩٤]

و قال القرطبي رحمه الله: (المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها)[٧٩٥].

---

٧٩٣ سنن ابن ماجه، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود، رقم ٢٥٤٤، ٣/ ٥٧٩ وإسناده صحيح.

٧٩٤ الحجرات: ١٢.

٧٩٥ الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٣١.

٧ – الدعاء للإخوان بكل خير في حياتهم وشهود الجنازة والدعاء بالمغفرة والرضوان بعد مماتهم.

و لا يعجز المسلم عن هذه المرتبة، بل عليه أن يذكر إخوته دائما بالدعاء والاستغفار، وأما اتباع جنازته، فهو صلة من المسلم لأخيه المسلم موصولة من حياته إلى ما بعد مماته، واتباع الجنائز يلحقها الصلاة على الميت، والشفاعة عند الله. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٧٩٦] .

و قال عليه الصلاة والسلام:

(ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولق بمثل)[٧٩٧] .

المطلب الرابع:

محاذير في طريق الأخوة

١ – الغيبة والنميمة والتجسس والسخرية ة التعيير والغمز:

قد نهى الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا أن يغتابوا بعضهم بعضا، فقال تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧٩٨] .

و الغيبة أن يذكر الإنسان أخاه في غيبته بما يطره. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:

(هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذكرك أخاك بما ليس فيه...)[٧٩٩].

---

٧٩٦ الحشر : ١٠.

٧٩٧ مسلم، كتاب الدعوات، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب رقم ٢٧٣٢.

٧٩٨ الحجرات لآية ١٢.

٧٩٩ مسند أحمد برقم ٧١٤٦، وأبو داود باب الغيبة برقم ٤٨٧٤ وإسناده صحيح.

أما فيما يتعلق بالتجسس والتحسس، فالتجسس على الناس هو تتبع عوراتهم إما بالنظر إليهم وهم يشعرون، وإما استراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالاطلاع على مكتوباتهم ووثائقهم وأسرارهم وما يخفوه من أعين الناس دون إذن منهم.

أما النميمة، فالنميمة هي السعي بين الناس بالإفساد، والنميمة قد تكون للإفساد بين صديقين، أو شريكين، أو زوجين، أو قريبين، أو حبيبين أو أسرتين، أو قبيلتين، أو دولتين، بينهما صلات وموادات.

أما فيما يتعلق بالغمز واللمز والتعيير والسخرية، فاللمز هو أن يعيب الإنسان أخيه في وجهه بكلام ولو خفي، ورب لمز خفي أشدّ من طعن صريح، واللمز والغمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغاث، وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وهو ظلم وعدوان، وفي النهي عن اللمز يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾[٨٠٠].

و كذلك السخرية فإن السخرية تنافي ما يوجبه الحق، وهي ظلم قبيح، وإيذاء للأخ وعدوان على كرامته، ومن آثارها أنها تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة والتوادّ والتراحم وتبذر بذور العداوة والبغضاء، وتولد الرغبة بالانتقام. يقول تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**﴾[٨٠١].

٢- الغيبة والحسد يحرقان الأخوة:

الغضب شعلة محرقة من النار، تحرق الأخوة الإيمانية، وتنزع بالإنسان لسلوك الشيطان، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، ولذلك فإن الدين نهى عن الغضب أشد النهي وأرشد لعلاجه، يقول ﷺ موصيا الرجل الذي طلب الوصية:

(لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب)[٨٠٢].

---

٨٠٠ الحجرات: ١١.

٨٠١ الحجرات: ١١.

٨٠٢ البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم ٦١١٦.

و كذلك الحسد، والحسد من شر معاصي القلوب ومن معاصي القلوب أشد إثما من كثير من معاصي الجوارح، نظرا إلى آثارها الخطيرة على السلوك.

و علة داء الحسد ترجع إلى الإفراط في الأنانية وحب الذات، مع ضعف في الإيمان بكمال حكمة الله تعالى وقد نهى النبي ﷺ الحسد فقال: (و لا تحاسدوا)[٨٠٣] .

٣- العداوة والحقد:

إن الحقد وما في معناه من الضغن، والغل يعني حبس أو إمساك العداوة والبغضاء في الصدر للعجز عن التشفي حالا مع التربص أو التحيين للتعبير عنها بصورة من الصور، أو شكل من الأشكال، والحقد هو العداوة الدفينة في القلب، والعداوة هي كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حد إفنائه وإلغائه من الوجود.

٤- الكبر ورؤية الذات والغرور:

و الكبر: هو إظهار الأخ إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع من قبول الحق، وجاء الوعيد الشديد في الكتاب والسنة النبوية على هذا الخلق الذميم لما له من آثار مدمرة على نفس المتكبر وعلى نفوس إخوته قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٨٠٤].

و يقول عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...)[٨٠٥] .

والغرور بالنفس ينفخ في صدور المستكبرين حتى يروا أنفسهم عظماء كبراء، وهم في واقع حالهم صغار جدا.

إن شعورهم حول أنفسهم شعور هوائي صنعته الأوهام إلا يصاحبه نماء حقيقي فيما تملكه ذات المستكبر من خصائص وقوى معنوية ومادية.

---

٨٠٣ البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر برقم ٦٠٦٤.

٨٠٤ غافر : ٣٥.

٨٠٥ مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه رقم ٩١.

المبحث الرابع:

مفهوم حب الله تعالى

ويتضمن على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى حب الله تعالى، وأقسامه وأنواعه، والتعبير عن الحب.

المطلب الثاني: أسباب محبة الله، علاماتها، والفرق بين الحب في الله والحب مع الله ﷻ.

المطلب الثالث: ثمرات المحبة في الله ومعرفة فضل الحب في الله وثوابه.

المطلب الأول:

معنى حب الله تعالى، وأقسامه، وأنواعه، والتعبير عن الحب

- **معنى حب الله تعالى:**

عرفوا حب الله سبحانه بالقول: هو عاطفة إيمانية تتمثل في:

- الميل النفسي إلى الله تعالى.

- الاستعداد الدائم للأنس والالتذاذ بلقائه.

ويرتكز هذا الحب بحسب الدراسات النفسية التحليلية على (حب الذات) الذي يمتد بها إلى حب بارئها، فأصدق حب الذات هو حبها لله، لأنها بذلك تطلب لنفسها الخير والصلاح، والاستقامة والنجاة في القيامة، وبمعنى آخر فإنك بحبك لله تعالى تحقق لذاتك ما يلي:

١- التمتع بفيض نعمه وبركاته وتوفيقاته.

٢- السلامة من الآثام والشرور، لأن منهجه يبعدك عن كل ذلك .

٣- بلوغ أعلى درجات الكمال، فحبه تعالى متنامي، أي ينمو باستمرار، ويأخذ دائما صيغة الإعلاء والترقي والسمو.

٤- الأنس بالآفاق المعنوية الرحبة التي تنتجها حالات التقرب منه والتودد إليه.

٥- الفوز برضوانه وجنته في ختام الرحلة الحياتية.

- **أقسام حب الله تعالى:**

ينقسم حب الله إلى قسمين:

أ- محبة الله تعالى للعبد: من خلال إيجاده وتربيته، وتغذيته، وحراسته، ولطفه به وإحسانه، وإكرامه، وإنعامه عليه، وهدايته إلى سبل الخير ومنحه السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا حب عام.

ب - محبة العبد لله تعالى: بطلت الزُّلفى (التقرب والتودد) إليه وعبادته، والاستجابة لأوامره، والانتهاء عن نواهيه، وعمل ما يقرب منه ويزيد الحض عنده، وحب كل من يحبه الله ﷻ.

- **أنواع المحبة:**

للمحبة أربعة أنواع ينبغي لكل محب بارئه معرفتها:

أحدها: محبة الله ﷻ، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعبّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله ﷻ.

الثاني: محبة ما يحب الله ﷻ، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله ﷻ أقومُهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئا مع الله لا لله، ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه ندا من دون الله، وهذه محبة المشركين[٨٠٦].

- **التعبير عن الحب:**

الإعراب أو الإفصاح عن مشاعر الحب يتخذ ثلاثة أشكال متكاملة، وهي:

أ- التعبير اللفظي.

ب- التعبير القلبي.

ت- التعبير العملي.

في التعبير اللفظي تنطلق كلمات الحب متدفقة من الجوف إلى السطح من قرارة النفس إلى الشفتين، وفي حب الله والتعبير عنه من لدن المحب، ويتجلى ذلك في الدعاء، والذكر، والشكر، وفي المناجاة بصفة عامة.

و في التعبير القلبي يتحرك الإحساس بعمق الحب وشدته ليبث الشوق، والشعور باللطف والامتنان، والإدراك الداخلي لقيمة المحبوب وقيمة كل ما يرتبط به.

---

٨٠٦ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ص ١٩٠دار المعرفة، ط١١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، المغرب.

في (الذكر) حتى لو لم تتلفظ لكلمات الذكر المعهود، وخطر لك شيء من عظمة الله وقدرته، فأنت ذاكر...

و في (الشكر) حتى لو لم تنطق بكلمات الشكر المعروفة، وجال في ذهنك شيء من لطف البارئ ﷻ ونعمته، فأنت شاكر....

و في (النية) حتى لو لم تتفوه بما تنوي عمله، وكنت قصدت عمل شيء واستحضرت ذلك في نفسك، وعقدت العظم على تنفيذه، فأنت قد نويت....

هذا هو التعبير التقريبي للحب القلبي.

و أما التعبير العملي عن الحب، فهو أرقى درجات التعبير عن الحب، لأنه يجمع التعبيرين السالفين: هو لفظي، قلبي، بل ومتحرك في الخارج أيضا، وهو بلورة وتجسيد لذلك المشاعر المتراكمة في ينبوع القلب.

المطلب الثاني:

أسباب محبة الله ﷻ، علاماتها، الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ﷻ

- **أسباب محبة الله ﷻ:**

ذكر ابن القيم –رحمه الله– أن الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده ومحبة العبد لربه عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان، والقلب، والعمل والحال، فتصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابّه على محابّك عند غلبات الهوى، والتسنّم إلى محابه، وإن صعب المرتقى

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها.

السا دس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ[٨٠٧] .

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة.

- **علامات محبة الله ﷻ :**

و من علامات المحبة الصادقة لله ولرسوله ﷺ التزام طاعة الله والجهاد في سبيله واتباع رسوله، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٠٨] .

و يقول أيضا: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٨٠٩] .

و من علامات محبة الله ورسوله:أن يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه، وأن يسعى في مرضاته ما استطاع وأن يجتنب عما حرمه الله ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله ﷺ يمتثل أمره، ويترك نهيه، كما قال تعالى:

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾[٨١٠] .

---

٨٠٧ مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٨.

٨٠٨ المائدة : ٥٤.

٨٠٩ آل عمران : ٣١.

٨١٠ النساء : ٨٠.

فمن آثر أمر غيره على أمره وخالف ما نهى عنه فهذا يدل على عدم محبته لله ورسوله فإن محبة الرسول من لازم محبة الله فمن أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه، ومحبة الله تستلزم محبته وطاعته، فإنه يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب ما يحبه محبوبه.

- **الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ﷻ:**

وبعد تفقه أسباب الجالبة لمحبته وعلاماتها كان لا بد من التفريق بين الحب في الله والحب مع الله، وهذا من أهم الفروق، وكل محب محتاج بل مشوق إلى معرفة الفرق بين هذا وذاك، وإلى ذلك فالحب في الله هو من كمال الإيمان، والحب مع الله هو عين الشرك.

و الفرق بينهما أن المحب في الحب تابع لمحبة الله ﷻ، فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أو جبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله أو إذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وأنبيائه وملائكته، وأولياءه لكونه تعالى يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه ﷻ يبغضهم.

و علامة هذا الحب والبغض في الله أنه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبا لإحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضا.

و أما ما يتعلق الحب مع الله وهو عين الشرك لأن بارئنا قال في حق المشركين لحب أندادهم مع الله فقال:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾[٨١١] [٨١٢].

و هؤلاء المشركون يحبون أوثانهم مع الله كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء، وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله، ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم.

---

٨١١ البقرة: ١٦٥.

٨١٢ ينظر: مدارج السالكين ٢/ ٧٠، والجواب الكافي ص١٣٢.

المطلب الثالث:

ثمرات المحبة في الله، ومعرفة فضل الحب في الله وثوابه

- **ثمرات المحبة في الله ﷻ:**

للمحبة في الله ثمرات طيبة يجنيها المتحابون من ربهم في الدنيا والآخرة منها:

١- محبة الله ﷻ: عن معاذ ﷺ عن رسول الله ﷺ يأثر عن الله ﷻ قال: (وجبت محبتي للذين يتحابون فيّ، ويتجالسون فيّ، ويتبادلون فيّ)[٨١٣] وقول الملك للرجل الذي زار أخا له في الله: (قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٨١٤].

٢- أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه: عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال:

(ما تحابّ اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه)[٨١٥]

٣- الكرامة من الله ﷻ: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أحب عبد عبدا في الله ﷻ إلا أكرمه الله...)[٨١٦].

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، وسائر صنوف النعم.

٤- الاستظلال في ظل عرش الرحمن: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يقول يوم القيامة: (أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[٨١٧].

٥- حصول طعم الإيمان.

٦- حلاوة الإيمان: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله)[٨١٨].

---

٨١٣ مسند أحمد رقم ٢٢١٣١، ٢٦/ ٤٤٦، حديث صحيح.

٨١٤ مسلم، كتاب الأدب: البر والصلة، باب في فضل الحب في الله رقم ٢٥٦٧.

٨١٥ المستدرك رقم ٧٣٢٣، ٤/ ١٨٩، صحيح الإستاد ولم يخرّجاه.

٨١٦ مسند أحمد برقم ٢٢٢٢٩، ٣٦/ ٥٦٢، إسناده حسن.

٨١٧ مسلم، كتاب الأدب: البر والصلة، باب في فضل الحب في الله برقم ٢٥٦٦.

٨١٨ المستدرك، كتاب الإيمان، رقم ٣، ١/ ٤٤ حديث صحيح.

٧- استكمال الإيمان: عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)[٨١٩].

٨- دخول الجنة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم عل شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[٨٢٠].

٩- قربهم من الله ﷻ يوم القيامة: عن أبي مالك الأشعري قال: (كنت عند النبي ﷺ فنزلت عليه هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾[٨٢١]. قال: فنحن نسأله إذ قال: إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله فجثى رجل من الأعراب من قاصية الناس... إلى أن قال... هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ليس بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله...)[٨٢٢].

١٠- وجوههم نورا يوم القيامة: من الحديث السابق في قوله (يجعل الله وجوههم نورا).

١١- حادي عشر: لهم منابر من لؤلؤ: نفس الحديث السابق في قوله: (يجعل لهم منابر من لؤلؤ قدّام الرحمن تعالى).

١٢- لهم منابر من نور.

١٣- يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة.

١٤- تسميتهم بأولياء الله.

١٥- انتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة.

١٦- أن المرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم واستقامتهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم وإن لم يكن عمله بالغ مبلغهم: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

---

٨١٩ أبو داود، باب الدليل على زيادة الإيمان رقم ٤٦٨١ حديث صحيح.

٨٢٠ مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل إلا المؤمنون رقم ٥٤.

٨٢١ المائدة: ١٠١.

٨٢٢ شعب الإيمان رقم ٨٥٨٨، ١١/ ٣١٧، وأبو داود، باب في الرهن رقم ٣٥٢٧ حديث صحيح.

فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب)[٨٢٣].

- **معرفة فضل الحب في الله ﷻ وثوابه:**

إن من عرف فضل الحب في الله حرص عليه، ومن عرف ثواب المتحابين في الله فلا بد أن يصابر نفسه على ذلك، وأن يربي نفسه وقلبه ليكون محبا للمؤمنين.

و من معرفة فضل الحب في الله وثوابه: سلامة الصدر: يقول الله ﷻ:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٨٢٤] .

و سليم الصدر هو الذي يجعل القلب محبا لله؛ لأنه لا يحمل ضغنا لأحد.

و من معرفة فضل الحب في الله، التواضع وعدم التكبر:

إن الكبر داء عضال يؤدي إلى الترفع على الناس، ومن ثم يؤدي – لا محالة – إلى بغضهم، ولذا قال عليه الصلاة والسلام:

(إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)[٨٢٥] .

إن التواضع وعدم الكبر على الناس يجعل الإنسان في نظرته لإخوانه لعيوبهم ومقارنتها بعيوب نفسه يجعله محبا للخير صادقا.



٨٢٣ البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله برقم ٦١٦٩.

٨٢٤ الشعراء : ٨٨ – ٨٩.

٨٢٥ مسلم،كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم ٢٨٦٥.

المبحث الخامس:

الخيانة

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الخيانة تعريفها وحكمها أسبابها وعلاجها.

المطلب الثاني: أنواع الخيانة، ذم الخيانة في الكتاب والسنة.

المطلب الأول:

تعريف الخيانة لغة وشرعا، وحكمها، وأسبابها وعلاجها.

- **تعريف الخيانة:**

الخيانة لغة: الخيانة من الخون وهو أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، خانه يخونه خونا وخيانة وخانة ومخانة، والمخانة: مصدر من الخيانة، والميم زائدة[٨٢٦].

الخيانة شرعا: هي عدم نصح صاحب الأمانة بتضييعها والغدر بصاحبها الذي يعتقد أن من ائتمنه سيحفظ أمانته

و قال الإمام القرطبي: (و الخيانة: الغدر وإخفاء الشيء ومنه: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ**﴾[٨٢٧] .

- **حكم الخيانة:**

إن من صدرت منه خيانة فالواجب أن يتوب إلى الله توبة صادقة، ومن صدق توبته ردّ الحق إلى صاحبه.

و قد ذكر العلماء أن الخيانة من الكبائر، قال تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٨٢٨] .

و على هذا فقد حض الشرع على حفظ الأمانة ونهى عن تضييعها وأمر بأدائها إلى أهلها حيث قال تعالى:

﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[٨٢٩].

---

٨٢٦ لسان العرب / محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ١٣/ ١٤٤، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.

٨٢٧ غافر : ١٩.

٨٢٨ ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣٩٥..

٨٢٩ النساء : ٥٨.

- **أسباب الخيانة:**

إن الخيانة ظاهرة قديمة منذ وجود الإنسان الأول، إذ هي ليست خافية على أحد من الناس خصوصا إذا علمنا بأن الله تعالى ذكرها في القرآن الكريم، ولكن أسبابها قد يجهلها الكثير من الناس، وإن كانت تختلف هذه الأسباب من مجتمع إلى آخر، ولكن تبقى هناك أسباب مشتركة بين كل مجتمعات الدنيا، كما أن هناك أسبابا تنفرد بها مجتمعات عن مجتمعات أخرى، والخيانة في حقيقية الأمر لا تقتصر على شخص واحد فقط، ولا يمكن أبدا أن نجيرها مثلا للرجل دون المرأة ولا لامرأة دون رجل خصيصا وأنها تتم برضا الطرفين وموافقتهما.

ومن أسباب الخيانة هي:

١- عمل الزوجة واختلاطها.

٢- سفر الزوجة دون محرم، وسفر الزوج دون زوجته.

٣- الإباحية والتحرر التي تعيشها بعض البيوت.

٤- الشك الزائد والتخون والاتهام بالباطن.

٥- إهمال الزوج زوجته.

٦- خيانة الزوج تؤدي لخيانة زوجته.

٧- الفراغ الديني.

- **علاج الخيانة:**

يمكننا أن نعالج الخيانة بالتوبة النصوح، والعودة إلى كتاب الله ﷻ والسنة النبوية المطهرة والاقتداء بأعمال وآداب الصحابة، والتابعين، وغيرهم من أولياء الله الصالحين، وذلك ليكون هذا الاقتداء دواء شافيا لهذا الداء الممقوت.

المطلب الثاني:
أنواع الخيانة وذمها في الكتاب والسنة

- **أنواع الخيانة:**

الخيانة قد تكون في إفشاء السر، وقد تكون في المال، وقد تكون في الأولاد، وقد تكون خيانة في الجسد.

النوع الأول: حذر منه رسول الله ﷺ فقال:

(إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة رجل يفضي إلى امرأة وتفضي إليه ثم يُفشي سرها)[٨٣٠].

وأقل خيانة في هذا النوع أن يتحدث المرأة أو الرجل عن زوجها في غيبته بسخرية، أو تسبه، أو تسكت عن ذمه ولا ترد غيبته.

النوع الثاني: حذّر منه النبي ﷺ، فلا يجوز للمرأة أن تعطي لأهلها من مال زوجها أو تتصدق منه إلا بإذنه فإذا حرمها النفقة جاز لها أن تأخذ من ماله ما يكفي ضرورتها، ولا تزيد فإن فعلت فهي خائنة في مال زوجها، ومثلها الرجل الذي يبعثر المال على نفسه وشهواته.

النوع الثالث: خيانة في الأولاد: ونعني به إهمال تربيتهم أو السكوت والتستر على أخطائهم، فالمرأة التي تتستر على ولدها الذي يسرق، أو يدخن ولا تخبر والده خائنة، والمرأة التي تتستر على ابنتها وهي تذهب إلى حلاق النساء أو تعلم لها علاقة مشبوهة بأحد الرجال وتسكت خائنة.

النوع الرابع: خيانة الجسد: وخيانة الجسد لها درجات أقلها أن تتمنى المرأة غير زوجها، أو بإطالة الحديث مع غير زوجها وتشتهي، وقد تكون الخيانة قبلات، أو لقاءات، وقد تكون خيانة الزنا في الحديث.

---

٨٣٠ صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم إفشاء سر المرأة رقم ١٤٣٧.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كتب الله على كل عضو حظه من الزنا؛ فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه الكلام، واليدان تزنيان وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والسمع يزني وزناه الاستماع، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) [٨٣١] .

وعموما فالمرأة أشد مادة امتحانية في عالم الرجل، وكم أهلكت الشهوة الجنسية أمما سالفة ومماليك كانت زاهرة وأسقطت ملوكا وأباطرة، وفيها قال النبي ﷺ:

(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) [٨٣٢].

النوع الخامس: الخيانة عبر الانترنت: وهذا نوع جديد – من أنواع الخيانة الزوجية – عندما تتعرف الزوجة على رجل وتغازله ويغازلها عبر شبكة العنكبوت كالماسنجر أو الفسبوك، أو يفعل الزوج كذلك من التسلية وتقطيع الوقت في اللهو بالأعراض والمحرمات.

النوع السادس: خيانة العقيدة: وعقيدتنا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعدم تحقيق لا إله إلا الله في النفس، وفي الغير وأنت مسلم خيانة لله وتعطيل لفرائضه أو بعد عن حدوده، أو انتهاك لمحارمه. وكذلك أيضا إذا كان المسلم مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد، أو دليلا لهم على عوراتها خيانة قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [٨٣٣] .

والخيانة هنا هي خيانة الدين لا الفاحشة، قال ابن كثير:

(إن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء قال ابن عباس ﷺ: ((فخانتاهما)) قال: ما زنتا، أما نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه) [٨٣٤] اهـ

---

٨٣١ شرح مشكل الآثار رقم ٢٧١٣ ٧/ ١٣٨.
٨٣٢ البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة رقم ٥٠٩٦.
٨٣٣ التحريم : ١٠.
٨٣٤ تفسير ابن كثير ٨/ ١٧١.

النوع السابع: خيانة الكسب: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع ولا كذب، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام؟) قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني) [٨٣٥].

النوع الثامن: ومن معاني الخيانة أيضا: أن يستغل الرجل منصبه الذي عُين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته فإن التشيع من المال العام جريمة قال رسول الله ﷺ:

(من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) [٨٣٦].

النوع التاسع: خيانة الأسرار: ومن معاني ذلك أن تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها فتدع لسانك يفشي أسرارها وينشر أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة) [٨٣٧].

النوع العاشر: خيانة العالم لعلمه: فالعلم أمانة في رقاب العلماء، إن بينوه للناس وصانوه من التحريف والتلاعب كانوا أوفياء لأقدس أمانة، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة، حيث يقول المولى ﷻ في كتابه العزيز:

﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [٨٣٨] .

النوع الحادي عشر: خيانة الودائع: و من أنواع الخيانة خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع السماوات حيث قال تعالى: **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾** [٨٣٩] ويدخل في ذلك أداء الديون فالمماطلة بها خيانة.

---

٨٣٥ صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب: قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، رقم ١٠٢

٨٣٦ أبو داود، باب في أرزاق العمال رقم ٢٩٤٣ إسناده صحيح.

٨٣٧ أبو داود، باب في نقل الحديث، رقم ٤٨٦٨ حسن لغيره.

٨٣٨ آل عمران : ١٨٧.

٨٣٩ النساء : ٥٨.

انظروا إلى رسول الله كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليسلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه، والخيانة متى ظهرت في قوم فقد أذنت عليهم بالخراب، فلا يأمن من أحد أحدا، ويحذر كل أحد من الآخر فلا يأمن صديق صديقه ولا زوج زوجه، ولا أب ولده، وتترحل الثقة والمودة الصادقة فيما بين الناس.

- **ذم الخيانة في الكتاب والسنة:**

الخيانة أمر مذموم في شرع الله الغراء وأنكرتها الفطرة، وتمجها الطبيعة السوية، ولا تقبلها حتى الحيوانات العجماوات.

و ذم الخيانة في الكتاب والسنة ما يلي:

أولا من الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٨٤٠] .

ويقول أيضا: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾[٨٤١].

و يقول تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾[٨٤٢] .

و قال تعالى مقارنا بين الخيانة والكفر فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾[٨٤٣] .

و قال تعالى: ﴿**وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٨٤٤].

و قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[٨٤٥].

---

٨٤٠ الأنفال : ٢٧.

٨٤١ الأنفال : ٥٨.

٨٤٢ يوسف : ٥٢.

٨٤٣ الحج : ٣٨.

٨٤٤ الأنفال : ٧١.

٨٤٥ غافر : ١٩.

ثانيا: من السنة:

و الخيانة من سمات النفاق، فالخائن بالضرورة منافق، وإلا فكيف سيخفي خيانته إلا بالنفاق؟! وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:

(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[٨٤٦].

و أشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون للحديث: عن ابن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

(إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يُرفع لكل غادر لواءٌ، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان)[٨٤٧].

هذا الخائن وإن اندس بين الناس، وإن عرف كيف يرتب أموره بحيث لا يفتضح أمام عباد الله فأين يذهب يوم القيامة؟

والخيانة مذمومة حتى مع الكفار، والخونة، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)[٨٤٨].

فالخير البرية عليه الصلاة والسلام لم يرض أن يتخذ الخيانة وسيلة حتى في حق كافر محارب لله ورسوله، فما مدى جرم أولئك الذين لا تكون خيانتهم إلى في مسلمين؟

وكيف بالذين لا تكون خيانتهم إلا في حق مؤمنين موحدين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة؟

وبالخيانة أسقطت دولة الخلافة الإسلامية، وكان رمزا تجمع شتات المسلمين، فتمزقت أوطان المسلمين إلى بلدان وأقاليم، وأقام أعداؤنا في كل موطن وإقليم سلطانا مواليا لنفوذهم، ينفذ سياستهم بالترغيب والترهيب والحماية، ثم عمدوا إلى مناهج التعليم والتربية فصبغوها بصبغتهم في الإلحاد والكفر وأنشؤوا بذلك أجيالا من أبناء المسلمين.

---

٨٤٦ مسلم كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم ٥٩.

٨٤٧ مسلم، كتاب الجهاد والسير باب: تحريم الغدر، رقم ١٧٣٥.

٨٤٨ أبو داود، باب: الرجل يأخذ حقه من تحت يده، رقم ٣٥٣٤ حسن لغيره.

ويعادون دينهم، ويتنكرون لتاريخهم وأمتهم، ثم عمدوا إلى الدين والحق فحاصروه في نفوس أتباعه، وضيقوا الخناق عليه في كل مكان واضطروا أهله إلى النجاة بأنفسهم أو تحمّل صنوف العذاب والبلاء.

وبالخيانة تم غزونا فكريا، فلم يقدر الغرب أن يغزونا فكريا ولا أن يهزم أرواحنا حتى حين هزم جيوشنا، لكن تكفل بالمهمة الخونة من بني جلدتنا، وصدق الله تعالى حيث قال:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[٨٤٩].

❁

٨٤٩ البقرة: ٢٠٤.

الفصل الخامس:

الوعظ والإرشاد

و يتضمن مبحثين:

المبحث الأول:

الوعظ

ويتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول : معنى الوعظ وأهميته وآداب الواعظ.

المطلب الثاني: فضل التذكير ومجالس الوعظ، وصفات الواعظ.

المطلب الثالث: مراعاة مستويات المخاطبين، وأهمية الحكمة في الدعوة ومراتب الحكمة في الوعظ.

المطلب الرابع: مقومات الحكمة، والعوامل المؤثرة في نجاح الدعوة الفردية.

المطلب الخامس: استعداد حاتم الأصم للدار الآخرة.

المطلب الأول:

معنى الوعظ، وأهميته، وآداب الواعظ

- معنى الوعظ:

معنى الوعظ لغة: الوعظ والعظة والموعظة: تذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب [٨٥٠] وفي التنزيل: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾[٨٥١] لم يجئ بعلامة التأنيث، لأنه غير حقيقي، أو لأن الموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه.

والوعظ في الشرع: لا يختلف معنى الوعظ في الشرع عن معناه في اللغة قال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله: (العظة هو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرقّ له قلبه) [٨٥٢] اهـ

وعلى هذا فإن الوعظ في الشريعة لفظ يستجمع عبارات النصح والتنبيه على الأخطاء والتذكير بما يردع عن الشر من الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، والإرشاد إلى الطريق القويم، وبيان وجوب الالتزام به والتحذير من مخالفته.

- **أهمية الوعظ والإرشاد:**

لا ريب أن الوعظ والإرشاد من أهم المهمات، والمسلمون في أشد الحاجة إلى ذلك، بل وغير المسلمين أيضا كذلك، ولكن بسبب قلة الدعاة واشتغال الناس بأمور أخرى من التدريس والشؤون الإدارية، وغير ذلك قد يتأخر الداعية عن الجامع وقتا طويلا لكثرة الجوامع وقلة الدعاة، فهذا هو السبب.

وعلى هذا فإنه ينبغي لجميع المدرسين المتأهلين من أهل العلم ومن خريجي كلية الشريعة وأصول الدين أن يهابوا الله وأن يساهموا في الدعوة، وأن يشاركوا في الوعظ والتذكير في

---

٨٥٠ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ٢/ ٣٣٣، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م بيروت.

٨٥١ البقرة: ٢٧٥.

٨٥٢ كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ٢/ ٢٢٨، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال دون ذكر رقم الطبعة.

الجوامع حتى يسدوا الخلل والنقص الذي يحصل من الدعاة،فالدعاة بالنسبة إلى كثرة الجوامع قليلون، لأن معظم المتخرجين يتمنى كل منهم أن يكون مدرسا أو في عمل إداري، لأنه أهون عليه من الدعوة، والأخطر من ذلك أن بعض الجوامع قد تكون في أطراف البلاد فلا يأتيها الداعية إلا في أوقات متفاوتة ولهذا أقدم النصح لنفسي أو لا ولكافة أهل العلم أن يتقوا الله ﷻ وأن يشاركوا في الدعوة إلى الله ووعظ الناس وتذكيرهم والإجابة عن أسئلتهم؛ لأن هذا واجب الجميع وحق على الجميع.

- **آداب الواعظ:**

إن للواعظ آدابا ترجع إلى تكوينه العلمي إلى: ضرورية أي كمالية والضرورية تبتني على خمسة أسس هي:

١- التمكن من العلوم الدينية.
٢- البعد عن العقائد الزائفة.
٣- عدم الخروج عن الكتاب والسنة والآثار وما يوافقها.
٤- العلم بالبدع الشائعة.
٥- عدم صرف ألفاظ الشرع عن ظاهرها.

- **وأما آداب الوعظ والمرشد الكمالية وهي:**

١- الإحاطة بالعلوم الكونية.
٢- حفظ القرآن والسنة وشيء من الآثار.
٣- سعة الاطلاع والقدرة على التصرف في دائرة الشرع.

- **والضرورة لها آداب هي:**

١- العمل بعلمه.
٢- الحلم وسعة الصدر.
٣- الشجاعة.
٤- العفة واليأس مما في أيدي الناس.

٥- القناعة والرضا باليسير.
٦- العلم بأحوال الناس.
٧- قوة الثقة مع الرجاء في الفائدة مهما طال به العلاج.
٨- التواضع والبعد عن الخيلاء.
٩- عدم البخل بالتعليم.
١٠- الحياء والإمساك عن الفضول.
١١- كبر الهمة وعلو النفس.
١٢- التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله ﷻ.
١٣- اللين في غير ضعف مع استشعار المحبة لمن يريد إرشاده والحرص على مصلحته.
١٤- ألا يكون همه ثناء الناس عليه.

- **الآداب الكمالية فهي:**

١- الورع.
٢- استشعار محبة من يريد إرشاده والحرص على مصلحته.
٣- محبة الإصلاح والتفاني في خدمة الدين.
٤- الإخلاص في العمل لله تعالى.
٥- سداد الرأي.
٦- توطيد العلاقات بينه وبين الناس والتودد إليهم.
٧- ما يرفع إلى آدابه حالة التأدية.

- **الآداب الضرورية حال التأدية: وهي:**

١- قوة البيان.
٢- مخاطبة الناس على قدر عقولهم.
٣- سرعة البديهية والقدرة على الانتقال من موضوع لآخر.
٤- الابتعاد عن الجدال وعدم الخوض مع أهله في مجلس الوعظ.
٥- تنويع الأساليب.

المطلب الثاني:

فضل التذكير ومجالس الوعظ

كانت مجالس الرسول ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله ﷻ وترغيب وترهيب إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله ﷻ في كتابه أن يذكر ويعظ ويقصّ وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر وسماه الله ﷻ مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله ﷻ [٨٥٣] .

و التبشير والإنذار: هو الترغيب والترهيب فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

فأما رقة القلب فتنشأ عن الذكر فإن ذكر الله ﷻ يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب بالغفلة عنه قال الله ﷻ:

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٨٥٤].

و أما الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فبما يحصل في مجالس الذكر من ذكر عيوب الدنيا وذمها والتزهيد فيها وذكر فضل الجنة ومدحها والترغيب فيها وذكر النار وأهوالها والترهيب منها.

و في مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده وهم قوم لا يشقى بهم جليسهم فربما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنبا، وربما بكى فيهم باك من خشية الله فوهب أهل المجلس كلهم له وهي رياض الجنة، وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

(إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: (حِلَقُ الذكر) [٨٥٥][٨٥٦].

---

٨٥٣ الأحزاب: ٤٥ – ٤٦.

٨٥٤ الرعد: ٢٨.

٨٥٥ مسند الترمذي ٥/ ٥٣٢، حكمه الألباني بأنه حسن من هذا الوجه.

٨٥٦ ينظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب ص١٣.

- **صفات الواعظ:**

ينبغي للواعظ أن يلبس هذه الصفات التي رتبها بعض علماء الشريعة حتى يتميز عن غيره؛ لأن فقد هذه الصفات يجعل الواعظ عاجزا ناقصا يعجز تبليغ مهمته، وإن كان بحرا في العلم، ومن أهم هذه الصفات ما يلي:

– أن يكون عالما بالشريعة لا علم حفظ ورواية، بل علم فهم ودراية أي يعرف المسائل، حيث يرددها عليك بالأساليب المختلفة، يزيد وينقص ويشرح ويختصر، ويضرب الأمثال وينوع العبارات حتى تُفهم.

– أن يكون الواعظ أديبا، حسن الأسلوب، يكتب بلغة العصر، لأهل العصر.

– أن يكون خبيرا بطبائع النفوس، وأعراف الناس، ومصطلح المجتمع، ليعرف من أين يدخل على القلوب

– أن يكون إلقاؤه إلقاء طبيعيا، لا متكلفا ولا مصنوعا

– أن يكون الواعظ ميسرا لا معسرا، مبشرا لا منفرا، لا يضيق على الناس لأن الشريعة سمحة، يأخذهم بأيسر الأقوال حتى يتألفهم، لا يلزمهم بأشدها وأصعبها.

– أن يكون الواعظ خفيف الروح باسم الوجه، عارفا بآداب المجتمع، لا يكون فظا غليظ القلب، ولا عابسا باسر الوجه، ولا يخالف أعراض الناس – أي الموافقة للدين...

المطلب الثالث:

مراعاة مستويات المخاطبين، وأهمية الحكمة في الدعوة ومراتب الحكمة في الواعظ

- **مراعاة مستويات المخاطبين:**

يطلب من الواعظ أن يكون خبيرا بالنفوس، خبيرا بوظيفته، فعندما يجلس يخاطب الناس ويعلمهم شؤون دينهم ودنياهم عليه مراعاة مستوى مخاطبيه، فلا ريب أنه يحضر إليه العالم والمتوسط الثقافة، والإنسان البسيط عليه أن يراعي هذا الجانب، فيتجنب المعارك النظرية والتفصيل في التعريفات اللغوية والاصطلاحية، بل عليه أن ينزل إلى واقع الناس العملي وحل

مشكلاتهم الحادثة إن هو أراد النجاح في عمله، وكلما أقحم نفسه في معارك نظرية ليس وراءها عمل كبير إلا ابتعد بوظيفته عن أهدافها المرجوة.

- **أهمية الحكمة في الدعوة:**

يقول تعالى في كتابه المجيد:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٨٥٧].

إذاً فالحكمة منة، ونعمة جليلة من البارئ ﷻ يمتن بها على من يشاء من عباده.

و يعرف ابن القيم الحكمة بأنه:

(فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي)[٨٥٨] اهـ.

يقول عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾[٨٥٩] (بالحكمة) أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر بالمعروف المقرون بالترغيب والترهيب...)[٨٦٠] اهـ.

وحينما طبق الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – الحكمة في دعوتهم وساروا على هدي المصطفي ﷺ ونهجه دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض لكن لا يفهم من الحكمة في الدعوة أنها تعني الرفق، والحلم مع المدعو فحسب، بل إن مراتب الحكمة تتجاوز ذلك كثيرا.

فمن الحكمة أن يكون الداعي رفيقا لينا مع المدعوين كما قال تعالى عن نبيه ﷺ:

---

٨٥٧ البقرة: ٢٦٩.

٨٥٨ مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ٤٤٩.

٨٥٩ النحل: ١٢٥.

٨٦٠ تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي ص٤٥٢.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٨٦١] .

و قال تعالى مخاطبا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام:

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٨٦٢] .

ومن الحكمة أحيانا استخدام الشدة والتأنيب أحيانا، وذلك لأن الحكمة تعني وضع كل شيء في موضعه، فهي لين في وقت اللين، وشدة في وقت الشدة، يقول الله ﷻ على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون لما طغى وتكبر:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾ [٨٦٣] .

و يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٨٦٤] .

وإن من الحكمة أيضا أن يكون الداعية قدوة في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٨٦٥].

ومن أصول الحكمة مراعاة المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادي والغافل، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة كل بما يناسبه يقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٨٦٦].

---

٨٦١ آل عمران : ١٥٩.

٨٦٢ طه : ٤٣ – ٤٤.

٨٦٣ الإسراء : ١٠٢.

٨٦٤ التوبة : ٧٣.

٨٦٥ الصف : ٢ – ٣.

٨٦٦ إبراهيم : ٤.

- **مراتب الحكمة:**

و من درجات أو مراتب الحكمة التي ينبغي للواعظ التأسي بها المجادلة بالتي هي أحسن، وذلك من ضرب الأمثلة، وبيان الحق بالأدلة النقلية والعقلية، وإعطاء الحجج الصادقة، ونقض الحجج الباطلة، مع تحري الوصول إلى الحق. ويقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٨٦٧]

ولينتبه الداعية أن يتحول قصده من الدعوة إلى إظهار التفوق في النقاش، أو الغلبة في الجدل، ولكن ليكن القصد والغاية الإقناع والوصول إلى الحق.

كما أن من أعلى المراتب التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله دفع السيئة بالحسنة، وهي مرتبة رفيعة لا ينالها إلا ثلة نالت خلاقا عظيما، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٨٦٨] .

وفي جميع النواحي يجب على الداعية قول الحق، والصبر والتحمل على الأذى وغير ذلك من الأمور التي تصيب الداعية أثناء دعوته.

المطلب الثالث:

مقومات الحكمة، والعوامل المؤثرة في نجاح الدعوة الفردية

للحكمة مقومات يجب على الداعية العضّ بها بالنواجذ ليكون له ردء في سبيل دعوته إلى الله تعالى، ومن هذه المقومات هي:

١- العلم النافع.

٢- الحلم.

٣- الأناة.

---

٨٦٧ العنكبوت: ٤٦.

٨٦٨ فصلت: ٣٤- ٣٥.

٤- الرفق، قال تعالى في نعت نبيه وصفيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٨٦٩] .

و قال تعالى أيضا:

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٨٧٠] .

٥- الإخلاص أي في العقيدة، وفي العبادة وفي العمل. قال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[٨٧١] .

٦- التقوى، حيث يقول بعضهم: التقوى هي: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

٧- الصبر.

٨- المثابرة.

٩- السلوك الحكيم.

١٠- العمل بالعلم.

١١- الاستقامة.

١٢- جهاد النفس مع الشيطان.

١٣- علو الهمة والعدل.

١٤- الدعاء والاستخارة والاستشارة.

١٥- فقه وإتقان الدعوة إلى الله ﷻ.

هذه بعض الأمور التي تحتاجها الداعية إلى الله ﷻ.

العوامل المؤثرة في نجاح الدعوة الفردية:

هناك عوامل مساعدة في نجاح الدعوة الفردية، فوجودها وكثرتها يرجح النجاح، وعدم وجودها أو ضعفها أو قلتها يرجح الفشل وهذه العوامل متعلقة بالأركان السالفة.

---

٨٦٩ آل عمران : ١٥٩.

٨٧٠ التوبة : ١٢٨.

٨٧١ البينة : ٥.

أولا: **العوامل المتعلقة بالداعية:**

١- الإخلاص:

الدعوة إلى الله ﷻ عبادة وعمل، ولا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾[٨٧٢] .

فينبغي للداعية إلى الله ﷻ أن يخلص نيته لله، وأن يطمع في الثواب من الله وحده، وألا يشتري الدنيا بعمل الآخرة، وحسبه من الثواب الكثير ما بشر به النبي ﷺ في قوله:

(... فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[٨٧٣] .

٢- الصدق:

بمعنى أن يكون الداعية صادقا في إرادة إنقاذ هذا الشخص من النار، وأن يكون مشفقا عليه، راجيا له الخير في الدنيا والآخرة ولنا مثل في إبراهيم عليه السلام الذي قال:

﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[٨٧٤].

هذا الشعور الصادق يتجلى أثره على كلام الداعية وتعامله وخطابه لمن يدعوه.

٣- العلم والفهم:

لا بد من الفهم الصحيح، ولا بد من البصيرة، قال تعالى:

﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٨٧٥] .

و لا نعني بضرورة العلم والفهم أن يكون الداعية فقيها، أو محدثا عالما بالأصول والفروع – وإن كان هذا خيرا أو مطلوبا – ولكن نقصد الحد الأدنى له لوصف كونه داعية يقوم بهذا الدور، فمن زاد عن الحد الأدنى، فهو أفضل وأدعى إلى نجاح الدعوة.

---

٨٧٢ البينة : ٥

٨٧٣ مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل آل علي بن أبي طالب رحمه الله رقم ٢٤٠٦

٨٧٤ مريم : ٤٥

٨٧٥ يوسف : ١٠٨

٤- الحكمة:

قال الحق تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٨٧٦].

و الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والتصرف بما يناسب الموقف، والقدرة على موازنة المصالح والمفاسد، وعلى دفع ما يمكن دفعه من المفاسد وجلب ما يمكن جلبه من المصالح في ضوء قواعد الشرع ومقاصده.

٥- القدرة الحسنة ومطابقة الفعل للقول:

لا يمكن أن يكون لكلام الداعية أثر معتبر إلا إذا كان لهذا الكلام ما يطابقه من فعل الداعية وسلوكه، فلقد كان رسول الله ﷺ قرآنا يمشي على الأرض، قالت عائشة ﵂:

(كان خلقه القرآن)[٨٧٧].

فينبغي للداعية أن يكون قدوة حسنة لأصحابه في كل شيء، حتى في التضحية والبذل، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[٨٧٨].

٦- الوقار والسكينة والسّمت الحسن:

و البعد عن مواطن الشبهات والريبة، والترفع عن فضول الكلام وكثرة المزاح.

٧- التواضع وحسن الأدب:

وهو لين الخطاب وكرم الضيافة، والالتزام بآداب المجالس والزيارة، ومختلف الآداب التي تجعله في ظاهرة وباطنة حلوا مقبولا من الناس، وليس معنى ذلك أن يتوقف الداعية عن العمل حتى يمنح شهادة باستكماله لهذه العوامل وإنما يدعو ويتحرك ويجتهد في نفس الوقت في إصلاح نفسه وتهذيبها، وتقويم ما عُوّج، وينبغي أن يكون الشعور بالتقصير والنقص مستمرا مع الإنسان، إلى أن يلقى ربه على حافتي الخوف والرجاء.

---

٨٧٦ النحل: ١٢٥

٨٧٧ مسند أحمد رقم ٢٥٨١٣، ٤٣/ ١٥، حديث صحيح

٨٧٨ الأحزاب: ٢١.

ثانيا: العوامل المتعلقة بالمدعو:

١- الفطرة الطيبة السوية التي تميل بطبعها إلى الحق والعدل والخير: فهناك كثير من الأشخاص ما زالت فطرتهم نابضة حية، وبالرغم مما يقعون فيه من تفريط أو عصيان، فإنك تجدهم يحبون الحق ولا يعاندون، بل ربما في كثير من المواقف ينصرونه ويقفون بجانبه فهؤلاء أفضل بكثير ممن فسدت فطرتهم بسبب غرقهم في الشبهات أو الشهوات.

٢- التكوين السوي:

و خلو النفسية من العقد والأسقام المدمرة، مثل الكبر، والعجب، والرياء، وحب السمعة والظهور، والشح، والجبن، والشعور بالنقص، وانعدام الثقة بالنفس، فكل هذه الأسقام عوائق في طريق إصلاح الشخص وتقديمه وتهذيبه.

٣- نجابة العقل وسلامته من اللوثات الفكرية والشبهات العقلية.

٤- عدم ارتباطه بما يمنعه من الارتباط بالدعوة والداعية: والارتباطات كثيرة؛ فهناك من يرتبط بحزب أو أفراد، وهناك من يرتبط بمصلحة مادية مغرية ... الخ.

و هذه العوامل كلما كانت موجودة سهلت مهمة الداعية ولكن ليس معنى ذلك أن يقف الداعية مكتوف الأيدي حتى يجد الشخص الذي تتوافر فيه كل هذه العوامل، وإنما الهدف أن يجتهد في إعطاء الأولوية لمن يراه أقرب وأسرع استجابة، وأصلح لبناء القاعدة الدعوية الصلبة.

ثالثا: عوامل أخرى مساعدة:

و من هذه العوامل هي:

١- سلامة المادة وصحتها، وخلوها من الانحرافات في المفاهيم،

٢- تنويع المادة: بحيث يستطيع الداعية أن يعالج بها نفسية المدعو من كل الجوانب، وأن يدفع بها شبهاته على اختلافها وتنوعها

٣- الجمع بين فقه الشرع وفقه الواقع، والرابط بينهما: بحيث يرى الداهية بجلاء صورة الواقع ومدى مخالفته لشرع الله، ويكون عنده التفسير الشرعي الصحيح لكل ظاهرة من الظواهر.

٤- تنويع أساليب التأثير: من التغيب والترهيب، إلى الحث والحض إلى الإقناع، وهكذا، فلا يكون الداعية دائما على وتيرة واحدة.

٥- تحين فرص التأثير: وذلك لأن النفس لا تكون دائما على حالة واحدة، فأحيانا تكون قابلة للتأثير، سهلة هيّنة، وأحيانا يصيبها السام والملل، ويعتريها من الضيق والغضب بسبب ما يقلقها ولو نسبيا.

٦- مواكبة الشحن المعنوي للحركة الظاهرة المحسوسة: وذلك أن يحرص الداعية على إعطاء شحناته للمدعو على فترات متفاوتة، وأن يربط شحنه بحرمة مساوية لها فلا ينبغي أن يدفع الشخص إلى عمل بغير شحن معنوي يحمله عليه، وكذلك لا ينبغي أن يشحن معنويا ثم يترك، فلا يعرف كيف يصرف هذه الشحنة التي قد تنطفئ في نفسه، وتصيبها البلادة بعد ذلك، وقد تدفعه إلى عمل لا يجلب المصلحة ولا يدفع المفسدة، وينبغي أن يكون العمل مساويا من حيث الكرم والكيف والمضمون لمستوى الشحن المعنوي ونوعه.

عوامل خارجية مؤثرة في الدعوة بالإيجاب والسلب:

من هذه العوامل ما يأتي:

١- مناخ الدعوة العام المواكب للمنهج الذي عليه الداعية في المكان الذي يمارس فيه الدعوة الفردية: فالأماكن التي تكثر فيها الدروس والخطب واللقاءات تسهل فيها الدعوة إلى حد كبير، والعكس صحيح.

٢- مناخ الأسرة والبيئة المحيطة بالمدعو:

فقد يعرقل عملية الدعوة استبداد الأب، أو جزع الوالدين، أو سوء أخلاق الأشقاء، أو فساد الصحبة، وقد يسهل المهمة كثيرا صلاح الأسرة ومحافظتها، وانتشار روح المودة والترابط فيها.

٣ - الاتجاه العام لأهل الزمان والمكان:

قد يختلف اتجاه الناس في الزمان الواحد من مكان لآخر، وقد يختلف اتجاههم في المكان الواحد من زمان لآخر، وهذا الاتجاه بلا ريبة يؤثر في الدعوة الفردية، كما يؤثر في الدعوة العامة من وقت لآخر بالسلب والإيجاب.

٤- فرص اللقاء والاتصال:

و يؤثر فيها بعد المسافة أو قصرها، وسعة الوقت أو ضيقه، وتقارب السن أو تفاوته، والظروف المحيطة بالداعية والمدعو، ومما لا شك فيه أن هذه العوامل تؤثر في الدعوة سلبا وإيجابا، وينبغي للداعية أن يستوعبها ويعلمها معرفة جيدة، ليهيئ لكل أمر عدته، ولكل ظرف ما يلائمه.

المطلب الخامس:

استعداد حاتم الأصم للدار الآخرة

وروي أن رجلا جاء رسول الله ﷺ فقال: علمني من غرائب العلم، فقال له ما صنعت في رأس العلم؟ فقال: وما رأس العلم؟ فقال ﷺ: هل عرفت الرب تعالى؟ قال: نعم، قال: فما صنعت في حقه؟ قال: ما شاء الله فقال ﷺ: هل عرفت الموت؟ قال: نعم،قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله، قال ﷺ: اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم [٨٧٩] .

بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رحمهما الله أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل، قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثاني؟ فقال: نظرت في قول الله ﷻ:

---

٨٧٩ مسند الموطأ للجوهري، باب العلم قبل العمل، ص٨٦، تحقيق لطفي بن محمد الصغير دار الغرب الإسلامي ط١، ١٩٩٧م، بيروت. جامع بيان العلم وفضله، باب جامع القول في العمل بالعلم، لابن عبد البر ١/ ٦٩١، رقم ١٢٢٢ تحقيق أبو الأشبال، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤مالسعودية. والحديث من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٨٨٠].

فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله ﷻ.

الثالثة: إني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه فنظرت إلى قوله تعالى:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٨٨١] . فكلما وقع معي شيء له قيمة وجهته إلى الله ليبقى لي عنده.

الربعة: إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٨٨٢] فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

الخامسة: إني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قوله ﷻ:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٨٨٣] .

فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله ﷻ فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله ﷻ:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[٨٨٤] فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره.

---

٨٨٠ النازعات: ٤٠ – ٤١.

٨٨١ النحل: ٩٦.

٨٨٢ الحجرات: ١٣.

٨٨٣ الزخرف: ٣٢.

٨٨٤ فاطر: ٦.

السابعة: نظرت إلى الخلق فرأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فتأملت في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾[٨٨٥] فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده.

الثامنة: رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم[٨٨٦] وصحة أبدانهم فتوكلت على الله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[٨٨٧] .

❁

٨٨٥ هود: ٦.

٨٨٦ ينظر إحياء علوم الدين الباب السادس في آفاق العلم، ١/ ٦٥.

٨٨٧ آل عمران: ١٥٩.

المبحث الثاني:

الرحمة

ويتضمن على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرحمة لغة وشرعا وأصنافها.

المطلب الثاني: المقارنة بين القسوة والرحمة.

المطلب الثالث: فوائد الرحمة وآثارها والأسباب الجالبة للرحمة.

المطلب الأول:
الرحمة لغة وشرعا وأصنافها

- **الرحمة لغة وشرعا:**

الرحمة لغة: الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثلثة، وقد رحمتُه وترحّمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، والرحموت من الرحمة، يقال: (رهبوت خير من رحموتٍ)، أي لأن ترهب خير من أن ترحم.

ورجل مرحوم، ومرحّم شدد للمبالغة[٨٨٨] .

وفي التنزيل: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٨٨٩] .

ومنه: ترحم عليه: دعا له بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة، والرحمن الكثير الرحمة، وهو وصف مقصور على الباري ﷻ ويقال أيضا: الرحمة هي الخير والنعمة، قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء﴾[٨٩٠] .

و الرحمة شرعا: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم[٨٩١] أم إرادة إيصال الخير.

و للرحمة تعريف آخر: وهي: رقة في القلب وحساسية في الضمير، وإرهاق في الشعور يستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم، والعطف عليهم، وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم[٨٩٢].

و منه قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٨٩٣]

---

٨٨٨ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، مادة «رحم»، ٥/ ١٩٢٩، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م بيروت.

٨٨٩ الكهف: ٨١.

٨٩٠ يونس: ٢١.

٨٩١ التوفيق على مهمات التعريف ١/ ١٧٦.

٨٩٢ تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١/ ٢٧٨، ط٣١، ١٩٩٨م..

٨٩٣ البقرة: ١٤٣.

قال الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله –

(و عندي أن الرأفة أثر من آثار الرحمة، والرحمة أعم، فإن الرأفة لا تستعمل إلا في حق من وقع في بلاء، والرحمة تشمل دفع الألم والضر، وتشمل الإحسان وزيادة الإحسان)[٨٩٤].

- **أصناف الرحمة:**

والرحمة وإن كانت رقة القلب والنفس ولكنها ليست مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها، بل لها مظاهر حقيقية منها العفو عن المؤمنين ومساعدة الفقراء، وإليكم بعض أنواع الرحمة وهي:

رحمة الله ﷻ، ورحمة الرسول ﷺ بأمته، والرحمة بالأطفال، والرحمة باليتامى، والرحمة بالحيوانات، والرحمة بأهل الذمة، والرحمة بالجيران، والرحمة بالوالدين، والرحمة بالخالة، والرحمة بالمعوزين، والرحمة بالعصاة، والرحمة بالرعية... الخ.

و بعد سرد هذه الأصناف من الرحمة يمكن بيانها على النحو التالي:

١ – رحمة الله ﷻ بعباده:

قال البارئ ﷻ: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[٨٩٥].

وقال النبي ﷺ:

(لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده غلبت أو قال سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش)[٨٩٦].

ومن مظاهر رحمة الله منها الرحمة العامة وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزء واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس رجلها عن ولدها خشية أن تصيبها)[٨٩٧].

---

٨٩٤ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ٢/ ١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٨٩٥ الأنعام: ٥٤.

٨٩٦ البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (بل هو قرآن مجيد...) رقم ٧٥٥٣.

٨٩٧ البخاري كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، رقم ٦٠٠٠.

ومنها إذا تاب العبد بدل الله سيئاته حسنات، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٨٩٨] .

ومن رحمته إرسال الرسل إلى الناس ليأخذ بأيديهم إلى الصواب مبشرين ومنذرين، قال تعالى:

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٨٩٩].

ومن رحمته إنزال الكتاب المبين قال تعالى:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[٩٠٠]

و من رحمته إباحة المحظور، قال ﷻ:

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٩٠١] .

ومن رحمته إنجاؤه للمؤمنين حين يأخذ الكفار بالعذاب، قال ﷻ:

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٩٠٢].

إذا منع الله عبده رزقا فهو من رحمته قال تعالى: قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[٩٠٣]

فالناس في نظر الله تعالى كالمرضى يعطيهم الترياق على قدر الداء، فإذا أعطى الفقر أو المرض للإنسان فقد أعطاه دواء مرا في باطنه الرحمة فالمرارة نعمة، وقد يمنع الإنسان ولده المريض عن أكل اللحم والحلوى...، وهو كله رحمة لولده، وقد يمسك الوالد ولده بيده ويقدمه للطبيب ليجرى له عميلة جراحية والولد يتألم والوالد كله رحمة بابنه.

---

٨٩٨ الفرقان : ٧٠.

٨٩٩ الدخان : ٥ – ٦.

٩٠٠ لقمان : ٢ – ٣

٩٠١ البقرة : ١٧٣.

٩٠٢ هود : ٥٨.

٩٠٣ العلق : ٦ – ٧.

و ما من سيف لقمع ظالم أو سلاح لقهره رُفع إلا وهو رحمة بالمجتمع الإنساني، وأكثر رحمته تتجلى في القصاص، فإن وجب القتل على إنسان فقتل كان ذلك رحمة بالمجتمع لعدم انتشار الفوضى.

٢- رحمة الرسول ﷺ بأمته:

كان رسول الله ﷺ رحمة بأمته، بل أمن الله المشركين من العذاب في الدنيا ما دام فيهم النبي محمد ﷺ، وذلك مع استعجالهم له حيث قال ﷻ:

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [٩٠٤] .

قد طلبوا أيضا إنزال العذاب من الله ﷻ قائلين:

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٩٠٥].

٣ - الرحمة بالمؤمنين:

قال رسول الله ﷺ:

(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء)[٩٠٦].

و قال رسول لله ﷺ:

(لا تنزع الرحمة إلا من سقي)[٩٠٧] .

و عن أبي هريرة ﷺ قال:

(قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ﷺ وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: من لا يرحم لا يرحم).

---

٩٠٤ الأنفال : ٣٣.

٩٠٥ الأنفال : ٣٢.

٩٠٦ أبو داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالحمام رقم ٤٩٤١، حديث صحيح .

٩٠٧ أبوداود،كتاب الأدب، باب في اللعب بالحمام رقم(٤٩٤٢).

و عن أبي مسعود الأنصاري:

(قال كنت أضرب غلاما لي فسمعت صوتا اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى، قال: أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار)[٩٠٨] .

فالرحمة بالأطفال تكون بعدم ضربهم على الخطأ في المرة الأولى، ويجب التبسم عند لقائهم ومداعبتهم.

٤ – الرحمة بالفقراء:

عن أبي هريرة ﷺ، أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يقمّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات قال، أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره، أو قال قبرها فأتى قبرها فصلى عليها[٩٠٩].

٥– الرحمة باليتامى:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله). وأحسبه قال – يشك القعنبي – (كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)[٩١٠].

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ:

(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئا.

و الرحمة باليتامى تكون برعايتهم وكفالتهم وإطعامهم والعطف عليهم ومعاونتهم في أمورهم.

---

٩٠٨ مسلم، كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم ١٦٥٩.

٩٠٩ البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرف والقذى والعيدان رقم ٤٥٨.

٩١٠ البخاري، كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين رقم ٦٠٠٧.

٦- الرحمة بالحيوانات:

يروي المؤرخون أن عمرو بن العاص ﷺ في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطة[٩١١] فاتخذت من أعلاها عشا وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها[٩١٢] بتقويضه[٩١٣] الفسطاط فتركه، وتكاثر العمران من حوله.

و الإسلام شديد المؤاخذة لمن تقسو قلوبهم على الحيوان ويستهينون بآلامه، وقد بين أن الإنسان على عظم قدره يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء، قال النبي ﷺ:

(دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[٩١٤].

و كما بين الرسول ﷺ أن كبائر المعاصي تمحو نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بكلب، فهي رواية عن النبي ﷺ أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف[٩١٥] ببئر قد أدلع[٩١٦] لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها[٩١٧].

و الرحمة بالحيوان تكون بإطعامه، وعدم اللعب به وتعذيبه، وعدم ضربه، أو إحراقه بالنار، وإذا رأيت من يعذب حيوانا انهه عن ذلك.

٧- الرحمة بأهل الذمة:

ذات يوم كان صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - يتفقد أحوال جنده فرأى امرأة من الصليبيين تبكي وتضرب على صدرها فسألها عن قصتها، فقالت: دخل المسلمون في خيمتي وأخذوا ابنتي الصغيرة فنصحني الناس أن آتي إليك، وقالوا: إن السلطان صلاح الدين رجل

---

٩١١ الفسطا طة: خيمة أو الجماعة.

٩١٢ هيج: حرك .

٩١٣ التقويض:: الهدم.

٩١٤ البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فلغمسه، رقم ٣٣١٨.

٩١٥ يطيف: يدور.

٩١٦ أدلع: أخرج لسانه لشدة العطش.

٩١٧ البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا وقع الذب في شراب أحدكم فليغمسه.

رحيم، فدمعت عينا صلاح الدين، وأمر أحد الجنود أن يبحث عن الصغيرة وعمن اشتراها، ويدفع له ثمنها ويحضرها، فما لبث ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه، ففرحت الأم فرحا شديدا وشكرت صلاح الدين على مروءته وحسن صنيعه.

٨ - الرحمة بالجيران:

كان للإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - جار يلهو ويغني طول الليل يزعج جيرانه ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر[٩١٨] .

وكان أبو حنيفة يتضايق من أذى جاره، ولا يستطيع أن يقوم الليل ويصلي بسبب صوت جاره وغنائه، ورغم ذلك كله، فقد كان صابرا عليه.

و ذات يوم كان رجال الشرطة يمرون فسمعوا صوت هذا الجار، فأخذوه ووضعوه في الحبس... فأسرع أبو حنيفة في الصباح إلى بيت الحاكم، واستأذن في الدخول عليه، وقال: أصلح الله الأمير، جار لي أخذه عسس الأمير (الشرطة) ليلة كذا فوقع في حبسك سمع الحاكم شفاعة أبي حنيفة لجاره فأمر بإطلاق سراح ذلك الجار إكراما لأبي حنيفة... فقال له أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟ فقال الجار: لا والله، ولم يعد مرة ثانية إلى اللهو والغناء وكف عن إزعاج جيرانه[٩١٩] .

والرحمة بالجار تكون بكف الأذى وتحمل أذاه، وملاحظة داره في غيبته، والتلطف مع أولاده، وعدم النظر إلى أهله، ومساعدته إن كان محتاجا، وعدم إلقاء القمامة أمام بابه، وعدم إزعاجه باللعب أو برفع صوت المذياء، ومشاركته في الأفراح والأحزان.[٩٢٠]

---

٩١٨ العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ٧/ ١٦، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ بيروت .

٩١٩ العقد الفريد، ٧/ ١٦.

٩٢٠ موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١/ ٣٨٢.

٩- الرحمة بالوالدين:

و من الرحمة بالوالدين إكرامهما وعدم رفع الصوت عليهما، وعدم مقاطعتهما أثناء الكلام، وعدم الخروج من الدار إلا بإذنهما، وتقبيل أيديهما، ومخاطبتهما بلطف، وعدم إزعاجهما إذا كانا نائمين، وعدم تفضيل الزوجة والولد عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، وإكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما، وعدم مصاحبة إنسان غير بار بوالديه، والدعاء لهما [٩٢١].

١٠- الرحمة بالأقارب:

عن ابن عمر أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت ذنبا عظيما فهل لي توبة؟ قال: هل لك من أم؟ قال: لا، قال: هل لك من خالة؟ قال نعم، قال: فبرها [٩٢٢] .

١١- الرحمة بالمعوزين:

جاءت امرأة إلى أبي حنيفة بثوب من الحرير لتبيعه له فقال لها كم ثمنه؟ قالت: ثمنه مائة درهم فقال: كلا إنه يساوي أكثر من مائة درهم، فتعجبت المرأة من هذا المشتري الذي يرفع السعر الذي يشتري به، وأخذت تزيد في الثمن مائة بعد مائة، حتى قالت: إذن فخذه بأربعمائة درهم، فقال: إن ثمنه أكثر من ذلك، فقالت: أتهزأ بي؟ قال: هات رجلا يقدر لنا ثمنه، فذهبت وأحضرت رجلا، فقال لها: هو بخمسمائة درهم، فاشتراه أبو حنيفة بهذا الثمن [٩٢٣] .

١٢- الرحمة بالعصاة:

مر أبو الدرداء ﷺ بجماعة قد تجمهروا على رجل وجعلوا يضربونه ويشتمونه فأقبل عليهم وقال: ما الخبر؟ قالوا: رجل وقع في ذنب كبير، قال أرأيتم لو وقع في بئر أفلم تكونوا تستخرجونه منها؟ قالوا: بلى، قال: لا تسبوه ولا تضربوه وإنما عظوه وبصروه، واحمدوا الله

---

٩٢١ ينظر دروس الشيخ محمد المختار الشنقيطي – الشبكة الإسلامية.

٩٢٢ الترمذي، باب ما جاء في بر الخالة رقم ١٩٠٤. والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب البر والصلة رقم ٧٢٦١، ٤/ ١٧١ على شرط البخاري ومسلم.

٩٢٣ موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ١/ ٣٨٤.

الذي عافاكم من الوقوع في ذنبه، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض فعله، فإذا تركه فهو أخي فأخذ الرجل ينتحب -يبكي- ويعلن توبته[٩٢٤] .

و الرحمة بالعصاة تكون بتبصيرهم بأخطائهم والدعاء لهم بالهداية

١٣- الرحمة بالرعية:

كان عمر بن الخطاب ﷺ يتوخى -يقصد- الرحمة والشفقة على الرعية وكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزلة هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسد كتابا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم، فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما قبلت ولدا لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا، ورده عمر فلم يستعمله[٩٢٥]

١٤- نماذج من رحمة الصحابة رضوان الله عليهم:

سار صحابة النبي ﷺ على نهجه، واقتفوا به في التمسك بهذا الخلق الكريم، حتى صار الرجل المعروف بشدته وصرامته، هينا لينا رؤوفا.

ومن ذلك رحمة عمر بن الخطاب ﷺ:

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ الذي عرف بشدته وقوته تغير الرحمة من طباعته، فصار رفيقا يغمر قلبه رحمة، ويفيض فؤاده شفقة، ومما يدل على ذلك قوله لعبد الرحمن بن عوف ﷺ حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنه هاب الناس حتى هاب الأبكار في خدورهن، فقال:

(إني لا أجد لهم إلا ذلك، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي من الرأفة، والرحمة، والشفقة، لأخذوا ثوبي عن عاتقي)[٩٢٦].

---

٩٢٤ المرجع نفسه ١/ ٣٨٦.

٩٢٥ الزهد أبو السري هناد بن السري بن مصعب، ٢/ ٢١٩ تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتابي الإسلامي، ط١، ١٤٠٦ هـ الكويت.

٩٢٦ كنز العمال رقم ٣٥٩٧٩، ١٢/ ٦٥٠ وإسناده ضعيف.

ورآه عيينة بن حصن يوما يقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره وهو يحنوا عليه، فقال عيينة: أتقبل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدا، فقال عمر: الله، الله، حتى استحلف ثلاثا، فقال: فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك؟ إن الله يرحم من عباده، الرحماء[٩٢٧].

و هذا أبو بكر الصديق ﷺ يوصي جيش أسامة قائلا:

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...)[٩٢٨].

المطلب الثاني:

المقارنة بين القسوة والرحمة

ولمعرفة المقارنة بين القسوة والرحمة، فلا بد من بيان وصف كل منهما لتطابق المقارنة على الكلام المقصود فأقول:

أولا:إن الرحمة تؤلف بين القلوب وتزيل الحواجز، وتفتح سبل التفاهم والتعاون، قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٩٢٩].

والقسوة: تبغض وتنفر وتزرع الأحقاد، قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٩٣٠]

فالرحمة قوة جاذبة، والقسوة قوة طاردة.

---

٩٢٧ جامع معمر بن راشد، باب رحمة الناس رقم ٢٠٥٩٠، ١١/ ٢٩٩.

٩٢٨ تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ٣/ ٢٢٦ دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ بيروت.

٩٢٩ آل عمران : ١٥٩.

٩٣٠ آل عمران : ١٥٩.

ثانيا: الرحمة: خلق رباني، يعامل البارئ ﷻ عباده – حتى المسيئين منهم – وهو الذي حضهم باللجوءإلى قفص رحمته حينما يخطئون، أو يذنبون، أو يسرفون على أنفسهم بمعنى أنهم يهرعون إليه لطلب المغفرة والرحمة.

ثالثا: الرحمة تعبير جميل عن إنسانية الإنسان في الكلمة والموقف، والقسوة تعبير عن الجانب الحيواني الشرس المفترس.

فالذئب أو النمر أو الضرغام لا يرون في التعامل مع الفريسة سوى أنها مأدبة يسدون بها جوعهم. فالقسوة (غريزة) لا عقل لها والرحمة عقل راجح وعاطفة جياشة –متدفق–... عقل ينادي بها ويدعو لها لأنها تلائم مع مبادئ الحق والخير، والفؤاد يهتف بها؛ لأنها طريقه الأوسع إلى العقل.

رابعا: الرحمة تربي وتهذب وتعلم وتقوم، والقسوة تعلم أيضا، ولكن بون بين التعليمين.

الرحمة تعلم كيفية التقاء العقل مع العقل، والقلب مع القلب والإنسان مع أخيه فهي تعارف وتحابب وتواصل.

و القسوة تعلم الكراهية والضغائن والتأثر والانتقام.

الرحمة إذن ربح كبير، و القسوة خسارة فادحة.

خامسا: الرحمة منهج الأقوياء، والقسوة منهج الضعفاء والجبناء، حيث إن القاسي لا يملك سوى قبضة الإرعاب، فهو يمتلك من الإنسان بدنه

و الرحيم يملك النفس العالية، ولذا، فهو يمتلك من الإنسان قلبه، ولكن بعد ضرب هذه المقارنة لا بد من أن نذكر أن الرحمة يجب أن توضع في بقعتها الصحيحة، كما أن القسوة أو الشدة يجب أن توضع في موضعها الملائمة.

فأعداء الأمة الإسلامية ومغتصبوا حقوقها لا ينالهم من رحمة قال تعالى: ﴿**أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ**﴾[٩٣١] وما عداهم فلهم الرأفة ما وسعتها قلوبنا.

---

٩٣١ الفتح: ٢٩.

المطلب الثالث:

فوائد الرحمة وآثارها والأسباب الجالبة للرحمة

- **فوائد الرحمة وآثارها:**

للتحلي بخلق الرحمة فوائد عظيمة وثمار جليلة، فما إن يتحلى المؤمن بهذه الحلية ويتجمل بهذه السجية حتى تظهر آثارها وتؤتي أكلها... ليس عليه فقط، بل عليه وعلى من حوله، وسنبسط لبعض هذه الآثار والفوائد إجمالا فمن ذلك:

١- أنها سبب للتعرض لرحمة الله، فأهلها مخصوصون برحمته جزاء لرحمتهم بخلقه.

٢- ومن أعظم ثمارها أن المتحلي بها يتحلى بخلق تحلى به رسول الله ﷺ.

٣- أن من ثمارها محبة الله للعبد، ومن ثم محبة الناس له.

٤- أنها ركيزة عظيمة ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك يحس بعضه ببعض ويعطف بعضه على بعض، ويرأف بعضه بعضا.

٥- أنها تشعر المرء بصدق انتمائه للصف المسلم، إذ أن من لا يرحم لا يستحق أن يكون فردا في المجتمع، أو جزء منه، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:

(من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا)[٩٣٢] .

٦- على قدر حظ الإنسان من الرحمة تكون درجته عند الله تبارك وتعالى، لذا كان الأنبياء هم أشد الناس رحمة، وكان الرسول ﷺ أوفر حظا منها.

٧- أنها سبب لمغفرة الله تبارك وتعالى وكريم عفوه، كما أن نقيضها سبب في سخطه وعذابه

٨- أن في الاتصاف بها دليل على أن الإسلام دين رحمة للبشرية لا كما يقول أعداؤه أنه دين يقوم على العنف وسفك الدماء.

٩- ومن أعظم فوائدها أنها خلق متعد إلى جميع خلق الله، من إنسان أو حيوان، بعيد أو قريب، مسلم أو غير مسلم.

---

٩٣٢ أبو داود رقم ٤٩٤٣ باب الرحمة، إسناده صحيح.

١٠- أنها سبب للالتفات إلى ضعفة المجتمع من الفقراء والمساكين، والأرامل، والأيتام، والكبار، فمجتمع يخلو من هذا الخلق، لا يلتفت فيه إلى هؤلاء ولا يهتم بشأنهم. وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي يجنيها المجتمع المسلم من هذا الخلق الكريم.

- **الأسباب الجالبة إلى الرحمة**

ما السبيل إلى الرحمة؟

فالرحمة اكتسابية، أي أننا نحصل عليها بالتعلم والتربية والتدريب، ومخالقة الناس بخلق حسن لقد كان العرب في الجاهلية جلفاء لكن الإسلام استطاع أن يسخر تلك القلوب القاسية قلوبا رحيمة حانية ملأت العالم رحمة، وأما السبيل إلى الرحمة فيأتي عبر لأنفاق التالية:

طاعة الله ورسوله، فالله هو الرحمن الرحيم، ونبيه الرحمة المهداة إلى العالمين، يدعوان إلى إرساء قواعد الرحمة بين الناس.

قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٩٣٣].

٢- الاستماع إلى وحي القرآن الذي جعله الله هدى ورحمة للناس، فالذي يبحث عن الهدى وعن الرحمة فلا يذهب بعيدا... دونه القرآن يجد الرحمة منبثة في آياته، وهناك العديد من القصص التي تروى عن أولئك الذين نقبت نور الرحمة إلى قلوبهم وهم يستمعون إلى القرآن بآذان واعية.

٣- الذكر والدعاء طريقان أيضا من طرق اكتساب الرحمة .

٤- الاطلاع على سيرة النبي ﷺ، وقصص الأئمة والسلف الصالح الذين عرفوا رحمة الله وعرّفوها للناس قولا وعملا، وكانوا مثلا أعلى في الرحمة التي فتحت طرقا واسعة إلى العقول الضالة والقلوب القاسية، والوقوف على ما كانوا عليه من الأخلاق الحميدة والآداب الجليلة، كل ذلك يهز القلوب إلى الرحمة، ويجعل فيها شوقا إلى الإحسان بالناس وتفريج كرباتهم.

---

٩٣٣ آل عمران : : ١٣٢.

٥- تذكر مشاهد الآخرة؛ لأنها من الأسباب التي تعين على رحمة الضعفاء فإن العبد إذا تذكر الآخرة، وصور نفسه كأنه قائم بين يدي الله، وقد نشر له ديوانه، وبدت له أقواله وأفعاله، فإذا تصور مثل هذه المواقف قادته إلى الله وحبب إلى قلبه الخير والرأفة.

٦- معاشرة الرحماء: ومما يحرك القلوب إلى الرحمة والإحسان إلى الناس معاشرة الرحماء، فانظر في إخوانك فمن وجدت فيه الرحمة ورقة القلب وسرعة الاستجابة لله فاجعله أقرب الناس منك، فإذا عاشر العبد الصالحين شعر أنه في شوق للرحمة، وأحسن أنه في شوق للإحسان إلى الناس، ودعاه ذلك إلى التشبه بالأخيار فكم من قرين اقترن بقرينه كان من أقسى الناس قلبا، فأصبح لينا لأجل صحبة الصالحين.

٧- أشعر قلبك بالرحمة لا تبخل على من حولك بها ولا تهب نفادا فالرحمة - كالعلم - تزداد على الإنفاق.

و صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم.
- تفسير ابن كثير.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.
- ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا .
- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن الجوزي.
- لطائف الإشارات تفسير القشيري عبد الكريم القشيري.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم .
- مسند أحمد.
- صحيح ابن خزيمة.
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن الدار قطني.

- السنن الكبرى للنسائي.
- سنن الشافعي.
- السنن الكبرى للبيهقي.
- سنن الترمذي.
- سنن الدارمي.
- المستدرك للحاكم.
- جامع معمر بن راشد.
- شعب الإيمان.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي.
- كنز العمال.
- المعجم الكبير للطبراني.
- فتح الباري عبد الرحمن بن رجب .
- المعجم الأوسط للطبراني.
- المعجم الصغير للطبراني.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
- صحيح ابن حبان.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني.
- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك.
- مسند البزار.
- نيل الأوطار للشوكاني.
- مصنف ابن أبي شيبة.

- مسند الشهاب أبو عبد الله محمد بن سلامة.
- معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد المعروف بالخطابي.
- جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب.
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
- مسند أبي يعلى الموصلي.
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، محمد بن محمد الفاسي.

ثانيا: المراجع

- شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس.
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الرحمن بن محمد الغنيمان.
- لطائف المعارف فيما لموسم العام من الوظائف زين الدين عبد الرحمن بن رجب.
- الخلاصة في فقه الأقليات علي نايف.
- الفصل في الملل والأهوال والنهل لابن حزم.
- التوفيق على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني الكفوي.
- كتاب التعريفات للجرجان.ي
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ.
- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة محمد صقر.
- صفة الصفوة عبد الرحمن بن الجوزي.
- كشف الكربة في وصف أهل الغربة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب .
- التبصرة لابن الجوزي.
- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة.
- المعجم الوسيط.
- ومضات ولقطات إيمانية للدكتور راتب النابلسي.

- منير الجمعة د. عبد الله بن محمد الطيّار.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي.
- الفوائد لابن القيم الجوزية.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية.
- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية.
- القاموس المحيط، محي الدين أبو طاهر.
- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني.
- الأخلاق في الإسلام د. محمد عبد القادر حاتم.
- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني.
- المصباح المنير للفيومي.
- سيرة ابن هشام.
- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير.
- نوادر الخلفاء المشهور، محمد معروف بديات.
- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري.
- ميزان العدل أبو حامد الغزالي.
- تزكية النفس أحمد فريد.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية.
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك.
- إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، أبو محمد عبد الكريم.
- شرح الدعاء من الكتاب والسنة، أبو عبد الرحمن ماهر بن عبد الحميد مقدم.
- بصائر في الفتن، محمد بن أحمد بن إسماعيل مقدم.

- مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، أبو محمد عبد العزيز عبد المحسن.
- موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز عبد المحسن السلمان.
- الزهد والرقائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك.
- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي.
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري.
- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف.
- تاريخ المدينة عمر بن شيبة بن عبيدة أبو زيد.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين محمد جمال الدين القاسمي.
- الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي.
- الإحكام في أحوال الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن منيع.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر.
- قصة الحضارة، لِول ديورانت جيمس.
- حقوق الإنسان والقضايا الكبرى، كامل إسماعيل الشريف.
- الفروق أنوار البروق في أنوار الفروق، أبو العباس شهاب الدين العراقي.
- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني.
- فقه الأدعية، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
- موسوعة فقه القلوب محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري .
- الرسالة التبوكية، لابن القيم.
- المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي.
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية.
- آداب النفوس، الحارث بن أسد المحاسبي.
- الصحاح تاج اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

- معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني.
- التذكرة في الوعظ لابن الجوزي.
- أصول الوصول إلى الله، أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار شرح الدرة المضية شمس الدين أبو يعقوب محمد السفاريني.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي.
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم، حسين بن محمد المهدي.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني.
- وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي.
- كتاب أسرار القرآن علاج السحر والحسد ومس الجان، محمد محمود عبد الله.
- الصارم البتّار في التحدي للسحرة الأشرار، وحيد عبد السلام بالي.
- تلبيس إبليس جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي.
- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي.
- روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، قاسم بن يعقوب الأماسي.
- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي.
- الجواب الكافي لمن سأل عن دواء الشافي لابن القيم.
- لسان العرب لابن منظور.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيد المرسي.
- كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.
- تربية الأولاد في الإسلام عبد الله ناصح علوان.
- الزهد، أبو السري هناد بن السري بن مصعب.

فهرس

مقدمة.....٥

الفصل الأول

استعداد العبد للعبادات/ ٩

المبحث الأول: العبد وما خلق لأجله/٩

المطلب الأول: مفهوم الشهادتين و أهميتها ١١

المطلب الثاني: شروط لا إله إلا الله.....١٣

المطلب الثالث: – كيفية استعداد العبد للصلاة و الصوم و الزكاة.....١٦

– الاستعداد للصوم.....١٨

– الاستعداد لإخراج الزكاة.....١٩

– الاستعداد للحج.....٢٠

المطلب الرابع: نواقض الإسلام.....٢٢

المبحث الثاني: الإحسان/ ٢٥

المطلب الأول: – مفهوم الإحسان في الإسلام.....٢٧

– الفرق بين المحسن والمحسن إليه.....٢٨

– فضل الإحسان.....٢٨

المطلب الثاني: – مجالات الإحسان.....٢٩
– الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان.....٣٢
المطلب الثالث: – معاني الإحسان في القرآن الكريم.....٣٢
– مراتب الإحسان و.....٣٥

المبحث الثالث: فرحة المؤمن بأعماله/ ٤٣

المطلب الأول: معنى الفرح و أسبابه.....٤٣
المطلب الثاني: لذة الأعمال الصالحة و الفرق بين لذات الدنيا و الآخرة.....٤٦

المبحث الرابع الخلق الحسن/ ٥٣

المطلب الأول: – مفهوم الأخلاق، وأقسامها، وفضائلها وأنواعها.....٥٥
– فضائلها وأنواعها ٥٦
– أنواع الخلق.....٦١
المطلب الثاني: السلوك وأنواعه.....٦٢
المطلب الثالث: أهمية الأخلاق في حياة البشر.....٦٥

المبحث الخامس الثبات على دين الله تعالى/ ٦٧

المطلب الأول: – معنى الثبات على دين الله تعالى ٦٩
– عوامل الثبات عند الفتن.....٧٠
المطلب الثاني: نماذج من ثبات الأسلاف عند حدوث الفتن والاختلاف.....٧٢

الفصل الثاني

عشر ذي الحجة/ ٧٥

المبحث الأول: استقبال عشر ذي الحجة/ ٧٥

المطلب الأول: – عشر ذي الحجة وفضائلها..... ٧٧
– الأعمال المستحبة فيها..... ٧٩
– كيفية استقبال عشر ذي الحجة..... ٨٠
المطلب الثاني: – أحكام يوم عرفة مع أدلتها..... ٨١
– الدعاء يوم عرفة..... ٨٣
– حياة المسلم يوم العيد..... ٨٣

المبحث الثاني: تزكية النفس/ ٨٥

المطلب الأول: – تعريف التزكية وبيان المراد بها..... ٨٧
– حكم تزكية النفس ٩٠
– أهمية تزكية النفس للإنسان..... ٩١
المطلب الثاني: – أقسام تزكية النفس ووسائلها..... ٩٣
– وسائل التزكية..... ٩٤

المبحث الثالث: الإخلاص/ ٩٩

المطلب الأول : – معنى الإخلاص..... ١٠١
– أهميته الإخلاص..... ١٠١
– معرفة المخلص و المخلص له..... ١٠٣
المطلب الثاني: – أنواع الإخلاص..... ١٠٤
– فوائد الإخلاص..... ١٠٦
– نماذج عن المخلصين..... ١٠٧

المبحث الرابع الحقوق/ ١٠٩

المطلب الأول : – معنى الحق لغة وشرعاً.....١١١

– حق الله تعالى على العباد، وحق العباد على الله تعالى.....١١١

المطلب الثاني: – رعاية الحقوق.....١١٢

– حقوق العباد فيما بينهم.....١١٣

– حقوق الوالدين.....١١٤

– حقوق الجيران.....١١٦

– حقوق غير المسلمين.....١١٨

المبحث الخامس: مفهوم التقوى في الإسلام/ ١٢٥

المطلب الأول: – تعريف التقوى.....١٢٧

– أهمية التقوى.....١٢٨

– ثمرات التقوى العاجلة والآجلة.....١٣٠

– بواعث التقوى.....١٣٣

– مقامات التقوى.....١٣٤

– مراتب التقوى.....١٣٤

المطلب الثاني: –حقيقة التقوى من القرآن الكريم، وصفات المتقين، وفضائل التقوى...١٣٥

– صفات المتقين.....١٣٦

الفصل الثالث

النعمة/ ١٣٩

المبحث الأول : النعمة/ ١٣٩

المطلب الأول: – مفهوم النعمة.....١٤١

– أقسام النعمة.....١٤٢

– شكر النعمة.....١٤٤

المطلب الثاني: جحود النعمة.....١٤٧
المطلب الثالث : وسائل كسب النعم.....١٥٠

المبحث الثاني : العقاب/ ١٥٣

المطلب الأول: أسباب العقاب.....١٥٥
المطلب الثاني: وسائل النجاة من عقاب الله تعالى.....١٥٨

المبحث الثالث: القلب السليم/ ١٦٣

المطلب الأول: – مفهوم القلب السليم.....١٦٥
– أنواع القلوب و صفاتها.....١٦٥
المطلب الثاني: أسباب أمراض القلوب وعلاجها.....١٧٧

المبحث الرابع: الاستقامة/ ١٨١

المطلب الأول: – تعريف الاستقامة ١٨٣
– أهمية الاستقامة ١٨٤
– من أسباب الاستقامة ووسائل الثبات عليها ١٨٥
المطلب الثاني: ثمرات الاستقامة.....١٨٧

المبحث الخامس: التوحيد/ ١٨٩

المطلب الأول: مفهوم التوحيد ١٩١
– أقسام التوحيد مع الأدلة عليه ١٩١

الفصل الرابع
الظلم/ ١٩٥

المبحث الأول : مفهوم الظلم/ ١٩٥

المطلب الأول: – تعريف الظلم.....١٩٧
– أنواع الظلم.....١٩٧
– أسباب الظلم.....١٩٩
– حالات المظلوم.....١٩٩
المطلب الثاني: المواضع التي ذكر فيها الظلم.....٢٠١
المطلب الثالث: – آثار الظلم.....٢٠٣
– عاقبة الظالمين ونهايتهم.....٢٠٥

المبحث الثاني: العدو الشيطان/ ٢٠٧

توطئة ٢٠٩
حقيقة وجود الجن ٢١١
أنواع الجن وصنوفهم.....٢١٢
مساكن الجن وأماكن وجودهم.....٢١٣
كيف تنشأ العلاقة بين الإنسان والشياطين.....٢١٤
كيف يتسلط الشيطان على الإنسان.....٢١٥
إيذاء الجن للإنس.....٢١٨
مكايد الشيطان.....٢١٩
مداخل الشيطان.....٢٢٣

المبحث الثالث: الأخوة في الله تعالى/ ٢٣٣

المطلب الأول: مفهوم الأخوة في الله تعالى (الأخوة الإيمانية).....٢٣٥

المطلب الثاني : فضل التآخي في الله والتحابب فيه.....٢٣٦

المطلب الثالث: حقوق وواجبات الأخوة الإيمانية.....٢٣٨

المطلب الرابع: محاذير في طريق الأخوة.....٢٤٢

المبحث الرابع: مفهوم حب الله تعالى/ ٢٤٥

المطلب الأول: – معنى حُب الله تعالى.....٢٤٧

– أقسام حب الله تعالى.....٢٤٧

– أنواع المحبة.....٢٤٨

– التعبير عن الحب.....٢٤٨

المطلب الثاني: – أسباب محبة الله تعالى ٢٤٩

– علامات حب الله تعالى ٢٥٠

– الفرق بين الحب في الله تعالى والحب مع الله تعالى.....٢٥١

المطلب الثالث: – ثمرات المحبة في الله تعالى.....٢٥٢

– معرفة فضل الحب في الله وثوابه.....٢٥٤

المبحث الخامس: الخيانة/ ٢٥٥

المطلب الأول: – تعريف الخيانة.....٢٥٧

– حكم الخيانة.....٢٥٧

– أسباب الخيانة.....٢٥٨

– علاج الخيانة.....٢٥٨

المطلب الثاني: – أنواع الخيانة ٢٥٩

– ذم الخيانة في الكتاب والسنة.....٢٦٢

الفصل الخامس
الوعظ و الإرشاد/ ٢٦٥

المبحث الأول : الوعظ/ ٢٦٥

المطلب الأول : – معنى الوعظ ٢٦٧
– أهمية الوعظ والإرشاد ٢٦٧
– آداب الواعظ..... ٢٦٨
المطلب الثاني: فضل التذكير و مجالس الوعظ..... ٢٧٠
المطلب الثالث: –مراعاة مستويات المخاطبين..... ٢٧١
– أهمية الحكمة في الدعوة..... ٢٧٢
– مراتب الحكمة..... ٢٧٤
المطلب الرابع: – مقومات الحكمة..... ٢٧٤
– العوامل المؤثرة في نجاح الدعوة الفردية..... ٢٧٥
المطلب الخامس: استعداد حاتم الأصم للدار الآخرة..... ٢٨٠

المبحث الثاني: الرحمة/ ٢٨٣

المطلب الأول: – الرحمة لغة وشرعاً..... ٢٨٥
– أصناف الرحمة..... ٢٨٦
المطلب الثاني: المقارنة بين القسوة والرحمة..... ٢٩٤
المطلب الثالث: – فوائد الرحمة و آثارها ٢٩٦
– الأسباب الجالبة للرحمة..... ٢٩٧
فهرس المصادر والمراجع ٢٩٩